جدل حول الثورة والوحدة اليمنية

ودور عبدالله باذيب

تأليف

د. محمد علي الشهاري

مكتبة مدبولي

الدكتور
محمد علي الشهاري

جدل حول الثورة والوحدة اليمنية

ودور عبدالله باذيب

الناشر
مكتبة مدبولي
٦ ميدان طلعت حرب ت : ٧٥٦٤٢١

الطبعـــة الأولى

١٩٩٠

تصميم الغلاف : للفنان أنس الديب

اضـــاءة

تطرقت المقالات الى موقف بعض المثقفين الاصلاحيين الذين اتخذوا من « اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين » « متراسـا » لهم ، ومن مجـلة « الحكمة » منبرا ، ومن قضية الوحـدة اليمنية « مهنة خاصة » وذريعة للانصراف عن المهمة الطبيعية والجليلة المفترض النهوض بها فى ميدان الابداع الأدبى والفنى والثقافى ، خـدمة لقضية التقـدم والوحـدة والثقافـة .

ولاحظت أن بعض هؤلاء المثقفين الاصلاحيين الذين يرمز اليهم أمين عام الاتحاد ورئيس تحرير « الحكمة » عمر الجاوى ، لا يكتفون بصب النيران على أطراف الحركة الوطنية اليمنية ، والحزب الاشتراكى اليمنى ، والنظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن بحجة عـدم اهتمامهم بقضية الوحـدة اليمنية ، وانما يلجـأون أيضا فى طعن هـذه القـوى التى تجسد مستقبل اليمن كله الى لغـة هى الى القـذف والسباب أقرب منها الى قاموس السياسة .

وقـد امتهنوا « حرفة » النيل من هـذه القـوى جماعات أو أفرادا ، أحزابا أو شخصيات طيلة الفترة المـاضية ، دون أن يتـاح لأحـد حـق مناقشتهم ، حتى بدا كما لو كانوا محقين فى توجيه التهم الى من يعتبرونهم خصومهم وخصوم الوحـدة اليمنية .

فقط ، بعـد أن بلغ السيل الزبى ، وبعـد أن امعنوا فى تشويه وتجريح كل شيء ، حتى تاريخ ومسار ثورة ١٤ أكتوبر وحزبها الطليعى ،

أمكن منح الحق الديمقراطى فى صحف الثورة لمناقشتهم وتفنيد مفاهيمهم العــدمية والمثالية والاصلاحية الضارة بمسيرة الثـــورة والوحــدة اليمنية معــا •

ورغم أن مجلتهم « الحكمة » تطالب بالمزيد من الديمقراطية لهم — رغم أنهم يتمتعون حتى بحق توجيه الهجاء لمن يشاؤون حتى لقيــادة الحزب دون أن يرد عليهم أحــد — الا أن ديمقراطيتهم لم تتسع لنشر الرأى الآخر فى مجلتهم هــذه •

ولم يتمكن السكرتير الأول لحزب الوحــدة الشعبية اليمنى الرفيق جار الله عمر من نشر مقالة فى عــدد أكتوبر ١٩٨٧ من « الحكمة » الذى رد فيه على تهجمات عمر الجاوى على الحركة الوطنية وأحزابها ونظامها الثورى فى جنوب الوطن ، الا بعــد أن تمسك بحقه فى نشر رده • وكان الامتناع عن ذلك أمرا لا خيار فيه •

ولأن هــذا المقــال يعبر عن موقف حزب الوحــدة الشعبية اليمنى من اطروحات الجاوى ومن ينحـــو نحــوه من المثقفين الاصلاحيين داخل اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، فأنه من المفيد اعادة التأكيد على أهمية ما جاء فيه •

غير أننا لا نملك هنا سوى ايراد بعض فقرات من ديباجته تؤكد الحاجة الى مناقشة الجاوى : « دأبت مجلة الحكمة — لسان حال اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين — مؤخرا فى الأعــداد ١٣٧ — ١٣٨ — ١٣٩ على نشر سلسلة من المقالات والافتتاحيات ، كرست فى معظمها لمناقشة موضوعات سياسية عــديدة كالديمقراطية والقضية الوطنية ومسألة اعادة توحيد الوطن بالذات ، وتعرضت فى سياق ذلك لمواقف القــوى والأحزاب والسلطات فى كلا شطرى البلاد ، وخصت الأحزاب والقــوى

الوطنية والنظام الوطنى الديمقراطى فى الجنوب بالنقـد ، بل الاتهام أحيانا ، الأمر الذى استدعى ويستدعى المناقشة والحوار الذى نحرص أن يكون موضوعيا ما أمكن .

ومهما يكن الاختلاف فى وجهات النظر ، وأيا كانت آراء الحكمـة وانتقاداتها التى تتفق مع القليل منها ، وتختلف مع أكثرها ، فان المقام يستدعى التأكيد على أن ما تفعله هيئة تحريرها فى طرح وجهة نظرها انمـا هـو من قبيل استعمال حق مكفول فى دستور ومواثيق هـذا النظام الذى يقـوده الحزب الاشتراكى اليمنى ، وهى شهادة واقعية على مدى استيعاب سلطة الكادحين لطبيعة ومهام المرحلة الراهنة ، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشتراكية ، التى تتميز بها بحكم طابعها الانتقالى بتواجـد العـديد من القـوى والشرائح الاجتماعية غير الكادحة التى بقـدر ما تساهم فى العمل والانتاج ترغب فى التعبير عن وجهات نظرها السياسية ، بمـا فى ذلك نقـد واعتراض سياسات الحزب وبرامجه الاقتصادية والاجتماعية .

فان تنزل (الحكمة) الى المكتبات لبضعة أعـداد متوالية وبين وفتيها افتتاحيات ومقالات تناهض سياسات وأفعال النظام القـائم ، وهى سليمة معافاة مكتملة الجمل بلا أخطاء مطبعية غير عادية أنيقـة الشكل والمظهر وفى وقتها المحـدد دلالة على أن مقص الرقيب معطل عن العمل ، وعلى أن عمال الطباعة ـ وجلهم أعضاء فى الحزب الاشتراكى اليمنى ـ يدركون أهمية حـق التعبير عن الرأى وضرورة أن يتسع صـدر هـذه التجربة الثورية للرأى والرأى الآخر المخالف .

وفوق هـذا وذاك أن لهـذا النظام سياسة تعمل على التطـابق بين القول والفعل ، كأن ترفع شعار الديمقراطية وتطبقه بالملموس ، حتى وان كان هـذا التطبيق يطالها هجـوما وتعريضا .

بيد أن الديمقراطية لا تعنى الصمت على الخطأ ، وتقبل الاتهامات على عواهنها ، بل تعنى الحوار والمناقشة وحق كل شخص أو حزب فى تقديم وجهة نظره والدفاع عنها • وبما أن موضوع الوحدة اليمنية كان محور أحاديث ومقالات الأخ عمر الجاوى على صفحات أعداد (الحكمة) فأن من الأهمية بمكان مناقشة تلك الآراء ، وتفنيد غير الصحيح منها ، حتى يعاد للحقيقة اعتبارها ، ولا سيما فى قضية كهذه كانت وما برحت تأخذ بلباب الجماهير اليمنية ، واحتلت على الدوام مكانة رئيسية فى برامج ونضالات القوى والأحزاب الوطنية والديمقراطية اليمنية ، وانه لأمر يدعو الى الابتهاج أن يكثر اليوم دعاتها ، غير أن من المهم ألا تعوم هذه القضية وتغدو موضوعا للمناورة ، أو شيئا أسطوريا يثير خيال الشعراء ، ويلهب حماس الكتاب والخطباء دون برنامج عملى واقعى ، وأسس فعلية تؤدى الى تحقيقها على الأرض ، ومن أجل الناس » (ص ٢٣ — ٢٥) •

ولأنه كان هناك حجر على الأقلام أن تناقش « الحكمة » سواء على صفحاتها أو على نطاق الصحافة اليمنية الديمقراطية ، فأن المقالات المنشورة هنا لا تعدو أن تكون « فلتة » فرضتها الظروف فرضا ، ولم يكن الى حجبها من سبيل حين نشرت فيها •

وهى على قلتها شاهد على أن صاحبها كان أول من نبه أو دق جرس الانذار لما تحمله مجلة « الحكمة » من دعوة خطيرة ازاء قضية الوحدة اليمنية تقوم على تسطيح الوعى بها ، وتزييف مفهومها الوطنى الديمقراطى ، واخراجها من سياق حركة الثورة وحركة التاريخ ، وتحولها الى شىء قابل للتحقيق حتى بين القوى المتضادة والمصالح الاجتماعية والتوجهات السياسية والرؤى الأيديولوجية •

وتتوقف مقالات هذا الكتاب أمام نمطين من المثقفين : المثقف التقليدى •• والمثقف العضوى — حسب توصيف جرامشى — المثقف

المتأمل المتفرج اللامبالى بحركة الصراع الاجتماعى والحياتى من حوله ، والمثقف المناضل المقاتل الملتزم المنخرط فى معمان الكفاح الشامل من أجل تحرير وتقـدم ووحـدة وطنه ، والممتزج بحركة النضال التقدمى القومى والأممى • وتبرز المقالات مواقف عبد الله باذيب ازاء ذلك كله ، وتجـد فيه مثلا نموذجيا للمثقف العضوى الملتزم ، مدللـة على ذلك بكتاباته الريادية المبكرة ازاء القضية الوطنية والاجتماعية وفى ميدان الصحافة والأدب ، ثم ازاء ضرورة خلق الحزب الطليعى ، وانطـلاقه فى ذلك كله من الربط الواعى بين الأيديولوجية والثقافة •

فالكتاب اذن هـو مجموعة مقالات تمثل وجهة نظر الكاتب فى أكثر من قضية من قضايا الثورة اليمنية ، بكل ما تخللهامن جـدل ومساجلات مع وجهات نظر أخرى •

ولأن وجهات النظر هـذه قـد اتسمت بهـذا القـدر أو ذاك من التحامل والهجوم الشخصى ، فأن الكاتب لم يستطع أن يمنع نفسه من حـق الرد دون الوقـوع فى مصيدة تجريح ذات أحـد ـ بقـدر ما استطاع وأمل ـ •

ولأن كل ما كتب غـدا وثائق للتاريخ ، فانه لا يملك الا تقـديمها كما هى •

وأخيرا فأن الكتاب يتعلق أساسا بحقب معينة من تاريخ الثورة • وهـو من ثم لا يلقى نظرة على مستقبلها تاركا ذلك لكتب أخرى ربما كان من ضمنها « الثورة والديمقراطية •• والوحدة اليمنية » الذى يجمع بين النظرة الى ماضى الثورة وحاضرها ومستقبلها ، والذى يرجـو أن يرى النـور قريبـا •

دكتـور

محمد على الشهارى

القسم الأول

حـول الوحـدة اليمنيـة

الوحـــدة اليمنية قضـية من قضـايا
الثـورة اليمنيـة المعـاصرة(*)

وحـدة بلد من البلدان ، واعادة توحيده . أو اقامة وحـدته ، عملية من عمليات التطـور التاريخى ، التى تحكمها ظروف الزمان . والمكان ، والبنية الاجتماعية ــ الاقتصادية القائمة ، والطبقة الاجتماعية السائدة والممسكة بزمام حركة الأحـداث .

ووحـدة البلدان ، واقامة دولها المركزية الموحـدة ، كانت من البداية عملية طبقية ، وايذانا بوجود مجتمع طبقى لم يكن موجودا من قبل ، تتحكم فيه طبقة واحـدة من خلال أجهزة الدولة التى اقامتها . وصبغتها ، وسخرتها لغرض مصالحها وارادتها ومفاهيمها على حساب كافـة طبقات وفئات المجتمع الأخرى .

الدولة نتاج المجتمع الطبقى :

ولم تقم هـذه الوحـدة الا فى مرحلة متطورة نسبيا من حيـاة المجتمع ، ذلك أنه فى ظل سيادة العلاقات القبلية ، والصراعات الدموية بين القبائل شبه المستقرة لم يكن ممكنا وجود وحـدة بينها ، وقيـام

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٧/٢/٢٦ .

دولة توحـد اقاليمها غير المحـددة المعالم ، وتضع حـدا لقانون الثأر والثأر المضاد الذى يسود بينها •

فقط عندما وجـدت الزراعة ، واستقر الناس فى الأرض ، وأخذو فى استثمار خيراتها بأدوات الانتاج المتاحة ، وعندما نشأت الملكيـة الخاصة ، وبرزت من بين مالكى الأرض جماعة من الناس تملك أكثر من سواها ، وتستخدم فى زراعة الأرض جماعات أخرى من الناس تملك حتى قتلهم ، أسمتهم العبيد ، فقط عندما حـدث ذلك ، أى عندما ظهر المجتمع الطبقى ، مجتمع السادة والعبيد ، المجتمع العبودى ، أمكن أن توجـد الدولة باعتبارها مؤسسة قمع طبقى للسادة ضـد عبيدهم ، ومن أجـل المحافظة على سيادتهم المطلقـة ، ومصالحهم المـادية ، وجاههم الاجتماعى ، وتفوقهم الروحى •

والأرض التى قامت عليها هـذه الدولة أطول فترة ممكنة ، ونشأت بين سكانها بمختلف طبقاتهم وفئاتهم علاقات مشتركة ، وأواصر عامة ، تصبح بذلك وطنا قوميا للجميع ، وتصبح لغـة أفرادها لغـة الجميع ، كما يصبح اقتصادها رغم استئثار طبقة السادة به من صنع الجميع ، وحتى الانتصارات التى تحققها هـذه الدولة على غيرها من الدول أو الفتوحات التى تقـوم بها ضـد بلدان أخرى ، يشترك فى تحقيقها الجميع ، وتصبح عنوانا من عناوين مجـد هـذه الدولة ، كما أن الهزائم التى قـد تمنى بها تحسب على الجميع •

دور البرجوازيات الغربية فى اقامة الدولة القومية :

غير أن البلد الموحـد ، الذى قـد تنجز وحـدته طبقة السادة أو طبقة الاقطاع ، قـد يتعرض للتجزئة الاقطاعية ، والاقليمية ، بل وحتى القبلية ، والطائفية ، اذا ما سـاعدت الظروف الداخلية والمحيطـة على ذلك •

غير أن هـذه التجزئة لا تلغى الصفة « القومية » الذى إكتسبها عبر فترة تاريخية كاملة ، كان يحكم فيها من قبل دولة مركزية واحدة .

ان هـذه السمة « القومية العامة » التى عرف بها عبر التاريخ ، هى التى تشكل مصـدرا حيويا من المصادر الحافزة والدافعة للطبقـة البرجوازية الناهضة للعمل على انهاء تجزئته الاقطاعية ، والاقليمية ، والطائفية ، وتوحيد سوقه الوطنى ، واطلاق حرية الحركة التجارية فيه ، ووضع اليد على مصادر ثرواته الخام .

غير أن تصـدى البرجوازية لهـذه المهمة التاريخية الصعبة التى بانجازها تقوم الدولة المركزية الموحدة الحديثة ، أى الدولة القومية ، تحت قيادة البرجوازية ذاتها ، يقتضى من البرجوازية الدخول فى حرب أهلية مـع امراء المقاطعات الاقطاعية ، حتى يتم اخضاعهم لمنطـق التوحيد ، ودمج مقاطعاتهم فى كيان الدولة الوطنى .

لقـد كان توحيد ايطاليا وألمـانيا نمطا نموذجيا لهـذا الطراز من التوحيد الذى استخدمت فيه البرجوازية القوة .

ارتباط قيام الدولة الوطنية الحـديثة بالتحرر من الاستعمار وركائزه :

وفى ظل النظام الاستعمارى الذى أخـذ يطبق على الكرة الأرضية منذ القرن التاسع عشر والذى عمل على تقسيم العالم ، بل وتقسيم الأوطان ، بين الدول الاستعمارية المتصارعة ، غـدت عملية توحيـد الأوطان أكثر صعوبة وتعقيدا .

فلم يعـد انجاز مثل هـذه المهمة التاريخية والوطنية متوقفا على التغلب على التجزئة الاقطاعية ، والاقليمية ، والطائفية ، والقبلية — ان وجـدت — وانما متوقفا أيضا على التحرر من الحكم الأجنبى . وبذلك اقترنت عملية توحيد الوطن بعملية تحريره ..

وبذلك غـدا النضـال ضـد الاقطـاع ، والتجزئة الاقطاعية والاقليمية والطائفية التى أوجـدها ، مندمجا بالنضال ضـد الاستعمار الذى اتخـذ من الاقطاع والتجزئاه التى أوجـدها ركائز محليـة من ركائز نفـوذه وأساسا من أسس استمرار سيطرته .

ليس هـذا فحسب . فالطبقة البرجوازية الفتية المكتملة التكوين التى تمكنت من اقامة الدول القومية البرجوازية فى الغرب ، غير موجودة بكل هذه السمات فى البلدان النامية المستعمرة ، وشبه المستعمرة والتابعة .

فهى فى الأغلب الأعم طبقة غير صناعية ، غير منتجة ، وهى موزعة بين كومبرادورية مرتبطة بالرأسمال الأجنبى ، ووسطى ، وصغيرة .

تواطؤ القوى الاقطاعية والكومبرادورية العربية مع الاستعمار :

واذا كانت البرجوازية الكومبرادورية قـد غـدت شأن الاقطاع — أكثر ما تكون ارتباطا بالنظام الامبريالى ، وأبعـد ما تكون عن قيادة أوطانها على طريق التحرير الوطنى ، والتوحيد القومى ، فان ما استطاعت البرجوازية الوسطى والصغيرة عمله هـو الوصول بحركة التحرر الوطنى عند نقطة معينة ، دون أن تبلغ بها مشارف النصر الكامل ، ودون أن تتمكن من انجاز عملية التوحيد القومى .

ان هـذا التحليل ينطبق — بصفة خاصة — على حركة التحـرر الوطنى العربية ، التى عجز الاقطاع العربى — رغم قيام ما اسمى بـ « الثورة العربية الكبرى » التى قادها شريف مكة الحسين من أجـل الانفصال عن الامبراطورية العثمانية ، واعلان دولة العرب الموحـدة — تحت قيادته — عجز عن قيادتها وآثر التواطؤ مع المستعمر ، والقبول بفتات موائده .

وهـو ما فعلته البرجوازية الكومبرادورية فى كل قطر عربى حيث قبلت ــ شأن الاقطاع ــ بالتعاون مع المستعمر ، وتركت جانبا قضية التحرير الوطنى والتوحيد القومى .

عجز البرجوازية الوسطى والصغيرة عن تحقيق الوحـدة القومية :

أما البرجوازية الوسطى والصغيرة ، فان غصارى ما انجزته هو اقامة أنظمة وطنية تقـدمية فى هـذا القطر العربى أو ذلك ، ما لبث أن انتكس بعضها ، وأخـذ بعض منها يترنح ، فى الوقت الذى يواجه فيه بعضها الآخر حصارا ضاريا من قبل قوى الاستعمار والاقطـاع والكومبرادورية فى المنطقة .

أما قضية التوحيد القومى ، فقـد ظلت بعيدة عن التحقيق ، رغم كل ما قيل حولها ، ورغم أكداس الخطب والكتب والشعارات التى وضعت فيهـا .

وحتى الوحـدات أو الاتحادات التى قامت بين بعض هذه الأنظمة لم يكتب لهـا البقاء ليس فحسب بسبب تكالب قوى الاستعمار والاقطاع والكومبرادورية ضـدها ، وانما أيضا نتيجة الخلل الاستراتيجى الداخلى الذى صاحب نشأتها ، ولازمها ، حيث ظلت الجماهير العريضة مبعـدة ومحرومة من الديمقراطية ، ومن ثم محرومة من الاسهام فى اقامة وتصليب وتعميق وتطوير هـذه التجارب الوحـدوية أو الاتحادية ، مما ساعد على سقوطها ، أو تعثرها ، أو تجمدها .

قيام وتمزق الدول المركزية اليمنية بين براثن الاقطاع :

وبالنسبة للوطن اليمنى الذى أمكن للاقطاع اليمنى خلق وحـدته الاقليمية ، واقامة دولته المركزية الموحـدة قبل الاسلام ، كان أبرز

نموذج لهـا دولة ذى يواس الحميرى ، والتى سقطت تحت سـنابك جيش أبرهـه الحبشى عام ٥٢٥ م ما لبث أن واجـه محنة التجزئة الاقطاعية ، والاقليمية ، والطائفية ، والقبلية ، التى سهلت الغـزو الحبشى ، ومكنت القوى الأجنبية الأخرى من الطمع فيه •

ورغم المحاولات المتكررة التى بذلها هـذا الفريق الاقطاعى أو ذاك من أجـل اعادة توحيد اليمن تحت حكمه ، ورغم النجاحات التى تحققت فى بعض الفترات التاريخية ، وبصورة خاصة فى ظل الرسوليين ، والصليحيين ، والقاسميين ، حيث كانت هناك دولة مركزية واحـدة فى الأغلب الأعم ، الا أن السمة العامة السائدة كانت هى التجزئة والصراعات والحروب الأهلية التى لا تنتهى بين قـوة الاقطاع واشباه الاقطـاع من ملوك وأئمة وامراء وسلاطين ••• الخ •

عجز الاقطاع وتقاعس الكومبرادور عن تحقيق وحـدة اليمن :

ان آخر محاولة قام بها الاقطاع القبلى لتوحيد اليمن هى تلك التى قام بها الامام يحيى حميد الدين بعـد قيام الدولة المتوكليـة فى صنعاء اثر انتهاء الحرب العالمية الأولى وخروج الأتراك من اليمن ، حيث لم يوحـد أكثر من الرقعة التى تقوم عليها الجمهورية العربية اليمنية اليوم ، وعجز عجزا تماما عن مد سلطانها شمالا وجنوبا على كامل الأرض اليمنية •

لقـد أعلن الاقطاع اليمنى بذلك افلاسه وخروجه نهائيا من حلبة الصراع من أجل تحرير وتوحيد الوطن •

والجناح الاقطاعى المعارض المدعوم من البرجوازية الكومبرادورية الناشئة لم يطرح قضية تحرير وتوحيد الوطن ، وقنع بالدعوة لاصلاح وتحسين أوضاع الدولة القائمة فى شمال الوطن ، بما يسمح لـه من الاشتراك فى ادارتها •

أما قوى الاقطاع والكومبرادورية فى جنوب الوطن اليمنى فكانت قد سيطرت عليها روح الانفصالية التى لعب الاستعمار البريطانى دورا حاسما فى تعميقها •

الطبقة العاملة اليمنية تطرح قضية الوحدة على أسس جديدة :

ولم تطرح قضية الوحدة اليمنية مرة أخرى — ولكن على أسس جديدة هذه المرة — الا من قبل الطبقة العاملة الناشئة التى انحدرت من كل ركن من أركان اليمن وتمركزت فى عدن ، حيث مصافى البترول ، وميناء عدن ، والمرافق الأخرى التى حتمها وجود المستعمر •

ومنذ البداية اقترن مطلب الوحدة اليمنية ، بمطلب التحرر من الاستعمار ، ومطلب الديمقراطية ، بما يعنيه ذلك من ضرورة الخلاص من حكم الاستبداد الامامى ، والسلطانى •

نحو يمن ديمقراطى موحد :

ولقد عبرت الحركة والوطنية ، ممثلة فى الأحزاب والتيارات القومية ، من قوميين عرب ، وبعث ، وناصريين ، عن هذه المطالب بدرجات متفاوتة من الوعى والعمق •

وكانت صياغة عبد الله باذيب لها ، وبلورته لها فى شعاره المعروف : « نحو يمن حر ديمقراطى موحد » هى أقوى وأرصن الصياغات المعبرة عن رؤية الطبقة العاملة تجاهها •

والحقيقة الموضوعية التى تكشفت أمام الحركة العمالية وطلائعها ، وأمام أطراف الحركة الوطنية الأخرى — وان بدرجات متفاوتة — هى أن التوحيد الوطنى لليمن مرتبط ارتباطا لا ينفصم بالتحرر من الاستعمار البريطانى ، وركائزه من القوى الاقطاعية وشبه الاقطاعية

والكومبرادورية ، ومن الاقطاع اليمنى عموما ، وعلى رأسه الحكم الاقطاعى الاستبدادى فى شمال الوطن .

ثورة سبتمبر وأكتوبر وقضية الوحدة :

ولقد عبرت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م عن انقاسم المشترك بين كل أطراف الحركة الوطنية ، حين تضمنت أهدافها الستة القضاء على الاستبداد والاستعمار وأعوانهما ، وتحقيق الوحدة الوطنية فى اطار الوحدة العربية ، وحين نهض النظام الجمهورى الوليد بمسئولياته الوطنية ازاء قضية تحرر جنوب اليمن المحتل ، وحين قدم الدعم المادى والسياسى والمعنوى لثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م التى كانت عمليا امتدادا حيا ومتفجرا لثورة سبتمبر ، وتعبيرا عن المدى المتقدم الذى كانت قد بلغته الحركة الوطنية فى جنوب الوطن .

على أن قضية الوحدة اليمنية ، وغيرها من القضايا الوطنية الديمقراطية قد شهدت بلورة أكثر على يد ثورة ١٤ أكتوبر ، بدءا من « الميثاق الوطنى » الذى أقره مؤتمر الجبهة القومية فى يونيو ١٩٦٥ م وانتهاء بآخر وثائقها مجسدة فى برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى ، وما عناه من وثائق أهمها وثائق المؤتمر التأسيسى للحزب الاشتراكى اليمنى فى أكتوبر ١٩٧٨ م .

الوحدة اليمنية قضية من قضايا الثورة اليمنية المعاصرة :

ان ذلك يعنى تماما أن قضية الوحدة اليمنية لم تعد خاضعة لصراعات ومنازعات قوى الاقطاع اليمنى ، ترفعها فى مواجهة بعضها بعضا حينا ، وتتخلى عنها حينا آخر ، وانما غدت قضية الحركة الوطنية منذ ميلادها فى منتصف الخمسينيات ، وقضية الطبقة العاملة التى رفعت لواءها ، وهتفت بشعاراتها ، وسكبت من أجلها دماءها ، وقرنتها بشعارات

التحرر الوطنى من الاستعمار ، والتحرر السياسى والاجتماعى من الاستبداد والاقطاع والبرجوازية الطفيلية الضالعة مع المستعمر •

وذلك يعنى أيضا أنه بنشوب الثورة اليمنية المعاصرة التى غـدت ثورة ١٤ أكتوبر بما بلغته من تطور تجسيدا لمسارها التاريخى الحتمى على نطاق الساحة اليمنية كلها ، أصبحت الوحـدة اليمنية قضية هـذه الثورة وايقاعا من ايقاعاتها •

وحيث ان هـذه الثورة ذات طبيعة وطنية ديمقراطية وتوجـه اشتراكى ، فان قضية الوحـدة جزء لا يتجزأ من هـذه الطبيعة العامة للثورة ، وبعـد ضرورى من أبعادها •

ولأن القوى الاجتماعية التى توجـه المسار التاريخى لهـذه الثورة هى قوى الثورة الوطنية الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى من عمال وفلاحين ومثقفين ثوريين ، وقـوى كادحة ومناضله أخرى ، فان هـذه القوى هى المؤهلة أيضا لقيادة حركة التوحيد للوطن اليمنى •

ان معالجة قضية الوحـدة اليمنية ضمن هـذا السياق التاريخى لحركة التطور الوطنى الاجتماعى اليمنية باعتبارها شيئا منه ، وتخضع للقوانين الاجتماعية التى تحركة وتتقـدم بتقـدمه ، لا تستبعد النظرة المثالية والمجردة والقاصرة والجهول لقضية الوحـدة فحسب ، وانما هى تكشف أيضا القوى والامكانيات الحقيقية القادرة على تحقيق الوحدة •

واذا كانت قوى الاقطاع والكومبرادور لا تشكل — بحكم مصالحها الرجعية وارتباطها المصلحى بالقوى الاستعمارية والرجعية فى الخارج — سوى عقبـة على طريق الوحـدة ، فان من مصلحة البرجوازية الصغيرة وقطاع من البرجوازية الوسطى الاسهام فى تحقيق الوحـدة •

دور الحزب الاشتراكى اليمنى الطليعى فى تحقيق الوحـدة :

غير أن القوى القائدة لعملية التوحيد الوطنى ، هى ذات القـوى القائدة للعملية الثورية اليمنية بمجملها : قوى العمال ، والفلاحين ، والمثقفين الثوريين ، والكادحين الآخرين — والمشكلة جزءاً من العمليـة الثورية العالمية .

ولا حاجة الى القول بأن الحزب الاشتراكى اليمنى يلعب فى هذا الصـددالدور الطليعى . ان ذلك هـو مغزى ما أكدت عليـه وثائق الحزب التى نبهت جميعها الى أنه تقـع على كاهـل الحزب والحركة الوطنية اليمنية عموما مهمة انجاز كامل أهـداف الثورة الديمقراطية والتقـدمية ، بمـا فيها مهمـة تشديد النضال ، وتعبئة كل الطاقات ، لتحقيق وحـدة الأرض والشعب اليمنى على أسس تستجيب لمصالح وتطلعات أوسع جماهير الشغيلة والكادحين على امتداد الأرض اليمنية ، حتى ترتبط قضية الوحـدة ارتباطا لا ينفصم بقضية التحرر الوطنى من التبعية وبقضية التحرر الاجتماعى من الظلم ، وحتى يصبح اليمن الديمقراطى الموحـد ، حلم الملايين من جماهير الشعب غـاية قابلة للتحقيق ، وخطوة هامة على طريق تعزيز النضال من أجل تحقيق الوحدة العربية التقـدمية وعلى طريق تعميق التلاحم الثورى بقوى العمليـة الثورية العالمية ، وفى مقـدمتها دول المنظومة الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحـاد السوفيتى .

ومن ذلك كله يتضح أنه على من يؤمنون بقضية الوحـدة اليمنية ، أن يؤمنوا أولا بالقضية الكلية التى لا تعـدو أن تكون الوحـدة احـدى مهامها ، وهى قضية الثورة اليمنية المعاصرة بطابعها الوطنى الديمقراطى ، وآفاقها الاشتراكية ، وان يعملوا جنبا الى جنب مع قواها الحيـة والفعالة ، لكى تتحقق جميع أهـدافها ، بما فيها هـدف الوحـدة اليمنيـة .

الوحـــدة اليمنية
من المؤتمـــر الأول للجبهة القـــومية
حتى الـــكونفرنس الحزبى العام(*)

منذ البداية كان البعـــد الاجتماعى لثورة ١٤ أكتوبر واضـــحة للعيان • ولم تخل وثيقة من وثائقها المعلنة من الاشارة اليه • ومع كل وثيقة جـــديدة توضع ، كان هـــذا البعـــد يتوضح ويتبلور أكثر فأكثر •

وبذلك كانت ثورة ١٤ أكتوبر ثورة وطنية وثورة اجتماعية فى وقت واحـــد ، ثورة وطنية ضـــد المستعمر ، ومن أجل تحقيق الاستقلال الوطنى والسيادة السياسية ، وثورة اجتماعية ضـــد القوى الطبقية والسياسية المرتبطة به أو الدائرة فى فلكه ، والتى عانى الشعب طـــويلا من جورها واستبدادها •

وضمن هـــذا الاطار وضعت قضية الوحـــدة اليمنية ، حيث لم ينظر اليها باعتبارها قضية وطنية فقط ، وانما باعتبارها أيضا قضية اجتماعية ، من حيث أن تحقيقها لن يتم بعملية جمع حسابية ، وانمـــا بعملية طرح حسابية ، تستبعد القـــوى الاجتماعية والسياسية التى

(*) نشرت فى « صـــوت العمـــال » على حلقتين فى ١٩٨٧/٧/٢٣ و ١٩٨٧/٧/٣٠ •

تتناقض مصالحها مـع اقامة دولة يمنية وطنيـة ديمقراطيـة موحـدة متحـررة •

كان الحس الوطنى والحس الطبقى المتلازمان هما ما ميزا الجبهة القومية منذ لحظة الميلاد ، وهما وراء ما حـدث من صراع بينها وبين جبهة التحرير ووراء ما حـدث من نزاع مع الجناح اليمينى فيها حتى قبل تحقيق الاستقلال • بل ان هـذا الحس الوطنى ـ الاجتماعى حكم نظرة الجبهة القومية ازاء قضايا الوطن العربى والعالم النامى وازاء البلدان الاشتراكية والدول الامبريالية •

وبالرجوع الى « الميثاق الوطنى » الذى اقره المؤتمر الأول للجبهة القومية الذى عقـد فى تعز ما بين ٢٢ ـ ٢٥ يونيو ١٩٦٥ ، والذى مثل أول وثيقة برنامجية معلنة ، يتضح جليا هـذا الحس النضالى المعادى ليس للاستعمار فحسب ، وانما أيضا للاقطاع والبرجوازية ، والنابض يقيم الثورة الوطنية والثورة الاجتماعية الى حـد الحـديث عما أسماه « الاشتراكية الثورية » •

هـذا الحس الشعبى هـو الذى مكن تنظيم الجبهة القومية من حشد جماهير واسعة حوله من مختلف الطبقات والقـوى الاجتماعية ذات المصلحة فى التحرر الوطنى والتحرر الاجتماعى ، بدءا من عمـال المصافى فى عـدن ، مرورا بالفئات البرجوازية الوسطى ، وانتهـاء بالفلاحين وهـو الذى مكنـه من ان يكون الحلقة الوسطى بين مجمل التنظيمات الوطنية فى الساحة اليمنية ، وهـو الذى أتاح لـه قيادة الثورة بنجاح حتى تحقيق الاستقلال ، وهو الذى ساعده على التغلب على الجناح اليمينى فيه الذى أراد تعطيل المحتوى الوطنى الديمقراطى للثورة ، هـذا المحتوى الذى أبرزته بقـوة وجلاء حركة ٢٢ يونيـو التصحيحية ١٩٦٩ •

بل ان هـذا الحس الشعبى هـو الذى ساعد تنظيم الجبهة القومية على تحقيق ذلك النمو الفكرى والتطور النظرى اللذين دفعا به خطوة حاسمة الى الأمام فى اتجاه اعتناق مثل الاشتراكية العلمية ، وخلقـا أرضية مشتركة مع الفصائل الديمقراطية الأخرى قـام عليها التنظيم السياسى الموحـد — الجبهة القومية كخطوة انتقاليه نحـو قيام الحزب الطليعى : الحزب الاشـتراكى اليمنى ، الـذى بعيـامه وجـدت الضمانة السياسية الحاسمة لانجـاز كامل مهـام الثورة الوطنية الديمقراطية ، التى تمثل الوحـدة اليمنية واحـدة منها ، ولتحويلها الى ثورة اشتراكية •

وهـذا الحس الشعبى هـو الذى مكن الثورة وحزبها القائد من تجاوز جميع المنعطفات الحادة التى اعترضتها — والتى كانت أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ المـأساوية ذروتها العليا — وهـو الذى سيمكنهـا باستمرار من المضى قـدما الى الأمام — أيا كانت المصـاعب التى ستواجهها •

وبهـذا الحس الشعبى تعاملت الجبهة القومية مع قضية الوحدة اليمنية • ذلك ما يتضح من أول وثيقة برنامجية الى آخر وثيقة حزبية •

« والميثاق الوطنى » يؤكد على أن اعادة وحـدة شعبنا العربى فى اقليم اليمن شماله وجنوبه ، سيرا نحو وحـدة عربية متحررة ، مطلب شعبى وضرورة تفرضها متطلبات الثورة ، ويجب أن تتم على أسس شعبية وسليمة » • (ص ٧٩) والبيان السياسى الصادر عن القيادة العـامة المنتخبة فى مؤتمر الجبهة القومية الرابع فى زنجبـار بتاريخ ٩ مارس ١٩٦٨ م نص على أنه « بالرغم من أننا حققنا طرد المستعمر ، والقضاء على النظـام السلاطينى شـبه الاقطـاعى فى جمهورتنـا » •

الا أنه يجب ألا يغرب عن بالنسـا أن تحررنا الوطنى لن يتحقق بشكله السليم الا بانتصار ثورتنا فى الشمال وتحقيق وحـدة الاقليم اليمنى ليتحمل مسئوليته التاريخية تجاه الخليج العربى وعموم الجزيرة العربية فى القضاء على الامبريالية العالمية والرجعية » « أزمة الثورة فى الجنوب اليمنى • نايف حواتمة ، بيروت ١٩٦٨ ، ص ٢٤٥ — ٢٤٦ » •

أما « برنامج التنظيم السياسى للجبهة القومية لمرحلة الثـورة الوطنية الديمقراطية » الذى أقره المؤتمر الخامس الذى عقـد ما بين ٢ — ٦ مارس ١٩٧٢ فقـد بلور المحتوى الوطنى والاجتماعى للوحـدة اليمنية ، واعتبر النضال من أجـل تحقيقها احـدى القضايا الأساسية للثورة اليمنية ، وأكد أن الوحـدة اليمنية بصفتها بعـدا من أبعـاد الثورة الوطنية الديمقراطية هى قضية قوى هـذه الثورة وان أعـداء هـذه الثورة الطبقيين والسياسيين على نطاق الساحة اليمنية هم أعداء الوحـدة اليمنية •

ولا نملك ايراد كل الفقرات الخاصة بذلك ، مكتفين ببعض منها :

« ان الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية مرتبطـة جـدليا على امتداد طول وعرض الساحة اليمنية ، وان هـذا الترابط الجـدلى مرتبط بترابط جـدلى آخر ، يتمثل بطبيعة المصالح المتناقضة والمتضادة للقـوى الطبقية والسياسية فى الاقليم •

ان أعـداء الشعب اليمنى لا يمكن فصلهم فى الجنوب عن الشمال ، وكذلك فان القوى صاحبة المصلحة فى التطور والتقـدم لا يمكن هى الأخرى فصلها فى الجنوب عن الشمال والعكس •

ان أية ردة رجعية أو تحولات تقـدمية تقوم فى أى شـطر من الاقليم لن تكون معطياتها التاريخية سلبا أو ايجابا على هـذا الشطر أو ذاك من الاقليم ، وانما يتعـدى ذلك ليشمل الاقليم كله •

أننا ندرك بأن أعــداء ثورة ١٤ أكتوبر فى الجنوب لن يقفــوا لوحــدهم ، بل سيقف معهم كذلك الأعــداء فى الشمال اليمنى ، والذين هم فى ذات الوقت أعــداء ثورة ٢٦ سبتمبر .

ولكن جماهير الشعب اليمنى ناضلت فى الشمال والجنوب من أجل حماية ٢٦ سبتمبر ، كما شاركت فى النضال ضد الاستعمارية البريطانى ، وسوف تستمر تناضل فى الاقليم كله من أجــل الدفاع عن ثورة ١٤ أكتوبر وتلاحم الثورتين اليمنيتين .

وهكذا ستستمر جماهير الشعب اليمنى فى الاقليم شمالا وجنوبا فى نضالها ، ولن تتوقف ولن تهــدأ حتى يحقق شعبنا اليمنى هــدفه الكبير المتمثل بقيام اليمن الديمقراطى الموحــد .

وأذا كانت المهام المباشرة فى الجنوب تحــدد بمهام الثورة الوطنية الديمقراطية فان هــذا لا يعنى على الاطلاق أنها غير مرتبطة بصلب النضال الوطنى الديمقراطى فى الاقليم ، بل أننا نقصد من ذلك بأن هناك مرحلة زمنية من النضال قــد تطول وقــد تقصر فى سبيل الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر ومن أجل الدخول فى تنفيذ مهــام الثــورة الوطنية الديمقراطية ، وتحقيق الوحــدة اليمنية » ص ١٣ — ١٦ .

ان مما يلفت الانتباه أن المؤتمر التوحيدى لفصائل العمل الوطنى الديمقراطى الثلاث الذى عقــد ما بين ١١ — ١٣ أكتوبر ١٩٧٥ والذى انبثق عنه قيام التنظيم السياسى الموحــد — الجبهة القومية كما أقر برنامج الجبهة القومية الآنف الذكر باعتباره برنامجا له ، أقر « التقرير السياسى المقــدم من قبل الرفيق عبد الفتاح اسماعيل الأمين العــام للتنظيم السياسى الموحــد — الجبهة القومية الى المؤتمر التوحيدى » .

وقــد أضــاف التقرير السياسى لمسات جــديدة حــول قضــية الوحــدة اليمنية لا محيص من الاشارة الى بعض منها :

« واذا كانت الثورة فى الشطر الجنوبى من الوطن قــد انتصرت . والثورة فى الشطر الشمالى من الوطـــن قــد واجهت العــديد من الصعوبات ، الا اننا نؤمن بوعى ادق أن الترابط الجدلى بين الثورتين لا يمكن أن ينفصم ، لان المسار التاريخى لثورتى شعبنا تصب فى التحليل الأخير فى مجرى واحــد .

واذا كانت الظروف قــد أدت الى التباين والاختلاف فى المهــام المرحلية المباشرة فى كلا الشطرين ، فان ذلك يعنى أنه اذا ما تكاتفت جهود الفصائل الوطنية الديمقراطية ، كذلك جهود كل الوطنيين الشرفاء ، تستطيع أن تواكب السير على نفس الطريق .

ومن هنا فان الاختلاف فى تنفيذ المهام المباشرة لكلا الشطرين تظل مرتبطة بالمرحلة التاريخية للثورة الوطنية الديمقراطية ، على اعتبار أن هــذه المرحلة التاريخية تلتقى فى مجراها مع ثورتى الشعب اليمنى فى الاقليم كله ، سيرا نحــو تحقيق استراتيجية الثورة اليمنية .

ان تنظيمنا السياسى الموحــد — الجبهة القومية باعتباره فصيلا رئيسيا فى الحركة الوطنية اليمنية ، وباعتباره التنظيم القائد للثورة فى اليمن الديمقراطية يؤكد بأن مواصلة السير على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية يحتم العمل الدؤوب من أجل تحقيق الهــدف الكبير لشعبنا اليمنى المتمثل بقيام اليمن الديمقراطى الموحــد .

ان الوحــدة اليمنية هى التعبير الأمين والصادق للمصالح المــادية والروحية لاوسع جماهير شعبنا اليمنى . انها التعبير الصادق والأمين لمبادىء وأهــداف مواصلة العمل الدؤوب لتوفير الأجــواء الصحيحة

لتحقيقها بواسطة الطرق السلمية ، وبمضـــامين وطنية ديمقراطية •
(المؤتمر التوحيدى ، أكتوبر ١٩٧٥ ، دار ابن خلدون ، بيروت ١٩٧٦ ،
ص ١٢٨ — ١٣٠) •

هــذا الربط الواعى بين الوحــدة اليمنية كشكل للدولة اليمنيه الموحــدة وبين المحتوى الوطنى الديمقراطى الذى ينبغى أن يكون لها • هــذا التشديد على أن هــذه الوحــدة السياسية لابد أن تكون معبرة عن المصالح المــادية والروحية للجماهير الشعبية ، هــذه المزاوجة بينها وبين الثورة الوطنية الديمقراطية ، هــذا التنبيه بأن انتصار الثورة فى اليمن الديمقراطية باقامتها نظاما وطنيا ديمقراطيا فيها يمكن أن يتواكب معه نضال كل الفصائل الوطنية وكل الوطنيين الشرفاء ، من أجــل اقامة اليمن الديمقراطى الموحــد ، سيرا نحو تحقيق استراتيجية الثــورة اليمنية — كل ذلك يجــد تعبيره الأقــوى ، وصياغته الأعمق فى برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أقر فى المؤتمر الأول للحزب ما بين ١١ — ١٣ أكتوبر ١٩٧٨ م •

غير أننا لا نملك الا تقــديم بعض الفقرات المتعلقة بذلك :

« وينطلق الحزب الاشتراكى اليمنى فى سياسته الوطنية من حقيقة مؤداها أن الحل الصحيح للقضية الوطنية والمتمثل فى وحــدة الأرض والمصالح والاداة يكتسب أهمية بالغة للحركة الثورية للجماهير الشعبية . من أجل تحررها الوطنى والاجتماعى » •

« ان تحقيق الوحــدة اليمنية يعتبر من أعظم وأنبل الأهــداف التى ترتبط بمصالح ومصير الشعب اليمنى باسره فى الحاضر والمستقبل • وليس من قبيل الصــدفة أن هــذه القضية كانت ولا تزال مثار الصراع النظرى والسياسى الحاد بين قوى الثورة اليمنية والقوى المعادية لها ،

فان الطبقات والعناصر الرجعية المستغلة المعادية للثورة والجماهير الكادحة كانت ولا تزال تطرح شعار الوحدة فى سبيل مصالحها التخريبية ، بغية الدفع بحركة شعبنا الوطنية التحررية الى طريق محاربة التحولات الثورية » « ان الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومعه جميع القوى التقدمية الأكثر اخلاصا وصدقا والأكثر استعدادا للتضحية من أجل اليمن الديمقراطية الموحدة فى الوطن اليمنى كله ، يرفض مثل هذا المفهوم للوحدة ، كما يرفض تلك لطرق لتحقيقها التى تحاول أن تعتمدها الرجعية • لذلك فان حزبنا لا يمكن أن يقبل بأن تخضع الوحدة اليمنية لمشيئة القوى الرجعية وأهدافها ، وسيناضل من أجل تحقيق الوحدة اليمنية بطابعها الديمقراطى لمصلحة أوسع جماهير الشعب • لذا فأن الوحدة اليمنية يجب أن تكتسب محتوى ديمقراطيا وان تخدم قضية الثورة اليمنية ••• »

« ان الحزب الاشتراكى اليمنى يرفض الأساليب الحربية والعدوانية لحل القضية الوطنية اليمنية وجميع محاولات الامبريالية والرجعية لفرض ارادتها على شعبنا ، كما يرفض تلك الطرق التى تؤدى الى تعزيز مواقع القوى الرجعية على حساب تضحيات الشعب اليمنى ومنجزاته • ويرى الحزب أن الطريق الى الوحدة اليمنية يتمثل فى الجهود المخلصة لجماهير الشعب اليمنى والحركة الوطنية الديمقراطية اليمنية وجميع المنظمات الجماهيرية • ويتطلب كل ذلك عملا واعيا ودؤوبا لكى تكون الوحدة اليمنية وحدة شعبية متينة وصلبة وقادرة على الاستمرار فى التطور نحو تحقيق مهام الثورة اليمنية » • « وعلى ضوء ذلك فان نجاحات ومنجزات اليمن الديمقراطية فى مجال بناء الحياة الجديدة تشكل نموذجا ايجابيا وعاملا مساعدا على تحقيق هذه المهمات لما فيه خدمة المصالح المادية والروحية لاوسع جماهير الشعب •

ان السلطة المركزية الموحدة بالقدر الذى تنهج سياسة داخلية

تخـدم أوسع جماهير شعبنا يفترض بالضرورة أن ننهج سياسة خارجية معادية للاستعمار الجـديد وتقف الى جانب نضال الشعوب العربية وحركتها الوطنية التحررية لتسهم بدورها فى النضال ضـد الامبريالية والصهيونية والرجعية ، وفى مساندة نضال حركة الثورة العالمية ونسج العلاقات المتينة معها ، وفى مقـدمتها البلدان الاشتراكية .

هنا يكمن فهم حزبنـا للمضمون الوطنى الديمقراطى للوحـدة اليمنية ، وسلطتها المركزية الموحـدة » . (ص ١٨ — ٢٢) .

لقـد شددت الوثائق التى أقرها الكونفرنس الحزبى العـام (الوثيقة النقـدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية) (١٩٧٨ — ١٩٨٦ م) وتقرير اللجنة المركزية للحزب الاشتراكى الذى قـدمه الرفيق على سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب ، (والبيان الختامى الصادر عن الكونفرنس الحزبى العام الذى القـاه الرفيق على سالم البيض) شددت على صواب وسلامة المعالجة المبدئية والعلمية لقضية الوحـدة اليمنية ، والقت مزيدا من الأضواء على سبل العمل الصحيحة الواجب السير فيها من أجل القضية الوطنية ، ممـا جعل من هـذه المعالجات الصائبة والأضواء الكاشفة اضافة هامة الى وثائق الحزب المقرة .

مرة أخرى لا نستطيع أن نقتبس هنا سوى بعض ما جاء فى وثائق الكونفرنس الحزبى العام الذى عقـد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ م حول هـذه القضية ، جاء فى التقرير السياسى : « لقـد كانت ولا تزال قضية وحـدة شعبنا اليمنى والقضاء على أوضاع التجزئة المؤلمـة التى يعانى منها شعبنا بشطريه واحـدة من أهم وأبرز القضايا المصيرية التى أولاها ويوليها حزبنا جل اهتمامه ووضعها على الدوام ضمن أولويات القضايا التى تتصـدر نضاله من أجل تحقيق كامل أهـداف استراتيجية

الثورة اليمنية فى التحرر الشامل ، والتقــدم الاجتماعى ، والوحــدة المتينة القائمة على أسس سليمة وديمقراطية ، تلبى تطلعات واشواق الكادحين اليمنيين فى بناء حياتهم الجــديدة الخالية من الظلم والقهر واستغلال الانسان لاخيه الانسان . من هــذا المنطلق حرص حزبنــا دوما على توحيد جهوده مع كل القوى الخيرة والشريفة على الساحة الوطنية اليمنية التى جمعنا ويجمعنا معها النضال من أجل انجاز الهدف العظيم لشعبنا ، والمتمثل فى اعادة تحقيق وحــدة الوطن اليمنى أرضا وشعبا على أسس سلمية وديمقراطية » .

« اننا ندرك أن طريق النضال من أجل انتصار قضية الثورة اليمنية ليس مفروشا بالورود ، ولكنه نضــال شاق وطويل محفوف بالمصاعب والعراقيل التى يزرعها وسيزرعها أعــداء الثورة اليمنية ، ولكننا على ثقــة من أن ارادة الشعب اليمنى بقيادة قواه الثورية والخيرة سوف تنتصر فى نهاية المطاف ، وتنهى الى الابد الحــدود المصطنعة والتجزئة التى فرضت على شعبنا من قبل أعــداء حريته وتقــدمه الاجتماعى ووحــدته » . (ص ٥٢ — ٥٤) .

أما (الوثيقة النقــدية التحليلية ...) فهى اذ تبرز المكانة الهامة التى تحتلها قضية الوحــدة اليمنية فى نضال الحزب وقــوى الثورة والتقــدم والشعب مجتمعة ، فأنها تؤكد بأوضح وأقــوى عبارة التناسج والترابط الكاملين بين الوحــدة والثورة ، بين الوحــدة اليمنية والتقــدم الاجتماعى ، بين القضية الوطنية والديمقراطية ، وتقول : « ويعتبر — أى الحزب — وحــدة الثورة اليمنية وأهــدافها ومصائرها التاريخية أمانة ومسئولية فى أعناق الثوريين اليمنيين ، وهى لذلك أمانة ومسئولية الحزب الاشتراكى اليمنى » .

وكما تؤكد أهمية الحوار الديمقراطى والمسئول حــول قضــية

الوحـــدة وحـــول الخطوات الممكن والواجب انجازها على طريقهـــا بالاتفاق بين قيادة الشطرين ، فأنها تضـــــع الوحـــدة فى يد الجماهير العريضة صاحبة المصلحة الأساسية فيها : « ومن الضرورى مواصـــلة العمل بشكل دائب لتعميق العلاقات الاخـوية بين جماهير الشـــعب فى الشـــطرين .

ويمكن للمنظمات الجماهيرية والاجتماعية والمهنية والابداعية فى اليمن الديمقراطية التى يتوفر لهـــا فى شمال الوطن مثيل ذو قاعـــدة جماهيرية وبناء ديمقراطى وشامل أن تقوم بدورها فى تعميق العلاقات الجماهيرية والنضال الديمقراطى فى الشطرين ، لخـــدمة مصالح الكادحين والمنتجين والمبدعين وتوحيد طاقاتهم فى مجرى النضال من أجل انتصار أهـــداف الثورة اليمنية » .

« أن من الضرورى أقصى ضرورة مواصلة النهج الصحيح لحزبنا وفق رؤية الحزب الاستراتيجية المبدئية للقضية الوطنية اليمنية التى أكدت صحتها خبرة نضال شعبنا ، وان تنعكس هـــذه الرؤية فى مجمل الممارسة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية لبناء المجتمع اليمنى الجـــديد الوطنى اليمقراطى فى الشطر الجنوبى من الوطن ، وفى العمل المشترك مع جماهير شعبنا وبين النظامين فى شطرى الوطن ، وبما يعزز طاقات شعبنا اليمنى على صـــد المؤامرات الامبريالية والرجعية المعادية لشعبنا اليمنى ، وللثورة اليمنية ، والرامية الى افتعال أسباب عـــدم الثقة والتوتر والحرب بين الشطرين ، واضعاف نضال شعبنا لتحقيق أهـــداف ثورتى سبتمبر وأكتوبر ، وتعزيز الاستقلال الوطنى والديمقراطى والوحـــدة والتقـــدم الاجتماعى » .

هـــذا الربط العضوى بين قضية الوحـــدة اليمنية وبين الجماهير الشعبية صانعة التاريخ ، وبينها وبين الديمقراطية والتقـــدم الاجتماعى .

وبينها وبين التحرر السياسى والاقتصادى من كل تبعية للاستعمار وشركاته ، هـذا الربط الوثيق بين الوحـدة والثورة ، بين القضـية الوطنية والقضية الاجتماعية ، يتعمق أكثر بتلك المقاربة الاستراتيجية التى عبرت عنها الصياغة المكثفة التالية :

« ان من الضرورى سد الثغرات التى تضعف الكيـان الوطنى والسيادة الوطنية لشعبنا على التطور المستقل المنسجم ، والعمل على تعميق وتقوية الأسس والمقومات المـادية والاقتصادية لوحدة الكادحين والشعب والوطـن والقضـاء على التجزئة الاقتصادية والاجتماعية فى كل من شطرى البـلاد ، وتحقيق الانفكاك من علاقات التبعيـة للامبريالية وللسوق الرأسمالية العالمية ، وتعزيز الاستقلال الاقتصادى ، والسير باتجاه التكامل الاقتصادى بين الشطرين بافاق تحررية وطنية توحيدية » • (ص ٨٧ — ٩١) •

هـذه الفقرات البالغـة الأهمية والدلالة التى اقتبسناها من (الوثيقة النقـدية التحليلية ••) حـول قضية الوحـدة اليمنية هى ذاتها التى تضمنها (البيان الختامى الصادر عن الكونفرنس الحزبى العام للحزب الاشتراكى اليمنى) • وذلك وحـده دليل ما بعـده دليـل على مدى وعى الحزب الوطنى والاجتماعى ، والتزامه الثورى بقضـية الوحـدة اليمنية •

مشروعية قضية الوحـدة اليمنية ، وارتباطها الجـذرى بقضية الثورة وبنضال الجماهير الشعبية والحركة الوطنية الديمقراطية اليمنية — كل ذلك لم يعـد يحتاج الى برهنة نظرية من أحـد •

ما تحتاج اليه هـذه القضية الوطنية النبيلة والسامية هو صيانتها من العبث بها ، ومن تحويلها الى سلعة معروضة فى السوق للمزايدة أو

المناقصة . وما تحتاج اليه هـو تكاتف كل المؤمنين بها ، المناضلين من أجلها ، والسير يدا بيد حتى يتم تحقيقها .

ولان قضية الوحـدة اليمنية جزء لا يتجزأ من قضية الثـورة اليمنية المعاصرة فان صـدق المؤمنين بها يتجلى فى مدى التحامهم بهـذه القضية الأعم ، وفى مدى وقوفهم الى جانب المناضلين الثوريين قـولا وعمـلا .

ليس هناك ثورى حقيقى فى اليمن يختلف مع الأطروحات الآنفـة الذكر حول قضية الوحـدة اليمنية ، أو لا يقف بالاحترام كله ازاء هـذا التراث الوطنى . والسؤال المطروح هـو : هل بادر كل مؤمن حقيقى بوحـدة وتقـدم اليمن الى اتخاذ موقعه الصحيح فى جبهـة الثورة والثوار ، ونذر نفسه للنضال المتفانى والمستميت من أجـل أن يقـوم اليمن الديمقراطى الموحـد المتحرر المتقـدم ؟

الوحـــدة اليمنيــة

قضــية وطنيـــة واجتماعيــــة(*)

الصراع الطبقى فى المجتمع ـ أى مجتمع طبقى ـ أيا كانت درجة التقاطب الطبقى فيه يحتم وجود دولة تضبط علاقات الطبقات المتناقضة المصالح الاقتصادية ، بما يكفل تخفيف حـدة الصراع بينها ، وبما يضمن فى نفس الوقت السيادة السياسية للطبقة السائدة اقتصاديا واجتماعيا .

ذلك يعنى أن الدولة هى نتاج الصراع الطبقى ذاته ، قبل أن تكون أداة تنظيم له ، بمـا يتفق ومصالح الطبقة الأقـوى اقتصـاديا واجتماعيـا .

ذلك شأن الدولة فى كل زمان ومكان ، سواء كانت دولة عبودية أو اقطاعية أو رأسمالية أو اشتراكية ، وهـو أيضا شأن الدولة الوطنية أو القومية التى تقوم على انقاض الاستعمار وانقاض ركائزه المحلية ، والتى قـد تسير فى طريق التطور الرأسمالى ، أو طريق التوجـه الاشتراكى ، حسب علاقات القوى الطبقية ، ودرجة الوعى الاجتماعى والسياسى ، ودرجة الارتباط بالسوق الرأسمالى الامبريالى ، ومستوى العلاقة مع منظومة البلدان الاشتراكية .

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٧/٩/٢٤ .

والدولة الوطنية أو القومية قد تقوم على أرض الوطن كله ، أو الأمة جميعها ، أو على شطر منهما ، كما هو الحال بالنسبة للكوريتين ، أو الدولتين الألمانيتين أو الدولتين الفيتناميتين قبل التوحيد ، وكما هو الحال بالنسبة لدولتى اليمن .

وفى جميع الأحوال هناك بناء اقتصادى واجتماعى وأيديولوجى للدولة الوطنية أو القومية يكون مجسدا لمصالح هذه القوى الاجتماعية والسياسية أو تلك . وبقدر ما يجسد مصالح أوسع الجماهير الشعبية ، بقدر ما يكون أكثر ديمقراطية وتقدمية .

وكما تسعى القوى الطبقية المستغلة التابعة الى أن تكون وحدة الوطن محققة لمصالحها ومطامحها فى تعميم حكمها واستغلالها وأيديولوجيتها على الوطن كله ، فان الجماهير الواسعة والكادحة ، ومعها طلائعها الديمقراطية والتقدمية ، تسعى من أجل أن تكون هذه الوحدة مستجيبة لرؤيتها وحاجياتها المشروعة والنبيلة فى اقامة وطن متحرر سياسيا ، متقدم اجتماعيا ، ناهض اقتصاديا ، مزدهر ثقافيا ، وأولا وقبل كل شىء متسم بالديمقراطية .

ذلك يعنى أن السعى لتحقيق وحدة الوطن يحكمه قانون الصراع الطبقى الذى يحكم كل شىء فى المجتمع والوطن ، وان الطبيعة التى تتخذها دولة الوحدة هى محصلة لعلاقات القوى الطبقية ، ونتاج لميل ميزان القوى لصالح هذه أو تلك .

والصراع الطبقى له أشكال وألوان متعددة ، هادئة وحادة ، تبعا للظروف الملموسة داخليا وخارجيا .وهو يبدأ من الصراع الاقتصادى العفوى ، ويتخذ بعدا سياسيا واضحا ، وصيغة أيديولوجية ظاهرة أو متسترة ، كما قد يصل الى حد الحرب الأهلية .

ووحــدة فيتنام مرت بجميع هــذه الأشكال ، اضافة الى حرب التحرير الوطنى المسلحة ضــد المستعمر والنظام العميل الذى اقامه فى جنوب فيتنام • وجاءت الوحــدة الفيتنامية ملبية لمصالح ومطامع قوى التحرر والتقــدم والاشتراكية ، وبهــا تم اسقاط خط التطور الرأسمالى التابع والمشوه الذى كان قائما فى جنوب فيتنام لصالح اقامة فيتنام الاشتراكية الموحــدة •

وفى عصر ميل ميزان القوى العالمى لصالح قوى التحرر والتقــدم والاشتراكية ليس شرطا أن يتخــذ الصراع الطبقى من أجل وحــدة الوطن شكل الحرب الأهلية ، غير أنه من الصعب تجنب الأشــكال الأخرى الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأيديولوجية •

والمثل النموذجى الذى يقــدمه النظام الأكثر ديمقراطية وتقدمية يلعب دورا بالغ الأهمية فى رسم طريق الوحــدة ، وجــذب الجماهير الواسعة اليه ، وصب نضالها فى اتجاه توسيعه ، وفى خلق واطلاق حركة شعبية مسيسة موحــدة تضغط وتعمل من أجل اقامة دولة للوحــدة تكون محققة لأحلامها وآمالها •

والنهوض الجماهيرى الهائل الذى يشهده اليــوم جنوب كوريا يقــدم واحــدا من الأدلة الحاسمة على بدء ظهور مثل هــذه الحركة الشعبية الواسعة الموحــدة الضاغطة من أجل نظام أكثر ديمقراطية وبعــدا عن النفــوذ الأجنبى ، وأكثر قابلية واستعدادا لتحمل مسئوليته فى تحقيق وحــدة كوريا على أسس ديمقراطية شعبية •

والنجاح الباهر والمدهش الذى تحققه ألمــانيا الديمقراطية ، اضافة الى النضال الطبقى والجماهيرى المتصاعد والمتنامى فى ألمــانيا الغربية ضــد سلطة القهر الطبقى الرأسمالى وضــد التبعية السياسية

والعسكرية للولايات المتحدة الأمريكية ، ذلكم هـو المؤشر التاريخى على أن وحـدة ألمـانيا المستقبلية لن تكون الا على أسس ديمقراطية واشتراكية •

ولم تعـد الوحـدة اليمنية قضية الاقطاع اليمنى الذى كانت تشغله صراعاته الداخلية عن بلوغهـا ، فيمـا عـدا بعض الفترات التاريخية القصيرة والمتقطعة ، والتى أعلن عجزه النهائى عن تحقيقها خلال حكم الامام يحيى حميد الدين •

كما لم تكن الوحـدة اليمنية قضية البرجوازية اليمنية الضعيفة والتى أقعـدها ضعفها ــ ناهيك عن تبعية الأقسام العليا الكمبرادورية منها للمستعمر البريطانى ــ عن التطلع الى تحقيق سوق وطنى واحـد ، كما ابتعـد بها غباؤها السياسى حتى عن الحلم بامكانية قيـام دولة وطنية يمنية واحـدة •

فقط فئات من البرجوازية الصغيرة الواقعة ما بين مطرقة الاقطاع وسندان البرجوازية والمستعمر طمح بها خيالها الى طرح شعار الوحدة اليمنية ، مقرونا بشعار التحرر من الاستعمار والاستبداد معا ، ومن هنا تشكيلها أحزابا وطنية على امتداد الوطن •

وفى هـذا الصـدد كان لنواة الطبقة العاملة الوليدة فى عـدن ، والمنحـدرة من كل ركن من أركان اليمن ، الفضل فى تبنى وممارسـة شعار الوحـدة اليمنية الى جانب تبنيها وممارستها لشعارى التحرر من الاستعمار والاستبداد •

وكان لعبد الله باذيب دور طليعى فى هـذا الصـدد تجلى منذ الخمسينيات ، وهـو ما تشهد عليه كتاباته التى اتخـذت أحيانا طابع

المساجلات ، كما كان للطلبة اليمنيين فى القاهرة — وخاصة الماركسيين منهم — دور مواكب فى هذا المجال •

وفتحت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ م التى قادتها فئات البرجوازية الصغيرة العسكرية ، مدعومة بفئة التجار ، وباحتضان مصر الناصرية بافقها القومى الوحدوى التحررى — فتحت الآفاق الواسعة أمام تحرير الوطن — كل الوطن — وأمام امكانية توحيده •

وكان قيام ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م بقيادة الجبهة القومية تعبيرا عن المدى الذى بلغته الحركة الوطنية فى جنوب الوطن فى تطورها ، وامتدادا حيا ومتفجرا لقيام ثورة ٢٦ سبتمبر الأم فى شمال الوطن ، وترجمة عملية لقدرة حركة التحرر القومى العربية بقيادة مصر الناصرية على التحرك والفعل فى واحدة من أهم مناطق العالم العربى الاستراتيجية ، ومظهرا من مظاهر المد المتصاعد لحركة التحرر الثورية العالمية •

ولولا انتكاسة ثورة ٢٦ سبتمبر بعد انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م الذى اعاد الاقطاع الى السلطة ، مدعوما بالكمبرادور ،واستحواذ يمين الجبهة القومية على مقاليد السلطة فى الجنوب اثر الحصول على الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ — لولا ذلك لكان ممكنا أن توجد شروط ومناخات أكثر مواتاة للدخول فى حوار ديمقراطى مسئول يكلل بقيام دولة الوحدة المنشودة على ذات الأسس الوطنية والديمقراطية التى نادت بها ثورتا سبتمبر وأكتوبر المجيدتان•

على أن حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ م التى اسقطت يمين الجبهة القومية ، ومعه احتياطى الاستعمار داخل الجيش ، لم تثبت الاستقلال السياسى ، وتعززه باجراءات هدفت الى التحرر الاقتصادى ،

والتحول الاجتماعى ، والتنمية الاقتصادية فحسب ، وانما أثيرت أيضا على طريق الوحـــدة اليمنية الذى لا يتبع لقوى الاقطاع والكمبرادور والتبعيـــة .

وكان على هذه القوى الظلامية ـ مسنودة بقوى التدخل الخارجية ـ أن تجرب توجيه ضربتها لهـــذا النظام الديمقراطى الثورى ، لتضمن اعادة هيمنتها على هـــذا الشطر الثائر المتحرر من اليمن . ولقـــد فعلت ذلك باسم الوحـــدة اليمنية التى كانت تعنى محاولة تعميم حكم الاقطاع والكمبرادور والتبعية على اليمن كلها ، حتى ولو تمزقت بعـــد ذلك الى اقاليم ومخاليف ومناطـــق ، حسبما تقضى سياســـة « فرق تسد » الاستعمارية .

غير أن هـــذا المخطط الحزبى الذى شرع فى تنفيذه فى ٢٦ سبتمبر ١٩٧٢ م ، أى فى ذكرى قيام الثورة ، قـــد احبط ، وصمد النظـــام الديمقراطى فى جنوب الوطن ، وواصل نموه ، كما واصل الدعوة الى تحقيق الوحـــدة على أسس سليمة وديمقراطية .

وحتى الجناح الانعزالى فى التنظيم الحاكم فى اليمن الديمقراطية الذى كان يقوده رئيس الدولة سالم ربيع على ، لم يستطع حرف خط الثورة الوطنى ـ الديمقراطى الوحـــدوى ، وأمكن فى ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م ازاحته ، وفتح الطريق واسعا أمام حركة النضال الوطنى والاجتماعى فى عموم الساحة اليمنية : الحزب الاشتراكى اليمنى الذى ناضلت من أجل انبثاقه خيرة قوى الثورة اليمنية ، وأصـــدق المكافحين من أجل تحرر الوطن وتقـــدمه ووحـــدته وعزته .

ورغم الآثار الضارة التى ألحقتها كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م بمسيرة الثورة والحزب ، الا أن خط النضال الوطنى والاجتماعى والوحـــدوى

لم يتراجع ، وذلك ما اتضح جليا فى « الكونفرنس العـــام للحزب الاشتراكى اليمنى » الذى عقد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٧ م ، والذى لم يشدد فقط على صوابية أطروحات الحزب حول الوحـــدة اليمنيـــة بمضمونها الوطنى الديمقراطى ، وعلى اصراره على السعى الجـــاد والمثابر من آجل تحقيقها بالطرق السلميه ، وانما نبه أيضا الى أن هـــذه القضية كما حاولت قـــوى التخلف والتبعية أفراغها من محتواها الثورى هـــذا ، فانها عملت وستظل تعمل على استغلالها ، بغية القضاء على الثورة اليمنية وعلى النظام الديمقراطى الذى يرمز اليها فى جنـــوب الوطن ، حتى ولو عادت من أجـــل ذلك الى اطلاق الحرب من عنانها ، وشن عـــدوان مبيت ضـــد اليمن الديمقراطيه تقف وراءه كل قـــوى الرجعية والاستعمار •

وقـــد جاء فى « الوثيقة النقـــدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ م » • « وواجه نضال الشعب اليمنى من آجل التحرر الوطنى والديمقراطية والوحـــدة والتقـــدم الاجتماعى عـــداء شرسا من القـــوى الامبريالية والرجعية منذ انطلاقة ثورتى ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر • وعملوا على دعم القوى الداخلية المضـــادة للثورة فى مؤامراتها لعرقلة مسيرة الثورة اليمنية واعادة توحيد الشعب والوطن بطرق سلمية وديمقراطية • كما عملوا بصـــورة مستمرة على افتعال أجـــواء عـــدم الثقة والتوتر بين شطرى الوطن ، ونجحوا أحيانا فى جر الشعب اليمنى الى الاقتتال وتعريض المكاسب الثورية للشعب اليمنى للمخاطر •

وبحكم الطبيعة العـــدوانية للقوى الامبريالية والرجعية فأننـــا لا نستبعد كلية أن تعمل هـــذه القوى على مواصلة مؤامراتها وأعمالها العـــدوانية ضـــد شعبنا ، ولاغراق منطقتنا فى جـــو من الحروب ،

وانعـدام الاستقرار ، والتشتت والتمزيق ، وتهـديد السيادة الوطنية والاستقلال الوطني » • (ص ٨٨ — ٨٩) •

ان وحـدة الأوطان واحـدة من أعقـد القضايا التي تواجهها الشعوب والأمم ، والتي يتداخل معها الصراع الوطني ضـد الرجعية الداخلية العميلة وضـد التبعية لاستعمارية ، مع الصراع الاجتماعي ضـد قـوى القهر الطبقي والسياسي • والوحـدة اليمنية واحـدة من هـذه القضايا المعقـدة التي يتطلب تحقيقها ببعـديها الوطني التحرري والاجتماعي التقـدمي نضال مجمل أطراف الحركة الثورية اليمنية ، وكل الوطنيين الشرفاء •

ملف الوحــدة اليمنية منذ عهد الامام يحيى الى عهد الحزب الاشتراكى اليمنى(*)

كان توقيع الامام يحيى بن محمد حميد الدين فى عام ١٩٣٤ م لمعاهـدتى صنعاء والطائف مع كل من بريطانيا والمملكة العربية السعودية اللتين قضتا ببقاء جنوب اليمن تحت حكم بريطانيا لمدة ٤٠ عاما ، وتبعية عسير ونجـــران للمملكة السعودية لمدة ٢٠ عاما قابلة للتعــديل أو التجــديد ، كان ذلك بمثابة استسلام سياسى من قبـــل حاكم اليمن الاقطاعى أمام هاتين القوتين التوسعيتين ، كما كان اعـلانا عن فشل الطبقة الاقطاعية اليمنية التى كان يرمز اليها الامام يحيى فى قيــادة حركة التوحيد الاقليمى للوطن اليمنى •

وبينما أسدل بعـدئذ ستار النسيان على قضية عسير ونجران ، فأنه لم يبق لقضية الجنوب اليمنى الا هامش صغير ، حيث كان مندوب الامام فى الجامعة العربية يعترض على محاولات سلطان لحج الانضمام الى الجامعة ، على اعتبار أن الجنـــوب اليمنى كله جزء لا يتجزأ من اليمن ، كما كان يعترض على محاولات رابطة أبناء الجنوب تمثيل هـذا الجزء من اليمن فى المؤتمر الآسيوى ــ الأفريقى اذات الحجة أيضا •

حقا لم تصف العلاقات بين السلطات البريطانية فى عـدن ، وبين السلطات الامامية فى شمال الوطن ، وكانت تحـدث اعتداءات بريطانية خلال النصف الثانى من الخمسينيات على بعض الأطراف فى الشمال

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى معظمها ٠

اليمنى ، كما كان الامام يقـدم بعض الدعم لبعض القوى القبليـة المتمردة على الحكم البريطانى ، الا أن ذلك لم يكن يعنى شـيئا كثيرا بالنسبة لقضية تحرير الجنوب اليمنى من الاحتلال البريطانى ، وقضية اعادة تحقيق وحـدة الوطن اليمنى •

لقـد غـدا واضحا أكثر فأكثر ان توحيد الوطن يستلزم أولا تحريره من قـوى الاحتلال البريطانى التى اقامت مع قوى الاحتلال العثمانى فى شمال اليمن خط الحـدود التركى ـ الأنجليزى منذ مطلع القرن العشرين ، كما عملت على تفتيت الجنوب اليمنى ذاته الى عـدة سلطنات وامارات ومشيخات ، عملا بسياسة (فرق تسد) كما عمدت الى الى طمس هـويته اليمنية باطلاق تسمية (الجنوب العربى) عليه قبل أن تحاول اقامة دويلة انفصالية فيه مع نهاية الخمسينيات تكرس بهـا نفوذها الاستعمارى فى جنوب البحر الأحمر ، وتعترض بها حركة النضال الوطنى من أجل تحرير جنوب اليمن ، وتوحيده مع الوطن الأم •

كما غـدا واضحا أكثر فأكثر أن تحرير جنوب اليمن من الاستعمار البريطانى ، وتوحيده مع الوطن الأم ، لن يتأتى قبل الخلاص من الحكم الامامى ذاته الذى أصبح قيدا ثقيلا على كل خطوة للاصلاح ، بل وسدا عائقـا لحركة التطور التاريخى ، ذلك أن وجوده كان يخـدم موضوعيا وجود الاستعمار البريطانى ، ويمثل قـوة كابحة لنمو حركة التحرير والتوحيد الوطنى •

ولكن الحركات السياسية التقليدية والاصلاحية التى نشأت خلال الأربعينيات والنصف الأول من الخمسينيات كحركة الأحرار اليمنيين ، ورابطة أبنـاء الجنوب العربى ، كان لهما منطق وفهم آخر غير هـذا المنطـق والفهم • .

فهاتان الحركتان اللتان كانتا أهم وأقـوى حركتين سياسيتين فى اليمن حتى منتصف الخمسينيات قـد انطلقتا فى عملهما السياسى من واقع التجزئة ، وكانتا من ثم استمرار وتكريسا لها ٠

فحركة الأحرار المعبرة عن مصالح الجناح الاقطاعى المعارض لحكم بيت حميد الدين وعن طموح عناصر البرجوازية الكومبرادورية الناشئة للمشاركة فى حكم صنعاء ، لم تكن تهتم بغير مناوأة الامام يحيى وولى عهده أحمد حميد الدين ، وبغير الدعوة لاصلاح وتطوير النظام القائم فى شمال الوطن ، عن طريق اقامة ملكية دستودية ، فى اطار الشروط والقوالب الامامية التى نص عليها المذهب الزيدى ، والتى تعطى للامام صلاحيات كبرى ، حتى ولو كان دستوريا شوريا ٠

ولأن الساحة اليمنية كانت قـد غـدت مع نهاية الحرب العالمية الثانية ساحة صراع بين الاستعمار القـديم الذى كانت بريطـانيا المجسدة القوية له ، والذى كان يجهد الى مد نفوذه السياسى من جنوب اليمن الى شمالها ، وبين الاستعمار الجـديد الذى كانت الولايات المتحدة الأمريكية تجسيده الحى والقوى ، والذى كان يزحف من شمال الجزيرة الى جنوبها ، فأنه كان لابد أن تبحث هاتان الدولتـان الامبرياليتان المتنافستان المتصارعتان عن قـوى محلية تعتمدان عليها فى مد نفوذهما أو تنفـذان من خلالها الى عاصمة اليمن : صنعاء ٠

وحيث أن الامبريالية الأمريكية قـد وجـدت فى أنجال الامام يحيى من سيوف الاسلام ، وخاصة فى السيف عبد الله ، فرس الرهان بالنسبة لهـا للوصول الى عرش بلقيس ، فان الامبريالية البريطانية قد وجدت فى حركة الأحرار اليمنيين المعارضة لحكم بيت حميد الدين ، وعلى رأسها عائلة بيت الوزير الاقطاعية الارستقراطية المنافسة له ، حصان طرواده الذى أرادت النفاذ من خلاله الى كرسى ذى نواس الحميرى ٠

وبينما ظلت حركة الأحرار ترى فى بريطانيا العظمى الدولة الأوربية المتحضرة المتقـدمة التى يمكن الاستعانة بها فى تطوير وعصرنة النظام الأثرى القائم فى الشمال ، كان سيوف الاسـلام يرون فى الولايات المتحدة الأمريكية الدولة الغربية الأكثر تحضرا ورقيا ، والتى بالاستعانة بها يمكن تحويل مملكة أبيهم القـديمة الى مملكة حـديثة متطورة .

وكما راهن الأحرار على بريطانيا العظمى عندما قاموا بانقـلاب فبراير ١٩٤٨ الذين قضوا به على الامام يحيى ولم يقضوا على نظامه ، فأن سيوف الاسلام قـد راهنوا — ومعهم بعض الأحرار أيضا — على الولايات المتحدة الأمريكية ، عندما قاموا بانقلابهم فى مارس ١٩٥٥ ضـد أخيهم الامام أحمد الذى تمكن من احباط الانقلاب والفتـك بعناصره القيادية بمن فيهم اخوانه السيوف .

ومنذ ظهور حركة الأحرار اليمنيين والى قيام ثورة سبتمبر ١٩٦٢ كانت قضية الوحـدة اليمنية غائبه عن مواثيقهم ووثائقهم السياسية ، وبعيدة عن ممارساتهم العملية ، الا اذا اقتضت بعض المناسبات العارضة الاشارة الخفيفة والعابرة اليها فى معرض الحـديث — مثلا — عن قيام اتحاد الدول العربية الذى انضمت اليه مملكة اليمن ، أو معرض الحديث عن أن الامامة بمذهبيتها الجامدة والمغلقـة تعتبر خطرا على وحـدة اليمـن

ولم تكن نظرة رابطة أبناء الجنوب العربى الى قضية الوحـدة اليمنية أفضل من نظرة الأحرار اليمنيين اليها ، ان لم تكن أسوأ بكثير .

فهـذا الحزب الذى كان يمثل مصالح الاقطاع والكومبرادور فى جنوب الوطن كان صريحا وواضحا فى أنه يطمح الى اقامة دولة خاصة فى جنوب اليمن باسم دولة اتحاد الجنوب العربى ، لا علاقة لهـا البتة باليمن شعبا ووطنا ، وكان يرى ان الخطر على قيام مثل هـذه الدولة

الانفصالية آت من صنعاء التى تصر على اعتبار هـذه المنطقة جزءا من اليمن وآت من كل دعاة الوحـدة اليمنية .

ودولة اتحاد الجنوب العربى التى بدأ الاستعمار البريطانى فى اقامة حجر الأساس لهـا عام ١٩٥٩ ، كانت تعبيرا وترجمة أيضـا لطموحات هـذا الحزب الرجعية الانفصالية ، حتى ولو ظلت هنـاك خلافات ثانوية وهامشية بين الحزب والسلطات البريطانية حول المراكز السلطوية الخاصة التى كان زعماء الحزب ، وعلى رأسهم سلطان لحج المعزول على عبد الكريم ، يصرون على ضرورة الاستئثار بها فى هـذه الدولة الانفصالية التابعة للاستعمار .

ولأن مطالب ومطامح الجماهير اليمنية الواسعة ظلت بعيدة عن فهم ووعى واهتمام هـذين الحزبين التقليديين الانعزاليين ، فأنه كان لابد أن تنشأ أحزاب أخرى تحاول الاقتراب من هـذه المطالب والمطامح .

لقـد كان ظهور التيارات القـومية فى اليمن ، كتيـار البعث ، والناصرية ، وحركة القوميين العرب ، محاولة من محاولات الاقتراب هـذه .

فهـذه التيارات قـدمت نفسها كمناهضة للاستعمار البريطانى ، والاستبداد الامامى وداعية لوحـدة اليمن الاقليمية ، واعتبرت نفسها تيارات أو أحزابا قطرية على مستوى اليمن وليس شطرية لهـذا الجزء من اليمن أو ذاك .

ولكن لأن هـذه التيارات أو الأحزاب كانت مجرد فروع وامتداد للمراكز القومية العربية خارج اليمن ، فأن نظرتها الى الوحـدة اليمنية كانت خاضعة لنظرتها الى الوحـدة القومية ، وتابعة لهـا حتى أنهـا ارتأت — بعـد قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا عام ١٩٥٨ — أنه يمكن أن ينضم هـذا الشطر من اليمن أو ذاك الى هـذه

الجمهورية ، التى اعتبرت نواة للوحـدة العربية دون حاجة الى انتظار تحقيق الوحـدة اليمنية •

لقـد كان مثل هـذا الطرح القومى المسرف والمغرق يتجاهـل الخصوصات لكل شـعب عربى ، ومن ثم يطمس الشخصية الوطنية الخاصة لكل الشعوب والأقطار العربية ، التى تكونت تاريخيا ، لصالح الشخصية القومية العامة ، أو بالأصح لصالح المركز القومى ، الذى قـد يكون فى المدينة ، أو دمشق ، أو القاهرة ، أو بغـداد ، هـذا الطرح الذى يذكر بمنطـق الخـلافة الاسـلامية التى باسم المركزية الاسلامية الاقطاعية ، حاولت — دون جـدوى — تجاهل أو طمس الكينونة الوطنية الخاصة لكل شعب من الشعوب التى أصبحت تتشكل منها دولة الخلافة الاسلامية ، مما قاد الى حركات الانفصال والانشقاق والتمرد الاقطاعية المحلية التى شهدتها أقاليم هـذه الدولة ، ولا سيما أقاليم الأطراف ، كاليمن ، والتى لم تتوقف منذ صـدور الاسلام ، الى سقوط الخلافة العثمانية فى القرن العشرين •

ولم يكن مثل هـذا الطرح القومى الذى يتجاهل الخصائص الوطنية لكل شعب عربى يثير الجـدل بين دعـاته ، وبين غيرهم من الوطنيين اليمنيين من ذوى المشارب الفكرية المختلفة فقط ، وانما كان يؤثر أيضا على وحـدة الكفاح ضـد الاستعمار ، والاستبداد ، وعلى قضية النضال من أجل الوحـدة اليمنية ذاتها •

لقـد كان الطرح العفوى والسليقى لقضية الوحـدة اليمنية من جانب نواة الطبقة العاملة فى عـدن ، والتى كانت تتشكل — فى الواقع — من كل صقع من أصقاع اليمن — كان أكثر سلامة واستقامة ومنطقية من سـواه •

لقـد كان العمال اليمنيون يطربون لسماع خطابات عبد الناصر حول القومية والوحـدة العربية ، ويحلمون معه من أجل قيام دولة

قومية كبرى ما بين « المحيط الهادر ، الى الخليج الثائر » — كما كانت الشعارات القومية تقول حينئذ — وكانوا يتمنون أن يكون البطل القومي جمال عبد الناصر ، هو باني وزعيم ورأس هذه الدولة العربية العملاقة ، ولكنهم في نفس الوقت كانوا متعلقين — وبشكل طبيعي ومفهوم — بحلم وطني خاص ، هو أن يروا الحواجز المصطنعة التي أقامها الاستعمار التركي والانجليزي ، وكرسها الاقطاعي اليمني وأوجد بها شطري اليمن ، ترفع من وطنهم الصغير اليمن ، وان تلتحم الأسرة الممزقة بين جزئي اليمن ، وأن يستمتعوا بحقوق المواطنة الطبيعية هنا وهناك ، بما فيها حقوق العمل ، والحقوق السياسية والمدنية ، وأن تنتهي حالة الغربة والاغتراب التي فرضها الحكم الاستعماري والامامي عليهم داخل وطنهم المشطور وخارجه ، وان يشعروا بانتمائهم الوطني ، ويمارسوا مسئوليات هذا الانتماء دون عقوبات •

من هنا كان طرح العمال اليمنيين لشعار الوحدة اليمنية طرحا وطنيا طبيعيا لا نقصان فيه ولا تزيد ، طرحا بسيطا لا حذلقة فيه ولا تعقيد ، يقوم على الايمان بحق وطنهم اليمني الصغير في أن يتوحد في ظل دولة وطنية خاصة ، مع الايمان بحق وطنهم العربي الأكبر في أن يتوحد في ظل دولة قومية عامة ، يكون اليمن الموحد لبنة في بنائها ، وركنا من أركانها •

على أن الماركسيين اليمنيين الأوائل ، وعلى رأسهم عبد الله باذيب — وسواء من كل منهم داخل الوطن ، أو الذين كانوا طلبة في القاهرة — قد لعبوا دورا وطنيا مبكرا في مضمار طرح وبلورة شعار الوحدة اليمنية ، واعطائه مضامينه التحررية ، الوطنية ، والاجتماعية ، وفي مجال التأكيد بأن اعادة تحقيق الوحدة اليمنية على أسس وطنية ديمقراطية ، هو المدخل الوطني والطبيعي لليمن نحو الوحدة العربية الشاملة •

وتمسكا بمفهومهم الطليعى المبكر هـذا ازاء قضـية الوحـدة اليمنية فأن المـاركسيين اليمنيين الأوائل خاضوا جـدلا حاميا وطويلا ، داخل الوطن وخارجه ، عبر الصحف ، وخلال الندوات ، وأثناء المعارك الكلامية فى المقاهى والشوارع ، وفى كل مكان دار فيه حـديث حـول قضية الوحـدة اليمنية والوحـدة العربية .

ولأن قضية الوحـدة العربية كانت هى القضية المركزية المطروحة بقوة وحـدة خلال النصف الثانى من الخمسينيات ومطلع الستينيات ، فأن مفهوم المـاركسيين اليمنيين الأوائل حـول الوحـدة اليمنية ، وعلاقتها بالوحـدة العربية ، كان يلقى المعارضة ، بل وحتى الشجب ، ليس من قبـل الأحزاب اليمنية التقليدية التى تكفر بالوحـدة اليمنية والعربية معا ، ومع ذلك لم تجـد بأسا خلال هـذه الفترة من المجاراة الشكلية للتيار ، ومن ثم من رفع شعار الوحـدة العربية فى مواجهة شعار الوحـدة اليمنية ، وانما أيضا من قبل الأحزاب والتيارات القومية التى كانت تتهم المـاركسيين اليمنيين — بسبب مفهومهم المتميز والمبكر هـذا للوحـدة اليمنية بالاقليمية ، وبمعارضة الوحـدة العربية ، تماما كما كان المـاركسيون والشيوعيون العرب يواجهـون بمثل هـذه الاتهامات القاسية التى كانت تعكس فقط ضيق أفق البرجوازية الصغيرة العربية التى كانت تتسلم قيادة هـذه الأحزاب والتيارات القومية .

ان التراث المكتوب حول هـذه القضية الذى خلفه المـاركسيون اليمنيون الأوائل ، وعلى رأسـهم الرائد المـاركسى الأول عبد الله عبد الرزاق باذيب ، مسجل محفوظ ، ويمكن لكل من أراد أن يبحث فى تاريخ هـذه القضية أن يعود اليه بسهولة .

غير أن ما ينبغى قوله فى هـذا الصـدد أن أكمل وأسطع صيغة نظرية حول قضية الوحـدة اليمنية خـلال هـذه الفترة من الصراع

السياسى اللاهب حولها ، قـد تضمنها « الميثاق الوطنى للاتحاد الشعبى الديمقراطى » الذى أعلن فى أكتوبر ١٩٦١ م مـع اعـلان ميلاد هـذا التجمع التقـدمى .

وليس بامكاننا هنا سوى الأجتزاء على بضعة أسطر ممـا جاء فى هـذا الميثاق الوطنى الذهبى ، الذى أصبح الشـعار الريادى الذى رفعه : « نحو يمن حر ديمقراطى موحـد » شعارا عاما اليوم لمجمل الحركة الوطنية والتقـدمية اليمنية .

ففى الوقت الذى يؤكد فيه الميثاق على « أهمية الكفاح ضـد عملاء الاستعمار ومخططاته فى الجنوب ، وضـد الاستبداد فى الشمال » ويعتبر فيه ان « الاستعمار هو العـدو الأساسى » والأشـد خطرا . وفى الوقت الذى يشدد فيه على أن « الاستعمار ليس هو العـدو الوحيد لشعبنا ، لقضـية تحررنا ووحـدتنا وتقـدمنا » من حيث أنه فى « الجنوب يجـد الاستعمار عناصر وقـوى سياسية معينة وسلاطين وحكاما اقطاعيين يسيرون فى ركابه ، وينفـذون مخططاته ، وفى الشمال يجـد الاستعمار أوضاعا شاذة يعيش فيها شعبنا محروما من أبسط الحريات الديمقراطية ، وأدنى شروط الحياة المتقـدمة الكريمة » فى هذا الوقت يركز على قضية الوحـدة اليمنية بمدلولها الوطنى التحررى ، وقاعـدتها الاجتماعية الجـديدة كما يلى : « وترتبط قضية التحـرر ارتباطا عضويا بقضية الوحـدة اليمنية . ان الدعـوة الى الوحـدة اليمنية فى هـذه المرحلة ليست فى جوهرها الا تعبير أو ضمانة لوحـدة كفاح الشعب اليمنى التى هى الشرط الأسـاسى لتحقيق أهـدافها المشتركة ، لتحرير شعبنا من جميع أعـدائه ، وليست فقط الحقـائق التاريخية ، والمفاهيم العلمية لوحـدة الشعوب التى تؤكد وحـدة الأرض اليمنية ، وانما أيضا كون الموقف فى الشمال يشكل عاملا هاما حاسما فى تكييف وتقرير مصير الجنوب . وواقع أن أبناء الشمال —

عمالا وطلابا ومثقفين وتجارا صغارا وأصحاب مهن ـ يؤلفون الأغلبية الساحقة من شعب عـدن ، وان العمال منهم بالذات يؤلفون لوحـدهم العمود الفقرى للطبقة العاملة وحركتها فى عـدن ، ويؤلفون مع اخوانهم أبناء الجنوب القوة الرئيسية للحركة الوطنية ، هـذا الواقع يعطى شعار الوحـدة اليمنية صفة كفاحيه حاسمة ، ويجعـل من التمسك والمناداة بها مسألة حياة أو موت للحركة الوطنية » ص (٣ ـ ٥) وفى ظل راية وشعارات حركة القومية العربية ، بقيادتها الناصرية ، وبتأثيرها السياسى والعملى ، قامت ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ م فى شمال الوطن اليمنى ، وكان طبيعيا لهـذا السبب أن يكون شعار الوحـدة العربية أكثر بروزا بين أهـدافها الستة من شعار الوحـدة اليمنية الذى أشير اليه بتعبير « الوحـدة الوطنية » وجاء ضمن الهـدف الخامس الذى كان نصه كما يلى : « العمل على تحقيق الوحـدة الوطنية فى نطـاق الوحـدة العربية الشاملة » •

وبقطع النظر عن أية صيغة وردت فيها قضية الوحـدة اليمنية ، فان ثورة سبتمبر التى استقبلت بحماس غامر ، وبهجة عظيمة فى طول اليمن وعرضها ، وتقاطرت للدفاع عنها جماهير الشعب اليمنى من كل حـدب وصوب ، وخاصة من مستعمرة التاج البريطانى : عـدن ، ومن أوساط العمال بالدرجة الأولى ، وشكلت ما سمى بـ « الحرس الوطنى » والتى كما أفزعت الاقطـاع اليمنى والعربى ، أفزعت الاستعمار البريطانى المحتل لجنوب البلاد ، وكل القوى الاستعمارية صاحبـة النفوذ فى المنطقة ، أقول ان هـذه الثورة قـد مثلت بداية تاريخ جديد بالنسبة ليمن القرن العشرين •

ولكن لسنا هنا بصـدد تبيان الأهمية التاريخية لهـذه الثورة ، وانمـا بصـدد موقفها وتأثيرها على قضية واحـدة من قضايا الثورة

اليمنية المعاصرة التى شكلت ثورة سبتمبر بدايتها ، وهى قضية الوحـدة اليمنيـــة .

رغم الدور الكبير الذى لعبته التيارات القـومية ، والطبقة العاملة اليمنية الناشئة والتيار المـاركسى الفتى فى مضمار احياء قضية الوحدة اليمنية ، وربطها بالنضال ضـد الاستعمار البريطانى ، والاستبداد الامامى ، الا أن هـذا الدور ظـل دون مستوى القـدرة على انجـاز المهام التاريخية المطروحة أمامه ، وهى اسقاط النظام الاقطاعى الامامى ، التحرر من الاحتلال البريطانى ، تحقيق الوحـدة اليمنية .

فقط بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ م تحركت عجلة التطـور التاريخى فى اتجاه الانجاز العملى والثورى لهـذه المهام العظيمة .

فبها تم اسقاط النظام الملكى — الامامى — الكهنوتى — الأثرى ، وازاحة الفئة العليا الارستقراطية للطبقة الاقطاعية اليمنية التى كانت تعتبر أن حكم اليمن حق الهى وطبيعى لهـا لا ينازعها عليه منازع .

وبها التهب الصراع الوطنى والثورى مع الاستعمار البريطانى المحتل لجنوب اليمن ، وطرحت قضية الوحـدة اليمنية نفسها بقـوة متصاعدة مع ايقاع هـذا الصراع الذى أخـذ يشتد ، حتى اتخـذ طابع ثورة شعبية مسلحة ، بدأت شرارتها من ردفان فى ١٤ أكتوبر عام ١٩٦٣ م ، وقادتها الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمنى المحتل التى تشكلت فى صنعاء بتشجيع ودعم من قيادتها الثورة ، ومن قيادة الحركة القومية العربية بجملها .

من هنا دخلت ثورة ٢٦ سبتمبر التاريخ اليمنى المعاصر ، باعتبارها الثورة الوطنية الأم ، ودخلت ثورة ١٤ أكتوبر هـذا التاريخ ، باعتبارها

الوليد الثورى الحى والمتفجر لهـا الذى سيصبح ــ رغم ذلك ــ مع الأيام ليس مجرد امتداد لها ، وانما ثورة فى الثورة اليمنية المعاصرة •

فلأسباب داخلية وخارجية ، موضوعية وذاتية ، طبقية وسياسية ، فأن ثورة سبتمبر ، وان تمكنت من الصمود فى وجـه حرب أهلية ــ رجعية ــ استعمارية ضارية دامت حوالى سبع سنين اجتـذبت الى ساحتها جيش عبد الناصر ، وحصلت خلالها على دعم كل قـوى التقـدم العربية والعالمية ، وفى مقـدمتها المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسـه الاتحاد السوفيتى الذى قـدم السلاح المقاتل فى اليمن مجانا ، الا أنها لم تتمكن من تجـذير خطها الاجتماعى ــ الديمقراطى ، مما مكن القوى الرجعيـة الجـديدة ، الاقطـاعية والكومبرادورية والعسكريه من احتوائها ، ومن ثم من اجهاضها وبالتالى من التصالح مع الرجعية الملكية ــ اليمنية باستثناء بيت حميد الدين ، ومـع الرجعيه العربية ، وعلى رأسها الرجعية السعودية ومن فتح مصاريع البلاد لتغلغل نفـوذ الاستعمار القـديم والجـديد •

لقـد كانت مؤتمرات عمران ــ خمر ــ الجند ــ انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ م ــ اتفاق الصلح مع الملكيين فى مارس ١٩٧٠ م هى عـلامات ومحطات خط الثـورة المضادة التى لم يبرح مسارها البيانى فى حالة تصاعـد مستمر حتى اليوم ، والتى لم تنجح كل محاولات تقـويمها من أعلى ، هـذه المحاولات التى قامت بها الفئات الوسطى البرجوازية الاصلاحية ، العسكرية والمدنية ، وكان من أبرزها حركة ١٣ يونيـو ١٩٧٤ م التى قادها ووجه خطاها التصحيحية اللاحقة المقـدم ابراهيم الحمدى ، وسقط صريعا ، قبل أن ينجح فى تصويبها •

وليست القوى الاستعمارية والرجعية هى وحـدها التى تسببت فى احـداث مثل هـذه النكسة لثورة سبتمبر ، ومن ثم لحركة التوحيد

الوطنى ، وليس الحلفاء المصريون الذين جاؤا لمناصرة الثورة يتحملون وحدهم المسئولية ، وانما يقع جزء من هذه المسئولية على قوى الثورة اليمنية الحاكمة والشعبية •

فبسبب ميل قطاع من الضباط الأحرار الذين قادوا الثورة الى المحور الاقطاعى — القبلى الذى تزعمه الزبيرى والاريانى — سياسيا ، وقاده طبقيا الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر والشيخ سنان أبو لحوم ، وتحول البعث الى رديف ، بل وحليف سياسى مؤثر لهذا المحور الذى انضم اليه محور النعمان — محمد على عثمان الاقطاعى — انكبرادورى وبسبب نقص الخبرة والوعى السياسى للفريق الوطنى الحاكم من الضباط والتجار الممثلين للبرجوازية الوسطى والصغيرة الوطنية • ونظرا لغياب برنامج للعمل الوطنى يحدد مهام الثورة الوطنية والاجتماعية • ويبلور آفاقها المستقبلية ، وللرغبة فى عدم التقيد بأى منهج واضح محدد على هذا النحو ، وبفعل الصراعات القديمة — الجديدة بين التيارات القومية فى اليمن ، وبينها من جهة وبين التيار الماركسى من جانب آخر ، ومن ثم فقدان أى شكل من أشكال العمل الجبهوى المبرمج ، بفعل ذلك كله ، وغيره من الأسباب انتكست ثورة سبتمبر ، وانتكست معها حركة التوحيد الوطنى اليمنية •

ان هذه النكسة التى دشنها انقلاب ٥ نوفمبر الرجعى الاقطاعى عام ١٩٦٧ م ، والذى جاء فى ظل نكسة الثورة العربية بفعل عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ م الصهيونى — الاستعمارى — الرجعى ، التى حتمت خروج الجيش المصرى من اليمن ، وان غياب ميثاق وطنى للثورة اليمنية كلها بشقيها — ثورة ٢٦ سبتمبر ، وثورة ١٤ أكتوبر — وفقدان جبهة وطنية عريضة على نطاق الساحة اليمنية ، وعدم وجود قيادة مركزية للحركة الوطنية اليمنية بمجملها ، ان ذلك كله كان لابد أن يقود — رغم أن شمال الوطن كان منطلق حركة الثورة المسلحة التى قادتها الجبهة

القومية ضــد الاستعمار البريطانى ، ورغم تفاعل ودعم قيادته الوطنية لهــا ، وتعاطف وتعاون معظم أطراف الحركة الوطنية معها ـــ كان لابد أن يقود الى قيام دولة خاصة فى جنوب الوطن اليمنى اثر جلاء الاستعمار البريطانى ، الى جانب الدولة القائمة فى الشمال ، وكان لابد أن يخلق تعقيدات حتمية لا خيار لأحــد فيها على طريق النضال من أجل اعادة وحــدة الوطن اليمنى •

وكما كانت قضية التحرر من الاستعمار البريطانى هى القضـــية المركزية بالنسبة للجبهة القومية خلال حرب التحرير ما بين ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ م و ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، تاريخ نيل الاستقلال • فأن القضـــية المركزية التى طرحت نفسها على الجبهة القومية منذئذ هى : أى طريق للتطــور يجب انتهاجه •

فقــد كان الحرس القــديم للجبهة بزعامة قحطان وفيصل الشعبى يريد اقامة دولة فى جنوب اليمن أصرا على أن تسمى جمهورية اليمــن الجنوبية الشعبية ، دولة لا تختلف عن الدولة التى كانت تطمح رابطة أبناء الجنوب العربى الى اقامتها فيه ، الا من ناحية الطبقة أو الفئــات التى ينبغى أن تقودها ، من حيث أن الرابطة كانت تريدها أن تكون فى يد الاقطاع والكومبرادور ، بينما كان يمين الجبهة القومية يريدها ان تكون تحت ادارة البرجوازية الوسطى المدنية والزراعية وتحت ادارة البيروقراطية العسكرية التى أوجــدها الاستعمار البريطانى ، لتكون احتياطيا له ، بعــد رحيله •

ولكن الصف القيادى الثانى فى الجبهة القومية ـــ ورغم اختلاف الرؤى الأيديولوجية بين قياداته ـــ كان أميل الى دفع البلاد على طريق التطور الديمقراطى الثورى ذى المنحى « غير الرأسمالى » طريق الاصلاح الزراعى الجــذرى ، والتأميم لمرتفعات الاقتصاد الوطنى ، وللشركات والبنوك الأجنبية ، طريق التقــدم الاجتماعى •

وكان هـذا الصف الديمقراطى الثورى فى الجبهة القومية يحظى بالدعم الكامل من قبـل التيار المـاركسى أو من قبـل التيار اليسارى البعثى الذى انفصل فيما بعـد عن البعث وتبنى الفـكر الاشتراكى العلمى ، واسمى نفسه « حزب الطليعة الشعبية » .

وكان لابد أن تقـود حركة الصراع بين يمين الجبهة القـومية ويسارها الى انتصار الفريق الأخير بحركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ م التى قامت بالفعل بدفع البلاد فى طريق التطور الديمقراطى الثـورى .

غير أنه منذ مطلع السبعينيات والى يونيو ١٩٧٨ م واجهت الجبهة القومية ، وفيما بعـد التنظيم السياسى الموحـد ــ الجبهة القـومية الذى ضم ابتداء من أكتوبر ١٩٧٥ م الى جانب الجبهة القومية تنظيمى الاتحاد الشعبى الديمقراطى ، والطليعة الشعبية ــ واجهت معضـلة أخرى ، ربما هانت الى جانبها معضلة التيار اليمينى الانتهازى السابق فيها ، ألا وهى معضلة الصراع المعقـد والشائك والمحفوف بالاخطار مع التيار اليسارى الطفولى فيها الذى كان يتزعمه رأس النظام سـالم ربيع على ، والذى لم يكن يقل نفـورا من قضية الوحـدة اليمنية عن ممثلى التيار اليمينى الانتهازى الانعزالى .

وكان لابد من التغلب على هـذا التيار اليسارى الانتهازى أولا والذى كان من الواضح أنه لا يريد سد الطريق الديمقراطى للوحـدة اليمنية فقط ، وانما يريد أيضا وقف عجلة الثورة الديمقراطية فى جنوب البلاد ، وضرب آفاقها الاشتراكية ، وتحطيم الجسور التى كانت قـد شرعت فى اقامتها مع معسكر الثورة العالمية ، وخاصة مـع المعسكر الاشتراكى ، وفى طليعته الاتحاد السوفيتى ، والارتداد بها ــ عن طريق التواطؤ المخجل مع الرجعية السعودية والأوساط الامبريالية الأمريكية ــ

الى ذات المنحى اليمينى الانتهازى الذى كان يمين الجبهة قـد بدأ فى دفعها اليه ، مؤكدا بذلك صحة المقولة اللينينية من أن التطرف اليسارى يقـود ــ فى خاتمة المطاف ــ الى التطرف اليمينى .

حقا تمكن التنظيم السياسى الموحـد ــ الجبهة القومية من خلال الدورة السابعة للجنته المركزية فى سبتمبر ١٩٧٧ م من الاجهاز نظريا على مفاهيم التيار اليسارى الانتهازى حول مختلف القضايا ، ومن التأكيد على الضرورة الثـورية الحاسمة لقيـام حزب طليعى من طراز جـديد ، ومن وضع قضية الوحـدة اليمنية فى مكانها الطبيعى من مسار الثورة الوطنية الديمقراطية اليمنية ذات الآفاق الاشتراكية ، باعتبارها احـدى قضاياها الجـوهرية ، غير أنه ما كان سهلا الاجهاز على هـذا التيار سياسيا ، ومن ثم اخراجه من السلطة بغير عملية اقتلاع ثورية وجـذريه .

وعندما أقـدم هـذا التيار المغـامر فى ٢٥ يونيو ١٩٧٨ م على محاولته الانقلابية الرعناء ، بغية ضرب التنظيم ، وضرب الخط الثورى ، فأنه لم يفعل أكثر من أنه وضع الأنشوطة فى عنقه ، ووضع نهايته بيده ، ودفع قوى الثـورة الديمقراطية والاشتراكية لتصفيته تصفية عسكرية وسياسية وتنظيمية وفكرية شاملة . وبأسدال الستار على التيار اليسارى الانتهازى ــ بعـد التيار اليمينى الانتهازى ــ فتح الطريق لتحـول الثورة الديمقراطية الى ثورة ديمقراطية شعبية ، والى قيام حزب بين طراز جـديد ، يتبنى الاشتراكية العلمية ، هـو الحزب الاشتراكى اليمنى الذى انعقد مؤتمره التأسيسى ما بين ١١ ــ ١٣ أكتوبر ١٩٧٨ م ، والى معالجة قضية الوحـدة اليمنية معالجة نظرية سليمة ، باعتبارها احدى مهام الثورة اليمنية الديمقراطية الشعبية ذات الآفاق الاشتراكية والتى يتطلب تحقيقها وحـدة أطراف الحركة الوطنية اليمنية ، ووحـدة أداة الثورة اليمنية .

وكما قضى بذلك على الاتجاهات الانعزالية الانتهازية فى جنوب الوطن ، فأنه قضى بذلك أيضا على أساليب الابتزاز والمناورة والاتجار بقضية الوحـــدة اليمنية من قبل قـــوى الاقطاع فى شماله ، كما قضى أيضا على المنطق المتواطىء على قضية الثورة والوحـــدة معا ، والذى يرفع شعار الوحـــدة فورا ، وكيفما اتفق ، وبأى ثمن كان !

ويقـــدم برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى فى هـــذا الصـــدد نصوصا نظرية هادية وحاسمة . فعلى الصفحات ١٩ — ٢١ منه نقرأ ما يلى : « ان الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومعه جميع القوى التقـــدمية الأكثر اخلاصا وصـــدقا ، والأكثر استعدادا للتضحية ، من أجل اليمن الديمقراطى الموحـــد فى الوطن اليمنى كله ، يرفض مثل هـــذا المفهوم للوحـــدة ، كما يرفض تلك الطرق لتحقيقها التى تحـــاول أن تعتمدها الرجعية . لذلك فان حزبنا لا يمكن أن يقبل بأن تخضع الوحـــدة اليمنية لمشيئة القـــوى الرجعية وأهـــدافها ، وسيناضل من أجـــل أن تحقق الوحـــدة اليمنية بطابعها الطبقى الديمقراطى لمصلحة أوسع جمـــاهير الشعب . لذا فأن الوحـــدة اليمنية يجب أن تكتسب محتوى ديمقراطيا ، وأن تخـــدم قضية الثورة اليمنية ... ويرى الحزب ان الطريق الى الوحـــدة اليمنية يتمثل فى الجهود المخلصة لجماهير الشـــعب اليمنى والحركة الوطنية الديمقراطية اليمنية ، وجميع المنظمات الجماهيرية . ويتطلب كل ذلك عملا واعيا ودؤوبا ، لكى تكون الوحـــدة اليمنية وحـــدة شعبية متينة وصلبة وقادرة على الاستمرار فى التطور نحو تحقيق كافة مهام الثورة اليمنية » .

وفى الصفحة ٢٣ من البرنامج نقرأ أيضا مثل هـــذا النص البالغ الدلالة والأهمية والوضوح : « وفى هـــذا الاتجاه فان الحزب الاشتراكى اليمنى ، بصفته الفيصل الرئيسى فى الحركة الوطنية اليمنية ، يواصـــل نضاله لاستكمال مهام الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشتراكية ،

ويناضل أيضا جنباً الى جنب مع بقية أطراف الحركة الوطنية اليمنية ، ومع كل الوطنيين الشرفاء ، من أجل تحقيق الوحـــدة اليمنية ، وفى نفس الوقت من أجل تحقيق الوحدة التنظيمية لأداة الثورة اليمنية الموحدة » .

ولكن السؤال التلقائى الذى يطرح نفسه على الفور هـــو كيف يمكن أن تقوم الوحـــدة اليمنية فى ظل وجود نظام وطنى ديمقراطى شعبى ذى توجه اشتراكى علمى ، ونظرة بروليتارية أممية فى الشـــطر الجنوبى من الوطن ، ووجود نظام اقطاعى ـــ كوامبرادورى ـــ عسكرى بيروقراطى ذى منحى رأسمالى طفيلى مشوه وتابع للرأسمال العربى السعودى والرأسمال العالمى ، وذوى نظرة اصلاحية ، ممزوجة بهيمنـــة برونابرتية ، مع ميول سياسية غربية فى الشطر الشمالى منه ؟

وكيف يمكن أن يتحقق ما أسماه البرنامج « اليمن الديمقراطى الموحـــد » وما أسماه « الوحـــدة اليمنية بطابعها الطبقى الديمقراطى لمصلحة أوسع جماهير الشعب » حتى تكون « وحـــدة شعبية متينة وصلبة وقادرة على الاستقرار فى التطور نحو تحقيق كافة مهام الثورة اليمنية » ؟

هل يمكن ان يحـــدث ذلك عبر عملية جـــوار واقناع مركزة يقوم بها مسئولو الشطر الجنوبى مع مسئولى الشطر الشمالى بأن قيـــام « اليمن الديمقراطى الموحـــد » هـــو الخيار السياسى والثورى والوطنى والتاريخى والحتمى الوحيد أمامهم وأمام اليمن المعاصرة ، وأنه لا مجال للعودة لأى شكل تقليدى اقطاعى للوحـــدة مما كان يحـــدث عنـــوة واقتدارا تحت قيادة هـــذا الحاكم الاقطاعى أو ذاك ، كما حـــدث لبعض الفترات فى عهود الصليحيين ، والرسوليين ، والطاهريين ، والأئمـــة القاسميين ؟

تجيب التجارب والخبرات السياسية المكدسة والمعمدة بالدماء منذ

قام فى نوفمبر ١٩٦٧ نظام اقطاعى ذو توجه كومبرادورى مشوه وتابع فى شمال الوطن على أنقاض خط الثورة الوطنى التحررى أن هـــذا النظام بحكم منطقه الطبقى السياسى الذى يحكم نظرته الى قضـــية الوحـــدة اليمنية وبحكم ارتباطاته التى تبلغ حـــد التبعية بالرجعية السعودية والأوساط الاستعمارية لا يتعامل مـــع قضية الوحـــدة الا باعتبارها ستارا يخفى به عـــداءه الطبيعى والمفهوم للتجربة الثـــورية الديمقراطية فى جنوب الوطن حتى لا تعم الوطن اليمنى كله فى ظـــل الوحـــدة الديمقراطية التى يطمح الى تحقيقها وتطمح الى تحقيقها معه — بهذا المنحنى والأفق — الحركة الوطنية والتقـــدمية اليمنية كلها .

ولكن هـــذه الطبيعة الطبقية والسياسية المعادية — بالضرورة — للتجربة الثورية الديمقراطية الواعـــدة فى جنوب الوطن ، والتى مآلها التاريخى والحتمى أن تعم الوطن اليمنى كله ، لا تعنى أن يفلت النظام الديمقراطى فى جنوب الوطن أى فرصة تلوح فى الأفق لاجراء حـــوار سلمى وديمقراطى — أيا كانت حـــدوده ومداه — مـــع مسئولى الشطر الشمالى — أيا كانوا ، ومهما أضمروا من عـــداء — من أجل ايجاد هـــذا القـــدر أو ذاك من التفاهم لحل بعض القضايا التى تمس حياة المواطنين اليمنيين جميعا ، ومن أجـــل سماع وجهات النظر المختلفة حول أسس وطرق تحقيق الوحـــدة اليمنية .

لا ينبغى التقليل فى هـــذا الصـــدد من أهمية اتفاقيات وبيانات الوحـــدة التى أبرمت بين مسئولى الشطرين ، ابتداء من اتفاقيـــة قعطبه فى فبراير ١٩٧٧ م ، وبيان الكويت فى مارس ١٩٧٥ ، وبيان صنعاء القاهرة فى أكتوبر ١٩٧٢ م ، وبيان طرابلس فى نوفمبر ١٩٧٢ م وبيان فى أكتوبر ١٩٧٩ م — الى اتفاق مايو ١٩٨٨ .

فهـــذه الاتفاقيات والبيانات هى فى الأساس نتاج لتفوق ميزان

القــوى الوطنى لصالح قوى الثورة اليمنية ، سواء فى ميدان المعارك السياسية أو فى ميدان المعارك العسكرية ، نتيجة تفوق النظام الديمقراطى فى جنوب الوطن سياسيا وروحيــا ، وتقــدم التشكيلة الاقتصادية — الاجتماعية والرؤية الوطنية — الديمقراطية التى يمثلها على كل ما يعبر عنه ويرمز اليه ، ويسير فيه ، النظام الاقطــاعى — الكومبرادورى — البيروقراطى العسكرى التابع فى شمال الوطن .

وفى هــذا المجال تكتسب الزيارات التى قام بها مسئولو الشطر الجنوبى من الوطن لشمال الوطن ، فى أكتوبر ١٩٧٩ م ، ويونيو ، ويوليو ، وسبتمبر ١٩٨٠ م ومايو ١٩٨٨ ، بكل ما أســفر عنهــا من بيــانات ، واتفاقيات ، وتولد من أجــواء سلمية بين الشطرين ، ومن اتفاق على ضرورة مضى لجان الوحدة اليمنية التى تشكلت بمقتضى بيان طرابلس ، فى أعمالها بخطى أسرع — تكتسب هــذه الزيارات ، بكل ما أســفر عنها ، وتولد منها من تشكيل مجالس ومشاريع مشتركة خطوات حقيقية على طريق النضال من أجل تحقيق الوحــدة اليمنية .

ولكن التجارب والخبرات السياسية المعمدة بالدماء علمتنــا أنه ما تكاد تنشأ مثل هــذه الأجواء السلمية بين شــطرى اليمن ، ويبــدأ الحوار حول قضية الوحــدة اليمنية بين مسئولى الشطرين — فى ظــل ميل ميزان القوى لصالح قوى الثورة والحركة الوطنية اليمنية — حتى تبــدأ قــوى التدخــل الرجعيــة والاســتعمارية وحتى القــوى الشوفينية العربية ، فى افساد مثل هــذه الأجواء وتسميمها وتعكيرها ، واثارة غبار المشاكل والفتن الأهلية فيها من جــديد ، مستغلة فى ذلك الطبيعة الطبقية — السياسية للنظام الاقطــاعى — الكومبرادورى — البيروقراطى العسكرى فى شمال الوطن ، المعادية — من حيث الأساس — للتجربة الديمقراطية الثورية فى جنوب الوطن بآفاقها الاشتراكية ، وللحركة الوطنية والتقــدمية اليمنية عموما .

أن ذلك يلقى مسئولية مضاعفة على الحركة الوطنية والتقـدمية اليمنية ، وفى مقـدمتها الحزب الاشتراكى اليمنى ، ليس فقط فى التمسك بكل فرصة للحوار والتفاهم السلمى من أجل اشاعة هـذا القـدر أو ذاك من التنسيق الاقتصادى فى بعض المجالات الحيوية ، وانما أيضا فى العمل على احباط مكائد ومناورات ومخططات قوى التدخل والتطاول الخارجية الاستعمارية والارجعية ، والقومية الشوفينية •

ولكن ذلك لا يعنى أن تقع الحركة الوطنية والتقـدمية اليمنية فى الوهم بأن اجراء مثل هـذا الحوار والتفاهم السلمى مـع مسئولى الشطر الشمالى من الوطن — أيا كان المدى الزمنى الذى سيستغرقه ، والمكاسب التى سيحققها — يمكن أن يبدل طبيعة النظـام الطبقيـة والسياسية فى شمال الوطن ، ويغير علاقاته المتنامية مع قـوى الرجعية السعودية ، والقوى الاستعمارية ، والأوساط الشوفينية القومية البعثية فى العراق •

فالحاكم الذى يتجاوز الخط الأحمر فى هـذا الحوار ، أو تظـن قوى التسلط العربية والاستعمارية هـذه مجرد ظن بأنه قـد تجاوزه ، فأنها لا تلبث أن تقاصيه ، أو تفتك به •

ان ذلك ما حـدث مع رئيس المجلس الجمهورى القاضى عبد الرحمن الأريانى ، الذى أقصى فى ١٣ يونيو ١٩٧٤ م ، عندما قـدرت هـذه القـوى المعادية أنه آثر السلامة والعافية على خـوض مهامه ومخاطر الحرب الأهلية مع النظام الديمقراطى فى جنوب الوطن ، بعـد أن أثبتت لـه تجربة حرب خريف ١٩٧٢ م عـدم قـدرته على الاستمرار فى مواجهته • وقنع من ثم بأن يظل حاكما فى حـدود الشطر الشمالى من الوطـن •

وذلك ما حـدث مع رئيس مجلس القيادة المقـدم ابراهيم الحمدى الذى وجـه حركة ١٣ يونيو وجهة تصحيحية ، ومضى بهـا فى اتجـاه التفاهم مع الحركة الوطنية اليمنية ، وعلى رأسها النظام الديمقراطى فى جنوب الوطن ، حيث أقـدمت قـوى الهيمنة الخارجية بالاعتماد على عملائها داخل الجيش والدولة والمجتمع ، على الفتك به فى ١١ أكتوبر ١٩٧٧ م •

وان ذلك ما يمكن أن يحـدث مع رئيس الجمهورية الحالى العقيد على عبد الله صالح فيما لو افترضنا جـدلا ، أنه قرر المضى على نهج أى من الأريانى ، أو الحمدى ، بدون تراجع • ولكن نوع العلاقة مـع الشطر الجنوبى من الوطن ومع الحركة الوطنية اليمنية عموما ، ليس هـو العامل الوحيد الذى يحـدد مصير هـذا الحاكم فى صـنعاء أو ذاك •

ان هناك تناقضات أساسية ومستمرة وعميقة بين النظـام وبين الشعب ، وتناقضات سياسية وشخصية بين أجنحة النظـام ، رغم التحالف العام الذى يجمعها فى مواجهة قـوى التطور والتقـدم •

ان هـذه التناقضات الرئيسية والثانوية هى التى تفرض حالة عـدم الاستقرار السياسى فى أوضاع النظام ، وفى أوضاع الحاكمين فيه ، وان تستطيع ايقافها ، أو كبتها ، أو احتوائها ، أو الحيلولة دون تفجرها ، نغمـة السلام الاجتماعى ، والوحـدة الوطنية ، والميثـاق الوطنى والمؤتمر الشعبى العام ومجلس الشورى ، والديمقراطية التى لا هى شرقيـة ولا غربيـة ، ولا مستوردة من أى مكان ، والتى لا سـابقة ولا مثيل لهـا فى أى بلـد نام أو متطـور ، ولا عهـد لأحد بها لا فى القـديم ولا فى الحـديث ، والتى هى نبت خاص ومتميز لم

تجــد بمثله أرض ، والتى هى تجل رائع من تجليات عبقرية الأخ الرئيس القائد على عبد الله صالح ـ كما تقول ليل نهار أجهزة اعلام السلطة ـ ويقول معها الكتاب الاصلاحيون فى صنعاء فى مجلة « اليمن الجـديد » وفى غيرها من المجلات والصحف ، وكما تقول أيضا مجلة « الحكمة » التى كتب رئيس تحريرها مقالا كاملا فى عــدد يونيو ـ يوليو ١٩٨٠ م هــو المقال الافتتاحى لهــا بعنوان « الديمقراطية التى نريد » يتضح منه جليا أن الديمقراطية التى يريدها لليمــن هى ديمقراطية « الأخ الرئيس على عبد الله صالح » الذى أثبتت السلطة بقيادته ـ كما قال ـ « أنها وحسب ظروفها تعالج بجرأة مسألة ازاحة مخلفات الضــغط والدكتاتورية على المواطنين » •

واذا كانت أوضاع السلطة فى شمال الوطن تتميز بعــدم الثبات والاستقرار لمــا سبق ذكره من أسباب ، ولغير ذلك من الأسباب الداخلية والخارجية ، فأن أى اتفاق معها من جانب السلطة الثورية فى جنــوب الوطــن أو من جانب الجبهــة الوطنية الديمقراطية ، معــرض هــــو الآخر لعــدم الثبات والاستقرار ، وقابل للنقض أو التعثر، أو التعطيل ، أو الاهمال ، وفق تقلبات أوضاع السلطة فى صنعاء ، وتقلبات نظــرة الحاكمين ، وأولا وقبل كل شيء ، وفق تعرجات وخطوط الاستراتيجية السياسية لصنعاء التى تتحكم فى وضعها قــوى داخلية وخارجية عاتية لا يملك رأس الحكم الا المضى على هــداها ، أو يفقــد رأسه ، وفى أحسن الأحوال يفقــد كرسى الحكم الذى يجلس عليه • فى ضوء ذلك كله ما هى الضمانات الأكيدة التى بالتمسك بها بقــوة ، وبالعمل على توفيرها واستكمال مقــوماتها باستمرار ، لن يكون ممكنا فقط السير على طريق الوحــدة اليمنية الصحيح والمستقيم ، وانما بلوغها أيضا ؟

يمكن ايجاد مثل هــذه الضمانات فى النقاط الآتية :

١ ـ الربط الديالكتيكى المحكم بين قضية الوحـدة اليمنية ، وقضية الثورة اليمنية ، واعتبار الأولى بعـدا من أبعاد الثانية ، ومهمة جوهرية من مهامها الوطنية الديمقراطية ، ومن ثم رفض أى تشوش ذهنى بأن الوحـدة اليمنية يمكن أن تتحقق كيفما اتفق ، وبأى ثمن ، وتحت قيادة أى كان ، ورفض أى تصورات مغلوطة بأنهـا عـودة الى ذلك الشكل الاقطاعى من الوحـدة اليمنية الذى كان يتحقق أحيانا فى القـديم ، ونبذ أية أوهام بأن البرجوازية اليمنية ، التى هى فى الأساس طفيليـة وغير منتجة وكومبرادورية تابعة يمكن أن تطمح الى اقامة دولة يمنية ، مركزية موحـدة ، وطنية مستقلة .

ان ذلك يعنى أن قـوى الثورة اليمنية ، الوطنية ، والديمقراطية ، والاشتراكية وجماهير العمال ، والفـلاحين ، والبرجوازية الصغيرة ، وبعض الفئـات الوسطى ، والمثقفين الثوريين ، هى المدعوة تاريخيا ، والمؤهلة اجتماعيا ، لقيادة حركة توحيد الوطن اليمنى ، واقامة اليمـن الديمقراطى المنحى الموحـد المزدهر .

٢ ـ أن الحزب الاشتراكى اليمنى الذى يمثل موضوعيا الاطـار الطبقى والتنظيمى للملتزمين بالفكر الاشتراكى العلمى ، يستطيع أن يكون العمـود الفقرى ، والطليعة القيادية ، ليس فقط لحركة التوحيد الوطنى للوطن اليمنى ، وانما أيضا للعملية الثورية بمجملها بكل مهامها الراهنـة الوطنية والديمقراطية ، وبكل مهامها المستقبلية الاشتراكية والتاريخية ، ولا سيما اذا ما قام باصلاح أوضاعه الداخلية وبالاعتراف والتحالف مع كل الأحزاب والقوى والشخصيات الوطنية والديمقراطية والاشتراكية .

وكما وضع الحزب من خلال برنامجه قضية الوحـدة اليمنية فى مكانها الطبيعى بين قضايا الثورة الوطنية الديمقراطية ذات الآفـاق

الاشتراكية ، فهو يتولى باستمرار من خلال أطره القيادية ومؤتمراته العامة ادخال أية تطويرات أو بلورات على استراتيجية النضال الوطنى ، وتكتيكاتها ، وأشكالها المتعـددة ، والشكل الرئيسى بينها ، من أجـل تحقيق الوحـدة اليمنية .

ولا يملك المنتمون الى الحزب الاشتراكى اليمنى ، وكل مناضل وطنى واع ومؤمن بصواب خط الحزب ، واستراتيجيته ، وتكتيكاته ، ازاء قضية وحـدة وطنه ، الا التقيد الصارم ، والالتزام التام بتعليمات وارشادات الحزب فى هـذا المجال .

ان من القضايا التى حسمها برنامج الحزب ، وأكدت عليها التوجيهات الصادرة عن قياداته مسألة العلاقة الديالكتيكية والحميمة بين الوطنية والأممية ، هـذه العلاقة التى تختلف جـذريا ، بل وتتناقض مـع النظرة الوطنية الشوفينية المنغلقة والمصابة بمرض الحساسية ازاء الأمميـة التى تعتبرها نوعا من اللاوطنية أو الكوموبوليتية . والأمميـة تمثل ضمانة حاسمة من ضمانات نجاح وانتصار حركات التحرر والتوحيد الوطنى الديمقراطى . والأممية تقف مع وحـدة الأوطان القائمة على الأسس الديمقراطية ، والموجهة ضـد الامبريالية ، والمنسجمة مـع حركة التقـدم الاجتماعى ، والتطور التاريخى ، وهى ضـد ذلك الشكل الرجعى أو الشوفينى من الوحـدة الذى يخـدم المصالح الامبريالية ، ويعترض مسيرة التقـدم الاجتماعى ، والتطـور التاريخى . ان من مظاهر تعاطف الأممية مع حركات التوحيد القومى ذات المنحى التقدمى ، والمناهضـة للامبريالية ، والمتآزرة مـع قوى التحرر والتقـدم العالمية وفى طليعتها المعسكر الاشتراكى ، وعلى رأسه الاتحاد السوفيتى ، هـو تأييد هـذا المعسكر ، بمـا فيه الاتحاد السوفيتى للوحـدة — السورية — الليبية التى كان قـد أعلن زعماء البلدين عن عزمهم على قيامها . [تأخر قيامها لعـدم نضج العوامل الموضوعية والذاتية لذلك] .

والأممية البروليتارية ، لا يمكن الا أن تكون مع وحـدة شعبنا اليمنى ذات الطابع الوطنى الديمقراطى • والوطنية اليمنية لا يمكن الا أن تكون متلاحمة مـع الأممية البروليتارية فى نضالها من أجل وحـدة الوطن اليمنى •

ولقـد نص برنامج الحزب وشدد قادته على العلاقة العضوية والوثقى بين الوحـدة الوطنية ، والوحـدة القـومية ، والوحـدة الأممية ، وعلى ضرورة الايمان بها كلهـا •

٣ — أن النظام الوطنى الديمقراطى الشعبى فى جنوب الوطـن لا يمثل فقط ما كان يمثله النظام الوطنى فى شماله وبعـد قيام ثورة سبتمبر بالنسبة للثـورة الوطنية كلهـا ، فهـو ليس قاعـدة وطنية ، ومركزا نضاليا ، لحركة التحرير والتوحيد والتقـدم اليمنية فحسب ، وانما هـو فوق ذلك كله النواة الصلبة لدولة اليمن المركزية الموحـدة المنشودة ، ذات الطابع الديمقراطى ، والتوجه الاشتراكى ، وهو الممثل الثورى للحقل اليمنى الأخضر والموعود •• وتحقيق مشروع الاصـلاح السياسى والاقتصادى الذى يسعى الى بلورته بالاستعانة برأى الشعب والقوى التقـدمية الأخرى كفيـل بتمكينه من أن ينهض بمثل هـذه المهمة الوطنية التاريخية الجليلية •

ولذلك فأن صيانة هـذه النواة الوطنية الديمقراطية الوحـدوية المجسدة فى نظام ودولة وحزب ، وحماية هـذا المشتل الوردى الواعـد بالانتشار على رقعة اليمن لتصبح كلها بستانا زاهرا جميلا ، وتطوير وتعميق واخصاب هـذه التجربة الديمقراطية الفريدة فى الوطن العربى كله ، ان ذلك كله يمثل ضمانة أكيدة من ضمانات قيام اليمن الديمقراطى الموحـد ذى الآفاق الاشتراكية •

ان احتلال الطبقة العاملة اليمنية وحلفاءها الفلاحين لموقعهـــا القيادى فى حركة تحرير وتوحيد وتقــدم اليمن ، هــذه الطبقة التى كانت دائما وحــدوية منذ كانت نواة صغيرة فى عــدن ، والتى من خلال حزبها الاشتراكى اليمنى المتبنى والمجسد لنظريتها الاشتراكية العلمية ، تمسك اليوم بقيادة النظام الديمقراطى الشعبى فى جنوب الوطن ، ان احتلال هــذه الطبقة مع حلفائها الفلاحين لموقعها القيادى هــذا يمثــل ضمانة أكيدة أخرى من ضمانات تحقيق اليمن الديمقراطى الموحــد ، ذى الآفاق الاشتراكية •

٤ — ان الحرص على الجبهة الوطنية الديمقراطية باعتبارها اطارا للتحالف السياسى الواسع لكل قــوى التطــوير والتجــديد والتغيير والتوحيد والتقــدم من العمال ، والفــلاحين ، والمثقفين والبرجوازية الصغيرة ، والفئات الوسطى الوطنية ، والجنود ، والضباط الوطنيين ، واتساعها لرجالات الدين والمشائخ والتجار الوطنيين المناهضين للهيمنة الخارجية للرجعية السعودية ، والقوى الاستعمارية ، والمراكز القــوى المشائخية ، والكومبرادورية ، والعسكرية فى شمال الوطن ، ان ذلك يمثل قــوة حاسمة ومؤكدة ولا غناء عنها من أجل قيام اليمن الديمقراطى المتحرر الموحــد ، ذات التوجه الاشتراكى •

ان اكساب الجبهة طابعا أكثر ديمقراطية ، من خلال تمثيلها لجميع الأحزاب الوطنية والديمقراطية والاشتراكية ولكل قوى التحالف الآنفة الذكر ، ومن خلال عقد مؤتمر وطنى لها ، واقرار وثائقها ، بما فيها وضع برنامج معــدل لهــا ، وتجــديد وتعزيز وتوسيع هيئاتها القيــادية من خلال هــذا المؤتمر ، ان ذلك تطوير وتجــديد وتعزيز لأوضـــاع الجبهة لا غناء عنه أيضا ولا بديل له ، بحيث تغــدو جبهة عريضة قادرة على حشد وتعبئة شتى أطراف الحركة الوطنية •

ان العمل وسط الجماهير ، وبين تجمعاتها ، والدفع من أجل ايجاد منظمات نقابية ، والسعى لتنسيق نشاطها مع مثيلاتها النوعية فى جنوب الوطن ، يمثل مرتكزا هاما من مرتكزات حركة التوحيد الوطنى اليمنية •

ان توعيـة وتثقيف وتسييس وتعبئـة وتنظيم وقيـادة الحركة الجماهيرية هى المهمـة المركزية للحركة الوطنية والتقـدمية فى شمال الوطـن •

وضمن ذلك تأتى عملية نشر الوعى الوطنى والاجتماعى ، الـذى يمكن من فهم التركيبة الاجتماعية — الاقتصـاديه — السياسـية — العسكرية — البيروقراطية السائدة فى شمال الوطن ، واشاعة الثقافـة الثـورية ، التى تمكن من التغلب على الثقافة السلفية الاقطاعيـة بكل افرازاتها الاقليمية والقروية ، والانعزالية ، والطـائفية ، والعرقيـة المتخلفة ، ومن التغلب على الثقافة البرجوازية الهجينة المشوهة المدخولة بالثقافة الاستعمارية ، وصقل الرؤية السياسية ، الاستراتيجية والتكنيكية لدى المناضلين ، التى تمكن من التمييز بين الأهـداف الاستراتيجية الثابتة لحركة التحرير والتوحيد والتقـدم اليمنية ، وبين الأشـكال والتكتيكات النضالية المتعـددة والمتنوعة من أدنى أشكال النضـال الى أرقى أشكاله ، والتى يخضع الأخـذ بهـذا أو ذاك منها للحظـة الزمنية المحـددة والظرف الموضوعى والسياسى المعاش ، والتى تحددها وتصـدر تعليمات بها قيادة الحركة المركزية •

كما تأتى ضمن هـذه العملية قضية تعبئة واستقطاب الجماهير ، وايجاد حركة جماهيرية منظمة ، مرتبطة بالجبهة الوطنية الديمقراطية ، وقادرة على التأثير على مجرى حركة الأحـداث •

وفى هـذا الصـدد ينبغى استلهام تجربة « الحرس الوطنى »

الذى تشكل بعيد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر وتجربة « المقاومة الشعبية » التى أسهمت اسهاما بارزا فى فك وضرب حصار السبعين يوما عن صنعاء مع نهاية ١٩٦٧ ومطلع ١٩٦٨ وتجارب المقاومة الشعبية اللاحقة بغية ايجاد نمط آخر أرفع مستوى ، وأوسع انتشارا ، وأكثر خبرة ، واقدر على ممارسة أرقى اشكال النضال ، حين تحين ساعة ممارسة مثل هذا الشكل .

ان اقامة جبهة وطنية ديمقراطية عريضة على نطاق اليمن ضرورة استراتيجية قصوى .

ان مجموع ذلك كله يشكل العوامل الذاتية التى لابد من توافرها واستكمالها وانضاجها والتى تساعد بدورها على انضاج العوامل الموضوعية والذاتية والمحتمة للتغيير الثورى .

ان عملية التغيير الثورى للبنية السياسية الاقطاعية ـ الكومبرادورية ـ البيروقراطية العسكرية القائمة فى شمال الوطن ، ومن ثم تغيير البنية الاجتماعية ـ الاقتصادية ، وانهاء كل علاقات التبعية الاقتصادية ، والمالية والسياسية للرجعية السعودية والقوى الاستعمارية ، واستكمال تحرر شمال الوطن سياسيا واقتصاديا ، وايجاد سلطة ثورية وطنية ديمقراطية ، تعلن فور قيامها ميلاد اليمن الديمقراطى المتحرر الموحد ، ذى التوجه الاشتراكى ، ان ذلك كله متوقف على نشوء الحالة الثورية أو الأزمة الثورية التى وصفها لينين بأنها تتمثل فى تفاقم التناقضات الطبقية والسياسية بين القوى الحاكمة واستفحال عملية قهر وحرمان الجماهير الشعبية ، واندفاعها بفعل ذلك نحو النهوض الثورى ، وامساك زمام المبادرة التاريخية بيدها ، ومضيها بقيادة أحزابها الثورية ، وطلائعها القيادية نحو تغيير النظام القديم ، واقامة نظام ثورى جديد .

ان نظرة عامة على المسار التاريخى لحركة الثورة اليمنية ، وعلى القفزات النوعية التى أنجزتها فى مضمار تطورها السياسى والفكرى ،

والتنظيمى ، وعلى المنارة المشعة التى أقامتها فى جنوب الوطن والتى يجسدها النظـام الديمقراطى الشعبى فيـه ، وعلى الحركة الشـعبية المتنامية التى أخـذت تمسك بقيادها فى عموم الوطن وعلى مستوى الوعى الوطنى والاجتماعى المتفجر الذى أحدثته ، وما برحت تحدثه ، وعلى العلاقات النضالية المتعاظمة القائمة بينها وبين كل قـوى التحرر والتقـدم والاشتراكية فى الوطن العربى وفى العالم ، وفى مقـدمتها المعسكر الاشتراكى ، بطليعته الاتحاد السوفيتى ، ان ذلك كله يؤكد أن حركة الثورة اليمنية ماضية بقوة لا تقاوم على طريق اقامة اليمن الديمقراطى المتحرر الموحـد ، ذى الآفاق الاشتراكية ، والأبعـاد القومية التقـدمية ، والرحاب الأممية البروليتارية •

بقى أن نقـول أنه حتى ذلك الصـدع الوطنى الذى تسببت فيه أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م لم يؤثر على ما أصبح من الثوابت الراسخة فى نهج الحزب الاشتراكى اليمنى تجاه قضية الوحـدة اليمنية ، التى غـدت احـدى شعاراته الثلاثة التى رفعها منذ قيامه : لنناضل من أجـل الدفاع عن الثورة اليمنية ، وتنفيذ الخطـة الخمسية ، وتحقيق الوحـدة اليمنيـة •

ان هـذه الشعارات الثلاثة التى لم يتم الوقوف أمامها جيدا حتى اليوم تلخص استراتيجية الحزب المرحلية ، وتعكس جوهر المهام الوطنية الديمقراطية المـاثلة أمامه وأمام الحركة الوطنية بمجملها •

ان هـذا المثلث الهندسى يجمع جمعـا موقفا رائعا ودقيقا بين ضرورة استمرارية الثورة اليمنية ، وضرورة بنـاء الاقتصاد الوطنى المتين الذى يجسد محتواها الديمقراطى الثورى ، وضرورة النضـال الدائب من أجل بلوغ الوحـدة اليمنية التى تمثل بعـدا وطنيا أصيلا وجـوهريا من أبعاد هـذه الثورة •

لم تعــد الوحــدة اليمنية من شعارات الاقطاع ، فلقــد فقــد الاقطاع نفسه المبرر التاريخى لوجوده ، ولم تكن الوحــدة اليمنية من شعارات البرجوازية نظرا لضعف وجودها الكمى والنوعى ، وانما كانت من شعارات الطبقة العاملة اليمنية الوليدة التى ولدت تاريخيا فى عــدن بحكم التطور النسبى الذى أملاه وجود المستعمر تلبية لمصالحــــه الخاصة ، كما كانت من شعارات البرجوازية الصغيرة الثورية التى ما لبثت أقسام أساسية منها ان مالت الى الفكر الاشتراكى العلمى .

حقا أن هــذا الشعار يرفع اليوم من قبل قطاعات سياسية جديدة ذات ميول برجوازية . غير أن زمام المبادرة التاريخية ليس فى يد هــذه القوى التى تستخدمه فى مضمار صراعها السياسى مع القوى الاجتماعية الأخرى التى ارتبطت قضية الوحــدة اليمنية بها منذ البــداية والى اليوم ، منذ ميلاد الطبقة العاملة حتى ميلاد الحزب الذى يمثلها ويمثل حلفاءها من الفلاحين والمثقفين الثوريين والفئات الكادحة الأخرى جنبا الى جنب مع القوى التقــدمية الأخرى .

ليس هناك موقع آخر لقضــية الوحــدة اليمنية خارج شرطها التاريخى ، خارج الصــعيد الاجتماعى والسياسى المدعــو تاريخيــا وموضوعيا الى الاستمرار فى رفع رايتها ، خارج اطار قوى الثــورة الوطنية الديمقراطية وقوى التقــدم والاشتراكية .

بضـــاعة « وحـــدوية » مـــردودة !(*)

بعض الذين قرأوا مقال « ثلاثة اتجاهات للوحــدة اليمنية » الذى نشرته مجلة « الحكمة » فى عــدد مايو ١٩٨٥ م دهشوا لجرأة كاتبه على قلب الحقائق ، وخلط الأوراق ، والاستهانة بعقل المواطن اليمنى الذى عاش هــذه الحقائق بنفسه .

والبعض الآخر كان تعليقه على ذلك أنه ليس فى الأمر ما يدعو لا الى الدهشة ولا الى مجرد الاهتمام بما كتب ، لسبب بسيط وهــو أن صاحب المقال سبق لــه أن كتب ما هــو أخطر . ورفضت الصحف نشره له . أما أن يتسع صــدر « الحكمة » له فذلك يتمشى مع « النهج » الذى رسمته لنفسها ، وهــو الترويج لــكل ما يغمز فى قنــاة النظــام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطــن ، أيا كان المروج ، وأيا كانت البضـــاعة !

ورغم حجية المبررات لكل من الفريقين فأنى آثرت التنبيه .. التنبيه فقط الى مدى خطورة هــذا الغلو فى تنــاول قضــايا التاريخ والوطن .. والثورة .. وكل الأمجاد والمقــدسات التى يعتز بهـــا

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٨/٧/٧ م.

الشعب ، ومعالجتها بهـذا القـدر من الاستخفاف الذى يبلغ حـد الامتهان والزراية •

وكل هـذا التشويه والتجريح لكل ما انجزه الشعب من بطولات واحتوجه من معجزات ، وسجله من مفاخر ، يتم تحت ستار شـفاف لا يخفى المقاصـد والأهـداف ألا وهـو الوحـدة اليمنية • فبما أنها لم تتحقق ، فكل ما أنجز فى جنوب الوطن هـو عبث فى عبث •• ولهو ولعب •• بدءا من الاستقلال الوطنى ، حتى قيام النظام الديمقراطى ؛ وانتهاء بمسيرة التوجه الاشتراكى !

وفوق ذلك يحمل النظام الوطنى الذى قام على انقاض الامبراطورية التى لم تكن تغيب عنها الشمس بأنه المسئول الأول عن عـدم تحقيق الوحـدة اليمنية ، ويصور اختفاؤه بأنه هـو المدخل لبلوغها !

أما حكاية أنه يمثل حالة اجتماعية أرقى ينبغى الحفاظ عليها ، مع السعى لتحقيق الوحـدة فى ذات الوقت ، فهى حكاية لا تصلح حتى أن تروى ، فلا هو بنظام تقدمى ، ولا الآخر المقابل له بيمينى !

ورفض الوحـدة اليمنية كان نية مبيتة ، وموقفا متأصلا للجبهـة القومية منذ البداية ، وحتى عندما كان ثوار سبتمبر هم الحاكمون فى صنعاء ، وكانت قيادة الجبهة القومية ما تزال بعيدة عن السلطة فى الجنـوب !

ونقطة البداية هـذه هى التى ظلت تحكم سياسة التنظيم الحاكم فى الجنوب سواء عندما كان يحمل اسم الجبهة القومية ، أو عندما حمل نعت الحزب الاشتراكى اليمنى !

لا بأس من ايراد بعض فقرات من المقال ، حتى ولو بدا للقارئ المتابع لأحـداث وطنه أنها فى غرابتها تكاد تلامس تخوم الخيال :

« جــدير بالاشارة أن قيادة النظـــام الجمهورى قــد وضعت سؤالا هاما كان محتواه •• هل آن الآوان ـ بعــد تثبيت النظـــام الجمهورى وقرب انتصار الثورة فى الجنوب ــ لاعادة وحــدة الأرض والشعب اليمنى ؟

وقــد كان الجواب على هــذا السؤال من قيادة الجبهة القومية سلبيا للغاية • وكانت قيادة الجبهة القومية تتذرع بهيمنة المخــابرات المصرية فى السلطة الجمهورية ، وتخوفها من الغــدر بها واحتلال جبهة التحرير مقاعــدها فى دولة الوحــدة » (ص ٣١) •

بامكانى القول كمؤرخ أولا ، وكواحــد ممن كانوا قريبين من مواقع صنع القرار السياسى ابان حكم المشير السلال ثانيا ، ان ذلك لم يحدث قط ، فلا ظروف الصراع الذى كان محتدما على أشــده بين الجنــاح الثورى الحاكم والجناح الاصلاحى المعارض ـ ناهيك عن الصراع مع الجبهة الملكية ــ الرجعية ــ كانت تسمح بأن يطالب المشير السلال من قيادة الجبهة القومية بالوحــدة الفورية ، ولا الحلفاء المصريون كانوا متعجلين فى تحقيقها فى هــذا الوقت •

لقــد كان الجميع مهتمين بخروج الاستعمار أولا وقبل كل شىء من جنوب الوطن ، ورفع راية السيادة الوطنية على ربوعه ، قبل الشروع فى الحــديث عن الوحدة اليمنية ، التى كان مفهوما تلقائيا أن جلاء المستعمر وتحقيق الاستقلال الوطنى هــو الشروط الأولى لهــا •

ومع ذلك فأن الكاتب « الوحــدوى جــدا » يدمغ هــذا اليــوم العظيم فى تاريخ الشعب اليمنى الذى غادر فيه آخر جندى انجليزى من حيث أتى وارتفعت فيه هامة اليمن كلها ، واستعادت به كبرياءها الوطنى واستحقت به ثورتها الوطنية التحررية بشقيها أن تكون ولحــدة

من أمجـد الثورات التى شهدها الوطن العربى والعالم النامى عموما ــ يدمغ هـذا اليوم باعتباره يوما انفصاليا ، بل ويوما انفصاليا ما يزال يتناسخ ويلد أياما انفصالية حتى اليوم !

« فقـد كانت يوم ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ م ، وهو يوم استقلال الجنوب وبنفس الوقت يوم انفصالى بالنسبة للشعب اليمنى » ، ولا يمكن « أن ينكر أى كان أن هـذا التاريخ قـد كرس وضعا انفصاليا خطيرا للأرض والشعب اليمنى ، وازداد تعمقا فى الانفصال بعـد الاقتتال الأهلى الذى نشب عام ١٩٧٢ م و ١٩٧٩ م » (ص ٣٢ ، ٣٥) •

بل ان كاتب المقال يجمح به الشطط الى حـد تحميل النظام الذى قام على هـذا الأساس « الانفصـالى » مسئولية هـذا الاقتتال الأهلى ، وهـو ما يخالف كل الحقائق المعروفة التى لم تصبح ملـكا للمؤرخين وحـدهم •

فعندما دعا مجلس الشورى عام ١٩٧٢ م « لاعادة وحـدة الشعب والوطن عن طريق الحرب » فان « حكام الجنوب آنذاك فسروا هـذه الدعوة بأنها دعوة الى اسقاطهم من الحكم ، وشنوا أول هجمة على الشمال فى سبتمبر ١٩٧٢ م واندلعت الحرب الأهلية الأولى بين الشطرين كان ضحيتها عـدد هائل من الجنود والضباط والمواطنين اليمنيين •• » (ص ٣٣ ، ٣٤) •

ورغم أنه سـاد الهـدوء بعـد حرب ١٩٧٣ و ١٩٧٩ م الا أن المتطرفين اليساريين المسيطرين على مقاليد الأمور فى نظـام الحكم « الانفصالى » فى الجنوب ، والذين يشبهون أمثالهم اليمينيين من حيث النزعة العسكرية التى تسيطر عليهم والتى تسببت فى بعض الأحـداث التى جرت فى الشمال ، ما يزالون يمثلون عنصر اقلاق حتى اليوم :

« ومن المهم الاشارة الى أن هــذه المرحلة التى ما تزال ممتدة قــد لعبت دورا ايجابيا فى وأد النزاعات العسكرية عند بعض المتطرفين اليمنيين واليساريين • وهم على قلة فى اليمن ، ولكنهم متنفــذين على القرار السياسى فى كلا الشطرين » (ص ٣٤) •

وعندما تقــدمت حكومة الشمال بمقترحات حول الوحــدة اليمنية ـــ بعــد أحــداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م ـــ حملها « الأستاذ يحيى العرشى وزير الدولة لشئون الوحــدة اليمنية فى الشطر الشمالى الى عــدن فى يونيو ١٩٨٧ م والذى حاول فقط أن يترجم الوحــدة الفورية بفترة زمنية لا تزيد عن ثلاثة أشهر ، تبدأ بانزال الدستور ومناقشته واقراره من قبل القيادتين ، وتكوين المؤسسات الدستورية الوحــدوية تمهيدا لاعلان دولة الوحــدة اليمنية فى ٢٦ سبتمبر ١٩٨٧ م » ـــ عندما حــدث ذلك « تفتقت عقلية القيادة الجنوبية بمشروع فى محتواه يلغى كافــة الجهود التى بذلت منــذ ١٩٧٢ م وحتى ١٩٨٦ م ، ويستلهم تجارب أوروبية المحتوى ، وقــد قــدم ، وهو مشروع يجمع بين الوحــدة الفورية والوحــدة الكونفــورالية ، بحيث تمتد فترة لأكثر من أربع سنوات ، ويقضى بتشكيل دولة بين الدولتين ، ليس لديها أية صلاحيات الدولة المركزية بل تقوم بتنظيم نشاط لجان الوحــدة المشتركة التى يمكن اعتبار أعمالها قــد انتهت منذ سنوات ، وخاصة لجنتها الجوهرية الخاصة باعــداد الدستور » • (ص ٣٧ ـــ ٣٨ ، ٣٩) •

ولا يكتفى كاتب المقال بعرض وجهة نظر الجانبين ، وانما هــو يساند وجهة نظر أحــدهما ، ويرى أن الجانب الجنوبى حول القضايا المبتوت فيها كمشروع الدستور الى مادة للنقاش ، وتقــدم بمطالب تعجيزية لتأخير قيام دولة الوحــدة :

« وأثناء اللقاء المشترك بين قيادة الشطرين وضعت على مائدة

المباحثات المشاريع المعــدلة حيث رأى الشطر الجنوبى أنه لا توجــد الآن أسس موضوعية للوحــدة اليمنية ، وأنه لابد من خلق هـــذه الأسس ، ومن أبرز هــذه الأسس تكوين المؤسسات الاقتصـــادية المشتركة ذات الطبيعة الواحــدة فى الشطرين • وقــد رفض مشروع الدستور ليتحول الى موضوع للنقاش ، ووضع قضايا تعجيزية ، أبرزها تحــديد حــدود اليمن الطبيعية فى الوقت الراهن » • (ص ٣٩) •

ويرى كاتب المقال أنه ليست هناك عوائق حقيقية تحـــول دون تحقيق وحــدة اليمن الفورية ، فلا النظام فى الشمال ذو طبيعة مختلفة جوهريا عن النظام فى الجنوب ، ولا هــذا يتميز عن ذلك بميزة ما يمكن له التذرع بها لتأجيل قيام الوحــدة ، كلا النظامين يعيشان مرحلة واحدة هى مرحلة الثـــورة الوطنية الديمقراطية • وما عــدا ذلك ادعاءات ومزايدات كلامية تصدر من الجنوب ، كما أن القول بأن النظام فى الجنوب اشتراكى هــو اتهام لا أساس له ، تماما كاتهام نظــام الشمال بأنه رأسمالى ••

ولا طريق لهــذين النظامين المتقاربين اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا ، ولا سبيل لابعادهما عن المحاور الدولية العسكريا والسياسية ، سوى طريق الوحــدة اليمنية الفورية والكاملة :

« وأمام هــذا الوضع الذى يتجــه الى التعقيد تحت مبررات مختلفة ، منها أن الحزب الاشتراكى الحاكم فى الجنوب يعتقد أنه من المستحيل التفريط بمكتسباته فى الجنوب على حساب الوحــدة اليمنية ، أو يتحــد مع قــوى « يدعى » نظريا أنها غير تقــدمية وبنفس الاتجاه فان قيادة الشمال والقوى المتنفــذة فى السلطة تعتقــد أنه لا يمكن الاتحاد مع « نظام شيوعى » فى الجنوب •

رغم أن معتقدات الطرفين بهـذا الشأن خاطئة مئة بالمئة ، فـلا النظام فى الشمال غير تقـدمى ، ولا الحزب الاشتراكى ونظامه فى الجنوب « نظام شيوعى » فالقواسم المشتركة بينهما أكثر وضوحا ، بل واتفاقا ، اقتصاديا واجتماعيا قائما بينهما ، لا يمكن وصـف اليمن سوى أنها تمر فى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية فـلا الاشتراكية سائدة فى الجنوب ، لا نظريا ولا عمليا ، ولا الرأسمالية سائدة فى الشمال نظريا وعمليا .

ولهـذا التقارب الاقتصادى الاجتماعى الثقافى للشطرين ، فان اليمن بحاجة الى دولة موحدة مركزية ... » « بحيث تصبح لليمن هوية مستقلة لتختار النظام الاقتصادى الاجتماعى المناسب لهـا ، بعيدا عن التمحور والتحالف الدولى عسكرية وسياسيا » . (ص ٣٩ — ٤٠) .

واضح أن كاتب المقال كما يساوى بين طبيعة الوضعين فى شطرى اليمن ، ليبرر دعوته بضرورة تحقيق الوحـدة فوريا فانه يساوى بين الشرق والغرب ، بين المنظومة الاشتراكية والمعسكر الامبريالى ، ليبرر الابتعاد عن حلفاء الثورة اليمنية وليزكى قيام نظام اجتماعى ذى طبيعة ثالثـة .

ولكن هل هناك خط ثالث فعلا يمكن اختياره بعيـدا عن التراث والاختبارات النظرية والعملية التى خاضتها البشرية عبر رحلتها التاريخية الطويلة والمضنية ؟

بقى أن نوضح أننا بتعقيبنا على هـذا المقال لصاحبه عبد الرحيم محسن لم نكن نهـدف الى أكثر من تنبيه من يتبنون مثـل هـذا الطرح — وهم عـديدون على أية حال — بأنهم لا يفعلون غير أن يضـحوا بمنجزات تحققت بالفعل بفضل تضحيات جسام ، من أجل هـدف وطنى

غال وعزيز لن يسهل تحقيقه الا بالمزيد من النضال الشاق والصبور والطويل النفس .

أما اعفاء النفس من أعباء ومشقات هذا النضال الوطنى والاجتماعى والاكتفاء بقذف النظام الديمقراطى الثورى فى جنوب الوطن الذى يمثل أهم منجز تاريخى حققته الثورة اليمنية بشقيها بأنه نظام انفصالى ، وأنه — فوق ذلك — لا يتميز بشيء ولا يرمز الى شيء ، فهو مجرد مسلك نزق لا يضر هذا النظام ، كما لا يفيد صاحبه .

وأخيرا بقى أن نسأل مجلة « الحكمة » — لسان حال اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين — الديك بضاعة أخرى أفضل من هذه ليشتريها الناس ؟ !

أما هذا النوع من البضاعة « الوحدوية » فلن تعثروا له على سوق رائجة !

ولذلك فان كل الوطنيين اليمنيين العاديين سيقولون لكم بلسان واحد : بضاعتكم هذه ردت اليكم !

القسم الثانى

جـــدل مـــع « الحكمة » حـــول مفهـــومها لقضـــية الوحـــدة اليمنيـــة

(رسالة) الشهارى(*)

اتخذت الأمانة العامة لاتحاد الأدباء قرارا بنشر رسالة المناضل التى وجهها الشهارى الى التنظيم والحكومة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

سيادة الأمين العام للجبهة القومية الأخ عبد الفتاح اسماعيل الموقر

فخامة رئيس مجلس الرئاسة فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الأخ سالم ربيع على المبجل

حضرة رئيس مجلس الوزراء فى جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية الأخ على ناصر محمد المكرم

تحية واحتراما ..

الموضوع : رفع قضية قذف ورد اعتبار على عمر الجاوى

فى كل ما حررته اليكم من رسائل ، وما كتبته من مقالات وبحوث فى المجلات المصرية وغير المصرية حول العمل الوطنى فى اليمن كان أمامى — وما يزال — هدف واحد ثابت ، لا أحيد عنه ولا أتزحزح . وهو — بكل ما تخلل الكتابة فيه من نقد موضوعى ورفاقى للأطراف الوطنية — الاسهام بقسطى العلمى المتواضع — كواحد من مثقفى ومناضلى وطننا اليمنى — فى انضاج وبلورة الوعى الوطنى والوحدوى ،

(*) نشرت فى « الحكمة » عدد يونيو ١٩٧٥ .

الذى بدون اكتماله وبلوغه درجة السطوع والتجلى ، فانه ليس فى الامكان لا توحيد الحركة الوطنية اليمنية ، ولا تحقيق وحـدة الشعب اليمنى المنشودة والغالية والعزيزة على كل قلب .

ولقـد كانت كتاباتى الموضوعية والنقـدية هـذه بمثابة حجـر القمت به القوى الرجعية والمناوئة التى لا تملك الا التقول والافتراء على قـوى الثورة ، وكانت بمثابة درس بليغ بأن قوى الثورة أولى بنقـد بعضها البعض بروح من الحرص والاخلاص والولاء الوطنى والثورى لشعبها ولبعضها البعض ، وانهـا لا تتردد فى انتقـاد بعضها بعضاً ، عندما يكون هنـاك ما يستدعى النقـد ، وأنها تفعل ذلك بدون تحرج ولا مواربة — وبالتالى — لا تنتظر من خصومها أن يروها أخطاءها ونواقصها ، وانها بالتزامها بمبدأ النقد والنقد الذاتى ، وممارستها لـه ممارسة خلاقة ومبدعة ، قادرة على تصحيح أى انحراف فى سيرها ، وأى ثغرة فى مفاهيمها أو فى صفوفها ، وعلى المضى — بفضل ذلك — دائمـا وباستمرار على درب المسيرة التاريخية الظـافرة ، مسيرة التحـرر السياسى ، والتوحـد الوطنى ، والتقـدم الاجتماعى .

على أننى لاحظت للاسف الشديد — ولا سيما فى الفترة الأخيرة — ان هناك بين القوى الوطنية من لا تزال غائبة عنه مثل هـذه التقاليد الثقافية والديمقراطية بين قوى الثورة ، وان ذلك الجهـد النقـدى والموضوعى الذى أسهمت به فى هـذا المضمار لم يلق التقـدير الذى يستحقه لدى بعض العناصر الوطنية ، ومن هنا كان رد فعلها ازاء ذلك غير صحى وغير صحيح ، حتى لقـد بلغت الأمور حـد « تسخير » بعض المثقفين اليمنيين غـير الملتزمين بمبـادىء وقيم فكرية وسياسية ثابتة ومحـددة ، والمعروفين بارتدادهم عن الفكر الاشتراكى العلمى ، وبالتشويش على ممثليه الاصلاء داخل اليمن وخارجها ، والموسومين بالادعاء والغرور وبالتهريج والعبثية ، وبالتسيب والفوضوية وبالدعاية

المجوجة والفجة للفكر السلفى الاصلاحى الاقطاعى ، كفكر حركة الأحرار اليمنيين الحاكم اليوم بعض رموزها القبيحة والبشعة فى صنعاء ، والمدانين بابتعادهم عن الاسهام فى خلق ثقافة وطنية جديدة — « تسخير » أمثال هؤلاء المرتدين المنحرفين المتاثين كعمر الجاوى للرد حتى على كتابى (اليمن .. الثورة فى الجنوب ، والانتكاسة فى الشمال) الذى كان هدفى منه — من أول حرف الى آخر حرف — تعرية الحكم الاقطاعى فى صنعاء ، سواء بشكل مباشر ، من خلال المقارنة بين ما آلت اليه الأوضاع فى شمال الوطن فى ظله وعلى يده ، وبين أوضاع الاستقلال الوطنى والتقدم الاجتماعى فى جنوب الوطن ، والتى تحققت بفضل وفى ظل النظام الوطنى هناك ، أو بشكل غير مباشر من خلال كشف جذوره وتعرية خلفيته التاريخية التى اتسمت بالعمالة للأجنبى ، كما كان هدفى منه هو التأكيد بأن الحكم الرجعى العميل فى صنعاء لا يعدو أن يكون استمرارا تاريخيا وتطبيقا عمليا لنهج حركة الأحرار السياسى الذى رسمته وعملت له منذ نشوئها ، دون أن يعنى ذلك أن الحكم الاقطاعى الملكى الكهنوتى لم يكن قد وقع هو الآخر — ولو تدريجيا وعبر الصراع مع حركة المعارضة — تحت نفوذ الاستعمار الأمريكى . ومن هنا تقييمى لأحداث الصراع بين جناح المعارضة الاقطاعى الكومبرادورى المتطلع الى السلطة ، والجناح الاقطاعى الامامى الحاكم بأنها ليست سوى (شكل محلى) لذلك الصراع المحتدم بين الاستعمار القديم والجديد على اليمن وعلى جزيرة العرب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية .

ولقد كنت سأتقبل بسرور أن يكون للجاوى رأى آخر فى القضية مبنى على الاستقراء والتأصيل التاريخى بقطع النظر عما اذا كان يملك مؤهلات ذلك ، من حيث أنه ليس بمختص فى ميدان البحث التاريخى ، وبدلا من القيام بمحاولة فى هذا المجال ، ولأن فاقد الشيء لا يعطيه

— ذلك أن الجاوى أراد التخصص فى جزئية معينــة تتعلق بالصحافة اليمنية ، دون أن يمضى فى الشوط الى نهايته — فانه لجـأ الى سلاح العاجزين والمفلسين ، الى أسلوب التجريح الشخصى ، وبالنيــل من كرامات الناس وشرفهم الوطنى • ان ذلك هــو بالضبط ما تضــمنه مقاله سيىء الذكر (حركة الأحرار ومرض الطفولة (الشهارى) الذى نشرته مجلة « الحكمة » العــدنية فى مارس ١٩٧٥ والذى كتب بأسلوب تهجمى وعــدائى ، وبروح عــدوانية شريرة ، وبلغة وصلت فى انحطاطها وتجنيها ، وفى قــذاعتها وابتــذالها ، الى أســفل درجات السفاهة والتفاهــة •

ولا أقول أن بعض زعماء الجبهة القومية كانوا على علم بنزول هــذا المقال القــذر والمخجل ، المؤسف والمسف فحسب • وانما أقول أنهم كانوا غير بعيدين عنه تماما ، حتى لقــد بلغ اليناً علم هــذا المقال قبل ظهوره فى المجلة ببضع أسابيع • وكان انفرتنى عبد الرحيم سلام سكرتير تحرير مجلة « الحكمة » ممن « بشر » بنزول هــذا المقال أثناء مروره بالقاهرة فى طريقه الى الجزائر فى مارس ١٩٧٥ •

لقــد كان المفروض أن يسكت الجاوى نهائيا والى الابد عن الخوض فى ميدان البحث التاريخى الذى لم يهيأ له ، ولا سيما بعــد أن كشفنا فى كتابنا الآنف الذكر عــدم صلاحيته وأهليته لمثل ذلك ، ومدى تخبطه وغربته عليه ، ومدى فجاجة وتخلف ورثاثة وتناقض الآراء التى جشم نفسه تجشيما فى ابدائها فيه ، ولكن روح المكابرة واللجاج فيــه أبت عليه أن يترك هــذا الميدان لافراسه ، وان يقنع بما أتيح له من علم فى مجال غير هــذا المجال ، وأن يعرف بالتالى مدى قــدراته وقــدر نفسه فمضى يعاند ويقاوم بأسلحة الجهالة والضلالة ، وينفث سموم أحقــاده وحسده وأمراضه وعجزه على من هم أعلى منه كعبا ، وأوفر حظــا فى

مضمار البحث العلمى التاريخى والاجتماعى ، وهكذا أخــذ — وكأنه قــد بلغ به السعار مبلغه — ينهش أعراضهم ، ويأكل لحمهم حيا !

لذلك ، واستنكارا واحتجاجا على هــذا الأسلوب غير اللائق الذى تجرد فيه الجاوى من الضمير الوطنى والأخوى معا ، ومن كل ذرة شعور بالمسئولية ، ومن روح الانصاف والعــدل ، بل ومن الاحساس بالحياء والخجل ، والذى تجرأ وتطفل فيه على التاريخ ، وهــو ليس من أهله ، وتبجح واساء فيه الى ذوى الاختصاص من الباحثين والمؤرخين ، فوق اساءته الى الثورة اليمنية ورجالها والى الثــورة المصرية بقيــادتها الناصرية التى أنبرت لدعمها فى الوقت الذى دافع فيه بحرارة عن الخط الرجعى — الاستعمارى الذى قاده الزبيرى من البداية ، خط عمران — خمر — الجند ، خط الرفض للتدخل الثورى القومى المصرى الى جانب الثورة اليمنية فى مواجهة الثورة المضادة التى قادها حلف الرجعيــة اليمنية والعربية والاستعمار القــديم والجــديد ، فالتقى الجاوى فى ذلك — شأن مثله الأعلى الزبيرى — مــع موقف هــذه القوى المتخلفة والمعادية لحق شعبنا فى التحرر والانعتاق ، وهــذا الأسلوب الذى خلا من كل آداب وأخلاق وأصول البحث والحوار العلمى النزيه الذى من المفروض والضرورى أن يدور حــول قضــايانا التاريخية والوطنية المعقــدة التى تتطلب جهدا فكريا شاقا وخلاقا ، لا الاستغناء عن ذلك بتوجيه مفردات الشتيمة والسباب المستهجنة والمستنكرة الى المؤرخين والمجتهدين ، ولأن الجبهــة القــومية تتحمــل — بالطبيعة — مسئولية سياسية وأدبية عن كل ما ينشر فى عــدن ، وبمــا أن سكرتير تحرير (الحكمة) هــو القرشى عبد الرحيم سلام الذى تربطه بالجبهة القومية صلة سياسية خاصة ومعروفة ، والذى لهــذا السبب لابد أن يكون قــد أحاطها علما بهــذا المقال قبل نشره ، كما أحاط بعض اليمنيين فى القاهرة بذلك قبل صــدوره بوقت غير قليل ، ولان كل كلمة تصــدر

فى المجلات العـدنية بما فيها (الحكمة) تخضع لرقابة مباشرة ، أو غير مباشرة . كما ذكر عمر الجاوى رئيس تحريرها نفسه ، الذى قال لى أثناء لقائنا فى القاهرة مـع نهاية ١٩٧٤ أنه ليس من السهل كتابة شىء فى مجله (الحكمه) دون مراعاة موقف الجبهه القومية ورأيهـا فيما ينشر ، وطمعا فى اجراء تحقيق عادل ونزيه لظروف وملابسات نشر هـذا المقـال ، وبالدرجة الأولى فى محتوياته ، باعتباره يشكل « قضـية قضائية » أرفعها عليه ، من حيث انه يمثل عملية « طعن وقـذف » فى حـق مواطن يمنى ذنبه الوحيد هـو دفاعـه المستميت والشريف عن قوى الثورة اليمنيه ، ودعوته الدائبه والمخلصة لها بضرورة التوحـد فى مواجهه وحـده قـوى الرجعيه اليمنيه ، والعربية ، والاستعمار القـديم والجـديد ، ومن اجـل صنع الاداة النضاليه القادرة على اقامه دوله اليمن الحـديثه الموحـدة الوطنيه الديمقراطية .

لذلك كـله فانى اتوجـه الى سـيادتكم بالرجـاء — بصفتكم « المسئول الأعلى » عن كل جريرة أو اهانة قـد تلحق بمواطن يمنى من قبل مواطن آخر — بالأمر باجراء تحقيق عاجـل ، وحاكمة فـورية ، تقوم بهما (محكمة أدبية) يشكلها اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، لمـا نشره عمر الجاوى فى مقاله هـذا الذى امتلأ بروح من العـداء والكراهية المقيتة الغريبة فى نوعها ، بل وبروح من الغـدر والخيانة لكل معانى الأخاء الوطنى والانتهاك الفظ لكل مثل الاحترام لاقـداس النـاس وحرماتهم .

وانى لا قبل سلفا الحكم الذى يصدر عن هـذه (المحكمة الأدبية) عن هـذه (الظلامة) التى جسدها هـذا المقال المخزى والعارى من كل قيم المراعاة لاقـدار المواطن وكرامته وعرضه ، راجيا من سيادتكم أيضا المتفضل — مشكورين — بابلاغ صورة من شكاتى هـذه الى اتحاد

الأدباء والكتاب اليمنيين ، مرفقـا بالأمر فى تشكيل هـذه (المحكمة الأدبية) وراجيا فى ذات الوقت الإمر بنشر صورة من هـذه الشكاة فى مجلة (الحكمة) التى نشرت مقال الجاوى ، وحتى يكون أمام هـذه المحكمة كل الوثائق موضع التحقيق ، وثائق المدعى والمدعى عليه .

ولهـذا الغرض فانى وكلت للتقاضى نيابة عنى كلا من الاخـوين السيد جبر بن جبر ، والأستاذ القانونى حسن مجلى .

وحتى يقول القضاء الأدبى كلمته فى (قضية الطعن والقـذف) هـذه التى أرفعها على الجاوى ، ولان للقضية جانبها الاجتماعى العام . من حيث أن الألفاظ التى استعملها تتنافى مع العرف والآداب والذوق العام ، ولانكم بحكم مسئوليتكم الدستورية العليا والعـامة تعتبرون حماة لتقاليد وأخـلاق المجتمع الواجبة الرعاية والاحترام ، فانى أرفع قضـية (رد اعتبار) وطنى واجتماعى ، تغـدون بحـكم مسئوليتكم الخاصة والعامة هـذه مناط الوفاء بها ، قبل أى جهة اختصاص جزئية .

وتقبلوا سيادتكم خالص تحياتى وتقـديرى ..

أخوكم : الدكتور محمد على الشهارى

صورة لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين (الادارة العامة) .

هـــل الهـــدف تحقيـــق الوحـــدة اليمنيـــة
أم احـــداث ردة ثـورية فى اليمـــن الديمقراطيـــة(*)

عندما لا يعرف المرء مسئوليته النضالية ، أو يعرفها ويتخلى عنها لأن كاهله ناء بحملها ، فانه يفتش له عن مبررات يغطى بها عجزه عن اتخاذ موقف نضالى ما ، ويعزى بها نفسه لاتباعه هـذا المسلك .

ولا بأس من التذرع بقضية من القضايا أو حتى بالعـديد من القضايا ذات الطبيعة المعقده ، والتى يتطلب تحقيقها نضـالا مريرا ، وجهدا جهيدا ، المهم أن تكون الذريعة التى يعفى بها نفسه من مشقة ومغبة النضال موجودة دائما . وسهلة الاستخدام باستمرار .

وما أكثر الذرائع والتعلات لمن يبحثون عنها ، ليداروا بها قصورهم أو تقصيرهم ، ولمن يؤثرون السلامة والعافية على خوض النضال المرير والطويل ، الذى قـد يسلم أصحابه الى التهلكه .

وحتى التطاول الاستعمارى والتحكم الرجعى الخارجى ، وأساليب البطش المتبعه ازاء الشعب لا تحرك فى أمثال هـؤلاء ساكنا . أما لمـاذا فالحجه جاهزة . والحجة أن ذلك مجرد عقاب لكل من لا يسمع ويقتنع بوصفتهم المحفوظة ودوائهم الشافى من كل الأدواء ! ويقـدم رئيس

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٧/٨/٣ .

مجلة « الحكمة » صورة صارخة لمثل هـذا النهج ، ولمثل هـذه النوعية الخاصة من الناس . فوفقا لوجهة نظرهم فانه فى بلـدان كالبلـدان الشديدة التخلف والتى ما تزال تتحكم فيها الغرائز البدائية والنزعات القبلية ، والصراعات الطائفية ، والحساسيات العرقيـة ، والولاءات الشخصية ، وحب الذات المفرط لا مجال لمثل ذلك النمط من الصراعات الحضارية كالصراع الوطنى ، والصراع الاجتماعى اللذين لا تفرزهمـا الا أحزاب عصرية — على هـذا النحو يختزلون خارطة المجتمع ويلغون منها المعالم الأعمق — .

ولأن اليمن واحـدة من هـذه البلـدان الشديدة التخلف والتى غرقت وما تزال غارقة فى مثل هـذا النمط من النزاعات البدائية ، وما يزال يتحكم فيها هـذا النوع من العلاقات غير الحضارية ، فلا مكان للحـديث عما يسمى الصراع الوطنى أو الصراع الاجتماعى . فـلا الاستعمار موجود حتى يكون هناك صراع وطنى ضـده ، ولا الطبقات الاجتماعية المتناقضة المصالح لهـا أثر حتى يصح القول عن صراع اجتماعى فيما بينها — وعلى هـذا النحو يشوهون البنية الاجتماعية التى أخـذت تتشكل فى اليمن منذ قيام الثورة — .

تلك بعض الحجج والذرائع التى يوردها هـذا النمط من الناس ليبرروا بها تقاعسهم عن خوض النضـال الى جانب شعبهم وحركته الوطنية الديمقراطية المعاصرة ، وذلك هـو المدى الذى يذهبون اليه فى تشويه صورة الواقع وحجب كل جـديد فيه . وكما يصورون فأنه ليس هناك تناقض طبقى ، ولا صراع وطنى واجتماعى ، ولا أحزاب حقيقية تعبر عن الصراع الطبقى والوطنى الذى لا مقومات موضوعية لـه . لذلك فان الحـديث عن شىء ما من هـذا القبيل مجرد لغـو فى لغـو ، والبرامج الحزبية التى تتضمن مثل هـذه المفاهيم لا تفعل غير أن تردد ما يقوله غيرها عن واقعه الاجتماعى الخاص به .

أما القول بأن هناك انجازات قد تحققت سواء على الصعيد الوطنى أو الاجتماعى أو الاقتصادى أو الثقافى فان ذلك هو الادعاء بعينه •

وما يسمى الاستقلال الوطنى الذى يقال أن اليمن الديمقراطية حققته بخروج آخر جندى انجليزى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ م لا يعدو أن يكون حجر عثرة جديدة قذف بها فى مجرى الوحدة اليمنية « لأن جلاء الانجليز قد أنتج اضافة جديدة وأصبح الوطن مقسما الى جمهوريتين وأرض (وأراضى) محتلة » كما لم ينتج سوى تدهور لاقتصاد البلاد ذلك لأنه كان « الجزء الجنوبى من الوطن مصدرا للانتاج الزراعى » وبالذات « ابان حكم الاستعمار والسلاطين » على عكس ما هو الآن فى ظل الاستقلال — كما جاء فى عدد يونيو ١٩٨٧ م من « الحكمة » •

بل ان السعى نحو ايجاد دولة خاصة « مستقلة » منفصلة أو « انفصالية » فى الجنوب كان مبيتا من البداية ، وبالذات منذ قيام الجبهة القومية ، ومشرعا له فى ميثاقها الذى أعلنته فى مؤتمرها الأول ، ولذلك « انصب التفكير بكامله بعد ٣٠ نوفمبر فى جنوب الوطن على تأسيس دولة مستقلة ذات سيادة بوضع خطط وبرامج محددة لها فى الميثاق الوطنى العام ١٩٦٥ م » •

ويضيفون : ولأن مثل هذه الدولة — أو العقبة الاضافية المنصوبة على وأمام طريق الوحدة اليمنية — قد قامت فانه كان لا محيص من الحفاظ عليها بأى ثمن حتى بالتضحية بقضية الوحدة التى كان يظن أن لها الأولوية على ما عداها ، وكان الصراع على السلطة بين جناحى الجبهة القومية فيما اسمى باليمين واليسار — حيث لا يمين ولا يسار فى الواقع — مجرد تبرير للتشبث ببقاء هذه الدولة ، حتى ولو

تم ذلك من جانب ما صنف باليسار تحت يافطة اعطاء مضمون اجتماعى لدولة الاستقلال • وهى حجة مرفوضة جملة وتفصيلا • فالحـديث عن مضمون ما للدولة ـ أى دولة ـ قبل الغاء هـذه الدولة فى دولة يمنية موحـده هـو كتسمية الوليد قبل أن يولد • ينبغى أن توجـد الدولة المعترف بها أولا ، ثم يجرى النقاش والاتفاق أو الاختلاف حـول طبيعتها ، ولذلك فان الهراء الذى دار بين متصارعى الجبهة القـومية وغيرهم حول المنحى الاجتماعى لدولتهم يخصهم وحـدهم ، فوق أنه سابق لاوانه « لان دولة نشأت فى الجنوب يقـودها حزب تم الصراع جهاراً نهارا على قيادة « الجبهة القومية » والسلطة ، وتحـدد منـذ فبراير عام ١٩٦٨ م بصراع اليمين واليسار ، وجرت الأمور بصـورة مغايرة للشعار الأولى ـ اعادة الوحـدة ـ الى المضمون الاجتماعى لبناء الدولة ووضعت العربة قبـل الحصان ، ولم نزح نحن العربة ولا فككنا عنان الحصان » •

ويمضى هـؤلاء الذين يضعون أنفسهم خارج العملية الثـورية المحتدمة فى بلدهم وخارج مجرى النضال الوطنى والاجتماعى عموما ـ يمضون فى صب السائل الأسود على وجه ثورة ١ أكتوبر بحيث لا يبقى منها شىء يدل على وجودها وعلى أنها أخرجت الشطر الجنوبى من اليمن من أسر التبعية الاستعمارية الى حياة الحرية الوطنية ومن قبضة القوى الطبقية المستغلة والدائرة فى فلك المستعمر الى أيدى أبناء العمـال والفلاحين والمثقفين الثوريين وجماع الكادحين ، ومن عهد التخلف والرجعية الى عهـد التقـدم والثورة ، حتى غـدت بذلك واحـدة من أبرز المعالم فى منطقة التحرر الوطنى فى نهجها الوطنى الاجتماعى المستقل ، وفى سياستها العربية والدولية المتحررة وفى دعمها لنضال حركات التحرر الوطنى والتقـدم الاجتماعى فى وطنها العربى وفى العالم النامى قاطبة ، وفى تعاونها الذى يبلغ حـد التحالف مع مجمل قـوى العملية الثورية

العالمية وفى مقـدمتها منظومة البلدان الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السـوفيتى •

كل شيء يقلب رأسا على عقب ، والفجر الصادق يصبح ظـلاما حالكا ، وعملية التجـديد الديمقراطى للبنية الاجتماعية مجرد نقش على صخر ، والانتقال بالبلاد من مرحلة التحرر الوطنى الى مرحلة الثورة الديمقراطية مجرد كلام غير مفهوم من الأساس ، والتطـلع المشروع نحـو بناء الاشتراكية وبما يتفق مع مجرى حركة التطور فى العالم كله مجرد شطحات طفولة •

ولقـد تبلغ الأمور حـد التشكيك فيما اذا كان التوجه الوطنى نفسه سيكتب لـه البقاء ، ذلك أن ريح الفتنة الأهلية والحزبية ماتزال تعصف ، وليس هناك ما يدل على أنها لن تكتسح أمامها كل شيء وتأتى حتى على ما أفلت بمعجزة من طوفان كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م •

هـذه اللوحة القاتمه المنفرة لماضى الثورة وحاضرها ومستقبلها والتى تشيع روح اللامبالاة والتشاؤم والاشمئزاز من الثورة والثورية ، ومن كل من يبشر بقيم الخير والحق والجمال والسعادة — هـذه اللوحة تمضى فى تلطيخ جبين الثورة بالبقع السوداء كما يلى :

بدل الشروع فى توحيد الوطن اليمنى كان هناك سباق محمـوم نحو تلقى وتبنى الشعارات اليسارية التى لا تصلح لواقع يمنى مغرق فى التخلف والهمجية ، ولا تصلح له الا شعاراتهم التى يمكن ايجازها فى شعار واحـد: التوحيد كيفما اتفق وبأى ثمن ، حتى ولو كان رأس الثورة ، ان كان لهـا رأس ، أو بقى لهـا رأس !

وكما أنه ليس هناك توجه رأسمالى فى شمال الوطن ، فانه ليس هناك توجه اشتراكي فى جنوبه ، فليس هناك سوى « شعارات مستعجلة

ولا تنطبق فى أغلبها على الواقع اليمانى » وليس هناك سوى كلام فارغ يتردد عن « نظامين متمايزين » فى الوطن — (اشتراكى ورأسمالى) » •

بل أنه ليس هنـاك شىء اسمه حركة ٢٢ يونيـو التصحيحية لعام ١٩٦٩ م • فهـذه الحركة التى ازداد الطنين حولها ، وصورت بأنهـا نقطة تحول فى مجرى الثورة ، بها سقط اليمين الأنتهازى ، وبفضـلها تسلمت قوى اليسارى الثورى السلطة وبدأت عملية التغيير الاجتماعى الديمقراطى للبنية التحتية والفوقية للمجتمع — هـذه الحركة لا هى تصحيحية ولا هى تغييرية — فيمـا عـدا التشدق اللفظى بشعار الاشتراكية العلمية من الأجهزة الرسمية والاعلامية — •

فعـدا أن القاعـدة الطبقية والأسـاس الاقتصادى والشروط المجتمعية لا تؤهل أحـدا للقيام بتحول اجتماعى ديمقراطى ، بتوجـه الاشتراكى ، فان الانجاز الوحيد الذى جاءت به هـذه الحركة هـو فتح الباب لنزاعات سلطوية ظلت تتفاقم ، حتى بلغت مداها الطبيعى ، بكارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م ، دون أن يعنى ذلك أن الباب قـد أغلق ، وأن ملف هـذا النزاع الحزبى — القبلى قـد طوى ذلك أن الأسباب والعلل ما تزال كامنة فى صلب المجتمع ، بل وفى صلب طليعته ، ولانجاة من الغرق فى دوامة الطوفان الا بركوب سفينة النبى نوح التى يمسكون بشراعها ، الا وهى الوحـدة اليمنية ، دون نظر أو اهتمام بمن على ظهرها من الناجين من الغرق ، فهى تتسع لجميع الأهل ، عـدا بعض « الاقطاعيين ، ووكلاء الاستيراد وهم قلة فى الوطن » •

أما الصورة الكاريكاتورية المضحكة المبكية لسير الأحـداث هـذا منذ حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م حتى اليوم فقد رسموها على هـذا النحو •

« فمنذ ٢٢ يونيـو ١٩٦٩ م لم يطـرأ أى تغيير هام فى المنحى الأيديولوجى ، التوجه الحزبى والذى ينص فى أغلب الأحيان على انتهاج

الاشتراكية العلمية ، طبقت فى أجهزة السلطة (ملاحظة : لا تهم الصياغة مهما بدت مرتبكة — الكاتب) دون أى مستند مادى باستثناء ما تقوله أجهزة الاعلام •

وحل التغيير فى قيادة الحزب والسلطة بمعنى ســـقوط قيادات ونهوض أخرى ، دون أن يعكس ذلك نفسه على القضايا الاقتصـادية والاجتماعية والثقافية والتشريعية ، وعلى وجــه الخصوص قضـايا الديمقراطية لأعضاء الحزب والجماهير • ومنذ ذلك التاريخ والاستقطاب الشللى من الناحية الحزبية ومن خارج الحزب يأخــذ مداه الضـار للغاية دون معالجة تذكر ، وتركت قضايا الجماهير خارج الصراع ، الأمر الذى أدى الى انقسام مسلح والى كارثة مفزعة مريبة فى ذلك الوقت اسقطت من الناحية العملية الجزء الأكبر من الانجازات النظرية فى هــذا الجزء من الوطن (لان القاعــدة الاقتصادية ضعيفة) • ويقيننا الثورى يدعونا الى المزيد من اليقظة ، وعلى أساس من وحــدة الوطن » •

وقــد « جاءت الكارثة للأسباب التى ذكرنا ، وللتناقض الحاد بين البرامج والنشاط الدعائى من جانب مع القــاعدة المـادية المعروفة بحجمها المتواضع • (مرة أخرى لا يهمنا عــدم الالتزام بقواعــد التركيب اللغــوى — الكاتب) •

اتضحت الأمور بعــد الكارثة • ان أى ادعاء لا ينطبق والواقــع العملى فى الاطار التاريخى الحالى مجرد تراكم لمــآسى تؤدى الى ضرب التوجه الوطنى ، ناهيكم عن — مسألة التوجه الاشتراكى » •

وعلى ذلك ، ولان الأمر أمر صراع مجرد على السلطة منذ البدايه والى اليوم ، ولأنه دار فى اطار الحزب الحاكم ذاته دون أن تكون لــه مسببات موضوعية ودون أن تكون لــه علاقة بعملية الحراك الاجتماعى

أو قانون الصراع الطبقى أو بتباين فى الرؤية السياسية ازاء القضية الوطنية والاجتماعية وآفاق المستقبل — لذلك كلــــه فانه لا مسئولية شخصية على أحـــد فيه ، وليس فيه يمين ولا يسار ، والذى بدأ الطلقة الأولى فى الصراع يتحمل ذات المسئولية كالذى أفرغ الطلقة الأخيرة ، والجميع مذنبون ومدانون تاريخيا لانهم ساروا فى طريق الزيغ والضلال والبهتان منذ البداية ، ولم يسمعوا عظة الواعظين هؤلاء ، ولا أخــذوا بوصفتهم الواقية من كل مرض ، الشافية من كل عاهة !

واذا كان البعض من المتصارعين على السلطة قــد أفلت من حبل المشنقة هــذه المرة فلن يفلت منها فى المرة القادمة ، حيث أن المشانق ما تزال منصوبة ، والقبور ما تزال مفتوحة ، والسيوف لم تعــد الى اغمادها بعــد ، ذلك أن كل عوامل الانفجار التى قادت البلاد من كارثة الى كارثة أكبر والمتمثلة فى النزاع السلطوى فى ٢٢ يونيو عام ١٩٦٩ م وفى ٢٦ يونيو عام ١٩٧٨ م وفى ١٣ يناير عام ١٩٨٦ م — هــذه العوامل ما تزال قائمة ، بل انها تزداد يوما بعــد يوم .

وحكمهم السياسى والقضائى والذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه يتخــذ الصيغة التالية :

« ولا نحمل فردا أو مجموعة أخطاء حقبة تاريخية بكاملها وبالذات فى الشطر الجنوبى من الوطن ، حيث يحكم الحزب منذ طرد الاستعمار البريطانى ... نقول والآن على وجه الخصوص ... لان تراكما من الأخطاء البشعة وخرق الشرعية قــد سكتنا عنه نحن ، وليس أحــد آخر أدى الى انفجار أكثر من مرة على نطاق الوطن كله ، ولا نعتقــد ان سكتنا واستمر نفاقنا المقيت أن أحــداث ١٣ يناير ستكون الأخرة » ذلك أن « من أنسل من تحت شفرات السيوف عليه أن يعلم أنها لا زالت مشرعة ان بقيت الأسباب والمسببات هي نفسها » .

والتطرف اليسارى لم ينته بانتهاء سالمين ، وانمـــا استمر فى عهد تسلم عبد الفتاح اسماعيل أمانة الحزب ورئاسة الدولة حتى تم ابعاده : « لقـــد ركزت المسألة ، وبعـــد انتهاء مرحلة سالمين ، أو أن صح التعبير سالمين نفسه ، الى قضية قائمة اليوم ، وهى ضرورة المراجعة وليس التراجع عن التوجه ، ولم يكتب لتوجه الشهيد عبد الفتاح التطبيق لسرعة ابعـــاده » .

وظل التطرف اليسارى يتسعر — كما هـــو حادث اليوم — بشعار الثورة الوطنية الديمقراطية المرفوع فى اليمن الديمقراطية بشكل رسمى منذ حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ م ، وهـــذا الشعار نفسه غير مفهوم لا عند هؤلاء المنتقدين له ، ولا عند الرافعين له . وكان ينبغى منذ البداية تجنب استخدام مثل هـــذه الشعارات المبهمة المعنى المضللة للاتجاه ، والتى فى ظلها ترتكب الحماقات وما تزال ترتكب حتى الساعة ، هـــذه الحماقات التى بلغت فى شططها وغلوها حـــد أن الجهة المسئولة عن تخطيط وتوجيـــه المسيرة الاقتصادية التنموية فى قيـــادة الحزب الاشتراكى اليمنى توهمت — ومعها صحيفة الحزب « الثورى » أن ما سمى مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية قـــد تم انجازه بعـــد أحداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م مباشرة — وان ما هـــو موضوع فى جـــدول الأعمال الآن هـــو بناء الاشتراكية .

ذلك يعنى أنه اذا كانت الثورة قـــد سارت فى طريق الضلال والتيه منذ البداية ، فهى اليوم أكثر ضلالا وتيها من أى فترة مضت .

وحسب صيغة أصحاب المذكره الموجهة الى « أمين عام وأعضاء المكتب السياسى للحزب الاشتراكى اليمنى » قبل انعقاد الكونفرنس الحزبى ، والمتعلقة « بشأن الوضع فى البلاد اليمنية » والتى رفعت باسم « الأمانة العامة » لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين فى مايو ١٩٨٧ م ووقعها عنها

عمر الجاوى و د. عبد الرحمن عبد الله ابراهيم » والتى هى مدار بحثنا فى هـذا المقال من بدايته الى نهايته دون أن نتطرق لسواها من افتتاحيات مجلة « الحكمة » خـلال الأشهر الأخيرة ـ حسب هـذه الصيغة فأن التطرف اليسارى بعـد أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م يبدو على النحـو التالى : « كلما كرس وكتب وفهم مما سمى بمرحلة « الثورة الوطنيـة الديمقراطية » فى جزء من الوطن كان ولا زال غامضا وتداخلت فى ذهن القائمين بشئون السلطة المراحل ، الأمر الذى دعى (دعا) بعض الكتاب والمسئولين الى الاعلان عن انتهاء هـذه المرحلة والتبشير بالانتقال الى الاشتراكية » ـ راجعـوا « الثورى » .

وصاغ سكرتير اللجنة المركزية للشئون الاقتصادية التوجـه الاشتراكى هـذا ـ فى منطقة تفتقر الى مصادر الدخل ـ بالتعجيل بتأميم الشاحنات والقات والمقاولات ـ راجعوا الثورى ـ ولا زال الافـذاذ من هؤلاء يمارسون مثل هـذه الأفكار الضالة التى لا تحتاج الى وقت طويل لمعرفة نتائجها .

الأعتراض غير موجـه الى ما اذا كانت مهـام الثـورة الوطنية الديمقراطية قـد أنجزت أم لا ، ولا الى ما اذا كنا قـد قاربنا مرحلة التوجه الاشتراكى أم لا . الاعتراض كما هـو موجـه ضـد مفهوم الثورة الديمقراطية فهو موجـه ضـد مفهوم التوجه الاشتراكى ، وهو موجه فى جميع الأحـوال ضـد جميع الاجراءات الاجتماعية التى قامت بها وتنوى القيام بهـا الثـورة الوطنية الديمقراطية ذات التوجـه الاشتراكى . ومن هـذه الاجراءات المرفوض القيام بها ـ اليوم أو غـدا أو بعـده ـ اجراءات تأميم الشاحنات والقات والمقاولات .

وتهمة « الأفكار الضالة » غير موجهة الى شخص بعينه ، وانمـا هى موجهة الى الحزب ذاته الذى يملك وحـده عبر قيـادته الجماعية

وقرارات هيئاته المنتخبة وعبر أجهزة الدولة الخاضعة لتوجيهه اتخاذ هـذا الاجراء أو ذلك ، بما فى ذلك تأميم الشاحنات والقات والمقاولات عندما تقتضى الضرورة والمصلحة الاجتماعية ذلك •

التحفظ مرفوع اليوم كما من قبل ضـد اكساب الثورة مشروعيتها ومصداقيتها الثورية ، ضـد أن تكون لهـا هوية اجتماعية ، ضـد أن تكون لهـا أصالة طبقية ، ضـد أن تكون فى مصلحة جماهير الشعب الصغيرة والمسحوقة عبر قرون وقرون ، ضـد أن تكون ثورة ديمقراطية وذات تطلع ومنحى اشتراكى •

يراد للثورة أن تظل مجرد عملية سياسية مسطحه ، مجرد تغيير فى بعض الأجزاء والأطراف من جسم المجتمع ، أى أن تكون عملية اصلاحية ليبرالية محدودة ، لا عملية اجتماعية جـذرية تهز بنيان المجتمع القديم حتى القواعـد ، وتقيم صرحا اجتماعيا تقـدميا جـديدا محل الهيكل الأثرى المتداعى •

وبصراحة كاملة تقول المذكرة : « اذن مرحلتنا منذ ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر مرحلة وطنية ، يسعى فيها شعبنا من أجل انجاز مهامه واستقلال الوطن فى كل مناحى الحياة ، معتمدين فى ذلك على الثروة الأساسية التى هى أولا الانسان والموارد الأخرى على نطاق الزراعـة والأسماك والتجارى التى لاتشكل جزءا هاما من مصادر الثروة ، ولأن الانسان هـو الثروة •• اذن لابد من الاعتماد على السكان بكل فئاتهم الاجتماعية •• » •

ما لا يجهله رافعو شعار المرحلة الوطنية فى مواجهة شعار مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية الذى يرفعه الحزب الاشتراكى اليمنى • ومعه الحركة الوطنية الديمقراطية اليمنية بمجملها ، أن الذين سبقوهم

الى مثل هـذا المسلك الذى لم يكن يعنى غير تحجيم وتعقيم وتجميد الثورة عند المرحلة الوطنية ، خسروا كل شىء حتى أنفسهم ، بعـد أن ضاعت منهم الثورة الوطنية أو مع ضياعها ، وما انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧م فى شمال الوطن بكل ما ترتب عليه ببعيد .

بل ان الثورات الوطنية الديمقراطية التى قادتهـا البرجوازية الصغيرة ووقفت باجراءاتها لاجتماعية عند حـد طبقى معين بما ينسجم مع مصالحها البرجوازية الصغيرة قـد ذهبت وذهب معها مفجروها ، وكان بعضهم فى مثل قامة جمال عبد الناصر العملاقة .

وكان لينين قـد نبه — ولا سيما فى مؤلفه « خطتا الاشتراكيه الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية » — الى أنه فى عهـد الامبرياليه لا ثورة وطنية حقيقية بدون ديمقراطية فعليـــة ، ولا ثورة وطنية ديمقراطية ، بدون توجه نحو الاشتراكية ، وان ثورة كهـذه لا يستطيع أن ينجزها ويقودها حتى النهاية الا حزب يمثل الطبقة العاملة ويقـود تحالفا اجتماعيا عموده الفقرى العمال والفلاحون ، ويقيم أوثق علاقات التحالف مع الحركة الاشتراكية العالمية .

ولان الثورات الوطنية الديمقراطية البرجوازية بدءا من ثورة صن يهات صن فى الصين ، مرورا بثورة كمال اتاتورك فى تركيا ، وانتهاء بثـورة جمـال عبد الناصر فى مصر — وهى من أعظم ثورات القـرن العشرين الديمقراطية — لم يتح لهـا أن تنتقل ابان أو بعـد قيامها الى أيدى قوى أكثر جـذرية وثورية فانه لم يكن هناك مناص من سقوطها المريع والمـدوى .

ووثائق الجبهة القومية والتنظيم السياسى — الموحـد — الجبهة القومية ، وأخيرا وثائق الحزب الاشتراكى اليمنى ، تبين بجلاء أنه

كانت هناك عملية استيعاب متصاعدة متنامية لهـذا الدرس البليغ • ومن هنا قيام الحزب الطليعى ذاته : الحزب الاشتراكى اليمنى • أما كيف صاغ الحزب هـذا الدرس وكيف أفاد منه ، وكيف غـدا من الصعب افتقاده من ذاكرته وابعـاده عن طريقه فتبينه كلمات البرنامج : « لقد واجه العـديد من البلدان المستعمرة وشبه المستعمرة بعـد نيـل الاستقلال السياسى مسألة اختيار طريق التطور الذى يتلاءم مـع حاجات شـعوبها ويلبى مطامحها فى تصفية مخلفات نظـام الحكم الاستعمارى القـديم والجـديد وبناء اقتصاد وطنى يشكل أساسا متينا لتقـدمها الاجتماعى وازدهارها •

واتجه عـدد من الثورات الوطنية التحريرية لشعوب هـذه البلدان الى اجراء جملة من التحولات الاقتصادية والاجتماعية ذات الطـابع الديمقراطى العميق الموجهة ضـد مواقع الرأسمال الأجنبى والاقطاع والكمبرادور • وانتهجت علىصعيد السياسية الخارجية خطا معاديا للاستعمار والامبريالية وخطت خطوات كبيرة على طريق تحالفها مـع بلدان المنظومة الاشتراكية •

لقـد تحققت هـذه التحولات والاجراءات فى الأساس بقيادة عناصر وطنية وثورية من البرجوازية الصغيرة » •

« الا أنه بسبب الطبيعة الطبقية لهـذه العناصر وما تميزت به من خـوف وحـذر من الجماهير وافتقادها للأيديولوجية العلمية للطبقة العاملة ، واعتمادها نهجا تجريبيا ، وميلها المتزايد ، وبنسب متفاوته ، الى الانفراد بالسلطة ، لم تستطع حشد وتجنيد الطاقات الاقتصـادية والبشرية والعسكرية الضرورية لمواجهة الهجمة الامبريالية الشرسـة ومتابعة مهام التحرر الوطنى ونهج التحولات الاقتصادية والاجتماعية الديمقراطية والتقـدمية ، فسقط بعضها ، وانحنى البعض الآخر .

وازداد الميل نحو المساومة مع الامبريالية ومع الاحتكارات والرجعية الخارجية والداخلية ، وعززت الأجنحة اليمينية مواقعها فى السلطة وصولا الى استيلائها الكامل على السلطة فى بعض هذه البلدان وارتدادها الكامل عن نهج التحولات التقدمية فى المجال الاقتصادى والاجتماعى وانغماسها أكثر فأكثر فى سياسة العداء للديمقراطية وقمع الجماهير ، وانتقالها الى الدوران فى فلك المخططات الامبريالية والعداء للاتحاد السوفيتى والمنظومة الاشتراكية متخلية بذلك عن المطامع والمصالح المشروعة لأوسع فئات الشعب فى التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى بما يلبى مصالح ومطامح أوسع فئات البرجوازية الصغيرة نفسها » .
(ص ٦ ــ ٨) .

ذلك هو الدرس النظرى والعملى الذى وعاه الحزب الاشتراكى اليمنى جيدا ، والذى يمثل أحد مبررات وجوده واحدى ميزاته بين الأحزاب التى لم تتمكن بعد من هضمه وتمثله بسبب طبيعتها البرجوازية الصغيرة المحدودة النظرة .

ومع ذلك يأتى البعض ممن يتبنون مثل هذه النظرة ليقولوا للحزب الاشتراكى اليمنى : أنت مخطىء نظريا وعمليا ، وكل الذين اعتمدت عليهم وأخذت نظريتك منهم مخطئون ، حتى ولو كانوا هم مؤسسى الفكر الاشتراكى العلمى ، ذلك أن واقعنا الخاص لم يتح لاحد كمثلنا معرفته ، فنحن ــ اذن ــ المرجع ، ومنا ينبغى أن تستقى النظرية اليمنية المجسدة لخصوصيتنا وتقود أوضاعنا .

ومن أجل ذلك كتبت المذكرة الآنفة الذكر التى ــ للأسف ــ ينقصها كل شىء من سلامة التركيب اللغوى ــ رغم أن كتابها على رأس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ــ ناهيك عن حسن الصياغة ــ الى سلامه المنطق الى .. التواضع المفترض فى « العلماء » ! .

ولان الأمر جـد لا هزل فيه فلا بأس من ايراد « الدرس النظرى » الذى تفضلوا به على الحزب الاشتراكى اليمنى وعلى قيادته وعلينـا جميعا : « ولان المذكرة مقـدمة للقيادة فى الشطر الجنوبى من الوطن واثر أحـداث يناير الدامية وسقوط كثير من الحبثيات التى بنى عليها الانفصاليون استحالة الوحـدة فلابد فى هـذه الحالة من اجراء محاولة مخلصة كتشخيص الأخطاء « النظرية » ضمن السلطة القائمة فى جنوب الوطن ، وذلك فى محاولة لاستكمال دور السلبيات فى التمهيد للكوارث التى لحقت بالوطن •

تجـدر العودة فى هـذه الحالة الى وثائق الجبهة القومية والتنظيم السياسى — الجبهة القومية — والحزب الاشتراكى اليمنى لتفهم الخطوط العامة لمسار السلبيات التى تراكمت وتحكمت فى مصائر المواطنين — ابتداء من لقمة العيش حتى حرية التعبير » •

ذلك هو الدرس النظرى الذى افتقدناه — اذن — وافتقدته معنا أحزاب الاشتراكية العلمية ، وعلى رأسها حزب لينين العظيم ، والا فما معنى تعاطف جميع هـذه الأحزاب ، ولا سيما منذ قيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية مع هـذا النظـام ، ووقوفها الى جانبه بثبات ، ومساعدتها له فى التغلب على آثار كل معضلة أو محنة تعرض لهـا ، وآخرها جميعا كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م •

وأما بقية الدرس فهى أن الوطنيين بالذات ، سواء الذين يحكمون فى عـدن أو الذين يرتبطون بهم من شمال الوطن كالجبهة الوطنية هم المسئولون عن عـدم تحقيق الوحـدة اليمنية حتى اليوم وهم المسئولون عن كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م •

« وكشهود عيان من هـذا العصر وأقرب الناس الى شـئون

الوحـــدة لم نلاحظ من قبل السلطات اعطاء الأولوية لهـــذا الهـــدف، الأعظم من أهـــداف شعبنا •• ولن نفتح بابا للنقاش عن السبب ؟ لان قضية مثل هـــذه تقع على كاهل الوطنيين أولا ويتحملون هم التقصير ونتائجه وعلى رأسها مأساة ١٣ يناير ١٩٨٦ م » •

ويتحمل هـــذا النظام الذى يلتحف بالشعارات الفضفاضة والذى يصر على استمراره ولو بالتضحية بالوحـــدة اليمنيه ، يتحمل المسئولية قبل غيره عن بقاء الانقسام الراهن بين شطرى اليمن ، حيث أضعف حتى « موضوع السيادة ، وحول الطموح الى الوحـــدة الى طمـــوح لا يخرج اطلاقا عن تكريس الانفصال ، لا بالشعارات فحسب وانمـــا بالتشريعات والقوانين والأنظمة والاجراءات وما شابه ذلك من الفعاليات التى وضعت فى مرحلة ما بمثابة مكسب لا يمكن التخلى عنه بمقـــابل الوحـــدة وحتى بالوحـــدة نفسها » •

وشأن غيره لم يجـــد هـــذا النظام من أجل بقاء دولته الانفصاليه ومن أجل الدفاع عنها ضـــد المناوئين لهـــا سوى الامعان فى تعقيـــد سبل الوحـــدة واحاطة نفسه بقوى انحـــدرت من شمال الوطن الى جنوبه لتتحول الى جزء فى لعبة حماية النظام لنفسه ، تماما كما تفعل قـــوى أخرى ذات طبيعة أخرى مـــع النظام الآخر ، مما قاد الى حربين أهليتين يمنيتين ، ذلك أنه « لم تجـــد السلطات مدخلا للحل سوى التباعد عن طريق الاجراءات الشكلية أو دعم القوى المناوئة لكل منهما (بصرف النظر عن الجوهر الوطنى والرجعى للقوى) ، وقـــد تم ذلك لا بقصد توحيد الوطن وانما مجرد اجراءات وقائية بالمقابل • وتم التباعد الذى قاد بنا أو بغيرنا الى صـــدامات مسلحة عام ١٩٧٢ — ١٩٧٩ م » •

أما خاتمة الخواتم « للدرس النظرى » المفتقد فتتمثل فى حرمان المجتمع والمنظمات والأفراد من أى شكل من أشكال الديمقراطية ، حيث

« وضعت الديمقراطية على الرف بشكلها العام « للجماهير » والمركزى داخل المنظمات والمؤسسات الحـديثة » •

الشىء المهم والجـدير بالانتباه الذى تغفل المذكرة النظرية ذكره هـو كيف أمكن أن ينشر كل هـذا الكلام فى مجلة تصـدر فى اليمن الديمقراطية ، لا فى جزيرة مهجورة ، رغم كل ما ينطوى عليه من تجريح وطعن وتشويه لتجربة الثورة فى اليمـن الديمقراطية ، وكيف أمكن « لديكتاتوريتها » أن تحتمل حكم الادانة هـذا دون أن تدافع حتى الآن — حتى بمقالة صغيرة — عن تاريخها ونظامها الثـورى وحزبها ونظريتها وقوافل شهدائها الذين سقطوا منذ قيام الثورة فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣م وحتى اليوم ، اقتـداء لخطها النضالى الذى لم يعـد موضع اعتزاز الثوار اليمنيين وحـدهم ، وانما موضع اعتزاز كل ثورى عربى وأممى على الاطلاق ؟

ترى لو دفـع هـذا المقال الذى حاولنا به فقط لفت نظر كتاب « المذكرة النظرية » الى أنهم تجـاوزوا حـدودهم واستثمروا عـدم دخول أحـد معهم فى حـوار مكتوب حـول سلامة منطلقاتهم ونهجهم وموقفهم من الثورة والثوار ، ليمعنوا فى تسفيه كل شىء ، وامتهان كل منجز ، واحتقار كل تضحية ، وتسويد كل صفحات الثورة — لو دفـع اليهم ترى هـل ستتسع « ديمقراطيتهم » لنشره ، وهم المطالبـون بالديمقراطية ، المتباكون عليها ؟

الجواب يعرفه الجميع وتعرفـه الدائرة الأيديولوجية للحزب الاشتراكى اليمنى التى رفض رئيس تحرير مجلة « الحكمة » قبيل أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م مباشرة — حتى مجرد الرد على مذكرتها التى طالبت فيها بحق الرد لكاتب هـذا السطور فى المجـلة على كلام كتب فيها جرى التعرض فيه لـه ، وما زال محفـوظا لدى الدائرة الأيديولوجية حتى اليوم دون أن يجـد طريقه للنشر •

والسؤال ــ أخيرا ــ هو ما هو « البديل التاريخى » الذى يقترحه كتاب المذكرة المرفوعة الى قيادة الحزب الاشتراكى اليمنى والمنشورة فى عــدد يونيو ١٩٨٧ م من « الحكمة » ظالمـا وتجربة الثورة فى اليمن الديمقراطية ــ حسب زعمهم ــ قــد أصبحت اثرا بعــد عين ، وانتهى التشدق بأنها كانت تمثل نموذجا رائدا وملهما فى اليمن وعلى النطاق العربى كله حيث أنه « سقطت تجربة ، كما قيل نهــا الريادة فى هــذا الجزء من الوطن ، ناهيكم عن الحــديث الطويل عن الريادة على نطاق العالم العربى وغيره » ؟

لا بديل يستحق الذكر تقــــدمه المذكرة عــــدا التباكى على الديمقراطية التى تعنى من وجهة نظرهم الليبرالية البرجوازية : لا الديمقراطية الثورية ، التى لا يعترفون بها ، ولا يفهمون معناها ــ كما لاحظنا آنفا ــ ولا شىء غير الحــديث المكرر عن ضرورة الاسراع بتحقيق الوحــدة اليمنية على أساس « مشروع دستور الوحــدة » مع وضع « برنامــج تنفيذى للدستور » تضــــعه « لجنـــة مشتركة » يعينها « المجلس اليمنى الأعلى » .

وحتى يتحقق ذلك ــ وينبغى أن يتحقق فى أقرب وقت وقبـ ل قــدوم الطوفان مرة أخرى ، وهــو قادم لا محالة ، اذا حل التباطؤ والتلكؤ ــ فلابد من « تأسيس بنك لتسليف المزارعين . ذلك موجود فى صنعاء ولكنه يشمل الجميع » . ولابد من اعادة النظر فى قانون الاستثمار حتى تعود الثقة الى الرأسماليين المحليين فى الداخل ورأس المــــال المغترب فى الخارج ، وحتى يسهموا فى عمليــــة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، حيث « ينص قانون الاستثمار على كثير من الايجابيات فى مجال الصناعة أو الاستثمار الصناعى ، لولا احــدى المواد التى تجعل السلطة فى الأخير تقرر مصير أى مشروع ، الأمر الذى أفقــــد

أطراف الاستثمار — بقصد الرأسمال المحلى — الثقة فى توظيف رؤوس الأموال .. أن تاريخا طويلا من عـدم الثقة قـد قام بين المـالكين لرؤوس الأموال المحلية والحكومة فى الجزء الجنوبى من الوطن .. ونحن نقر أن الأخطاء مشتركة .. ولكننا فى حاجة ماسة لجـذب رؤوس الأموال وجلبها من المغتربين فى الخارج » . وليس شرطا أن تستثمر رؤوس الأموال الخاصة فى المشاريع الانتاجية « لأن الاصرار على قطاع الانتاج بشكل مطلق والا الطوفان يفقدنا الموضوعية فى النهوض ببرامج التنمية » .

اذا ربطنا هـذا الاهتمام « الخاص » بالقطاع « الخاص » وهـذه الدعوة الحماسية لتمكينه من النشاط أينما كان دون اصرار على المجالات الانتاجية — اذا ربطنا ذلك بالاعتراض المبدئى على تأميم الشاحنات والقات والمقاولات يتضح على الفور أننا نقف أمام وجهة نظر هى أدنى الى مصالح وأيديولوجية البرجوازية منها الى مصالح وأيديولوجية الجماهير الشعبية العريضة .

اما اذا ربطنا ذلك بحكم الأدانة الصادر فى حـق تجربة الثـورة فى اليمن الديمقراطية منذ بروز ملامحها الأولى حتى اليوم ، فانه يتجلى لنـا حينئذ موقف واضح لا لبس فيه هـو أقرب الى وجهة نظر قـوى الثورة المضادة منه الى وجهة نظر وطنية يصح عليها الخطأ والصواب .

والتمسح بشعار الوحـدة اليمنية أو حتى اتخاذه متراسا لصب النيران منه على قـوى الثورة الوطنية الديمقراطية ، والحزب الاشتراكى ليمنى ، والنظام الديمقراطى فى جنوب لوطن ، لا يعـدو أن يكون تكتيكا غـدا اليوم مكشوفا أكثر من أى وقت مضى .

والهـدف منه ليس تحقيق الوحـدة اليمنية التى يتطلب تحقيقها شروطا موضوعية وذاتية لم تتوفر بعـد — وانما أحـداث ردة ثورية

فى اليمن الديمقراطية ، ومن ثم افقاد قضية الوحـــدة اليمنية ذاتهـــا قاعـــدة وطنية واجتماعية واقتصادية ، وطليعية من الصعب تخيل تحقيق الوحـــدة اليمنية بدونها أو على أنقاضها ٠

والسؤال الأخير هو هل يراد استغلال « اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين » لتحقيق مهمة كهـــذه — حتى بدون موافقـــة كل أو بعض أعضائه — وتحويله من ثم الى « حركة معارضة سياسية » موجهة ضد النظام الديمقراطى الثورى فى اليمن الديمقراطية ، وتحويل « الحكمة » من مجلة تتسع للحوار الأدبى وتهتم بالابداع الثقافى المعبر عن مطامح وأشواق جماهير الشعب العريضة الى « منبر دعائى » لمثل هذه الحركة ، بهـــدف تشويه مجرى الثورة وتكوين « رأى عام » ضـــدها كجزء من عملية التاليب الجارية ضـــدها فى وسائل الاعلام المشبوهة فى الخارج ، وعلى أمل أن يسهم ذلك كله فى تهيئة المسرح السياسى لتوجيه ضربة ضـــد الثورة التى ما تزال — رغم كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م — منارة لكل قـــوى الثورة والتقـــدم والاشتراكية فى المنطقة العربية ؟

لماذا تصادر « الحكمة » السمة الاجتماعية لقضية الوحدة اليمنية ؟(*)

الحيثيات التى توردها المنابر الدعائية الموجهة ضد اليمن الديمقراطية من الخارج وما توردة مجلة « الحكمة » والتى على أساسها تحكم هذه المنابر و « الحكمة » معا على المنحى الذى سارت فيه الثورة منذ الاستقلال والى اليوم لا تختلف الا من حيث التفاصيل . أما الحكم فواحد فى كلتا الحالتين ، فالثورة لم تحقق شيئا على الاطلاق فلا تنمية اقتصادية ، ولا تقدم اجتماعى ، ولا سياسة رشيدة ، ولا ثقافة وطنية ، وانما صراع لا نهاية له بين أجنحة الحزب الحاكم المتسلط على أقدار البلاد والعباد بدءا من انقلاب ٢٠ مارس ١٩٦٨ م مرورا بحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م ومحاولة انقلاب ٢٦ يونيو ١٩٧٨ م وانتهاء بؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ م التى لن تكون مع ذلك الخاتمة لملف المسلسل الدموى الذى يذهب ضحية له أبناء الشعب .

ولا مخرج من هذه الدراما الاغريقية التى تمثل فى الجزء الجنوبى من اليمن الا باقامة تحالف وطنى يضم جميع القوى السياسية فى الساحة اليمنية الرسمية وغير الرسمية روايا كانت هويتها السياسية والا بتحقيق

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٧/٨/١٨ .

الوحـدة اليمنية على أسـاس مشروع دسـتور دولة الوحـدة دون تعـديل ، وابطاء قبل أن يسيل الدم من جـديد أنهارا سـواء بسبب نزاعات السلطة داخل الحزب الحاكم نفسه أو بسبب المضـاعفات والتعقيدات التى ترتبت على أحـداث ١٣ يناير على مستوى اليمـن عمـوما •

تلك هى المعضلة •• وذلك هـو الحل ـ كما ترى قوى الثـورة المضادة وكما ترى مجلة « الحكمة » ـ •

أما التفاصيل والألوان التى تميز بين « الحكمة » وهـذه المنابر فتتمثل ـ من جملة ما تتمثل فيه ـ فى أن هـذه المنابر تريد أن تكون قوى الثورة المضادة طرفا فى التحالف الوطنى المنشود ، ومن ثم طرفا فى بناء دولة الوحـدة ، بينما تستبعدها « الحكمة » ـ فى أغلب الأمر ـ اذا ما قسنا موقفها منها بموقفها من « رابطة » أبناء الجنوب « العربى » والتى يصفها رئيس تحرير « الحكمة » بالانفصالية ـ كما جاء فى عدد مارس ١٩٨٧ من « الحكمة » ص ٦ ـ •

وفى رأى رئيس تحرير « الحكمة » أنه ليست هناك فى اليمن أحزاب يسارية ويمينية ووسطة • فجميع الأحزاب متساوية فى مستوى وعيهـا السياسى ـ اذا ما تم استبعاد التشدق اللفظى بالشعارات ـ ومتساوية فى فقدان الوعى الوطنى الذى يحتكره اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين وحـده • ومن هنا وحسب قوله : « حاولنا أن نوجـد له نوعا من الوعى الوطنى • نكاد نقول اليوم أنه ينقص بلادنا الوعى الوطنى » (صوت العمال ٣٠ـ٧ـ١٩٨٧) •

أما الصيغة التى يزعم بها تساوى الأحزاب فى درجـة الوعى السياسى ويؤكد بها ضرورة دخولها فى تحالف رسمى وشعبى من أجـل تحقيق الوحـدة اليمنية فتقول : « ما بالك بالتحالف الذى يقوم على

المنظمات السياسية والتى هى فى برامجها السياسية أقـدر أقول تكاد تكون متشابهة حسب المرحلة التاريخية » • (نفسه) •

والذين يرفضون مساواة أنفسهم بالرجعيين واليمنيين ويرفضون من ثم الدخول فى تحالف معهم تحت أية ذريعة كانت حتى ولو كانت ذريعة الوحـدة اليمنية هم مجرد رافعى شعارات جـوفاء • وهـو حكم يصـدره بصورة خاصة فى حق الجبهة القومية وفى حـق الحزب الاشتراكى اليمنى ، وينطبق على قحطان الشعبى كما ينطبق على آخر أمين عام للحزب • واذا كان يحيى جغمان وزير خارجية صنعاء عـام ١٩٦٨ م قـد صاغ نقاطا للوحـدة « فقـد رد قحطان بنفس الطريقة ، وفى الأخير كلهم يطلبون شروطا محـددة للوحـدة ، واستمرت على هـذا المنوال الطرق الانتهازية ترفع شعارات ليست معبرة عن اتجاه ولا عن أيديولوجية » • (نفسه) •

واتهام اليسار ، وبالذات الحزب الاشتراكى اليمنى ، بالانتهازية ، لانه يرفع شعارات تتجاوز ما يسميه المرحلة الوطنية التى تمر بها اليمن كلها قـد ورد أيضا فى الرسالة الموجهة الى الأمين العام للحزب وأعضاء المكتب السياسى التى نشرتها « الحكمة » كافتتاحية فى عـدد يونيو ١٩٨٧ ليقوم بها نهج الحزب وحتى « لا نترك فرصة لانتهازيى الشعارات » •

بل ان تبنى المـاركسية لا يعـدو أن يكون تهمة ملصقة باليسار أو هـو الصقها بنفسه لتجنب النهوض بمهمته الحقيقية فى توحيد اليمن التى لا تصح عليها مقولات ماركس الخاصة بالصراع الطبقى ، من حيث أنه لا وجـود للطبقات فيها ، ومن ثم لا مجال للتذرع بحكاية الصراع الطبقى ، والتمـايز الاجتماعى وضرورة اقامة الوحـدة على أسس ديمقراطية ثورية ، حيث يقول : « الحـديث يدور حول كلام قاله ماركس عندما كان يتحـدث عن المنطق الطبقى لفهم الأمور ، يعنى أن هنـاك

ترابطا بين المادية التاريخية والمادية الجدلية معا وليستا منفصلتين عن بعض . هذا وعى حقيقى للكون والحياة وللمجتمع .. ونحن نتكلم عن وضع هو وضع اليمن التى بكاملها جزء من الأمة العربية ونحن نناضل من أجل أن تتوحد . وعينا حقيقة انعكاس للواقع الموضوعى . الحقيقة بأن شعبنا يريد توحيد اليمن لا نخرج عن هذا اطلاقا من ناحية فهم هذه القضايا الدقيقة » . (المصدر الأسبق) .

وعلى ذلك فان عملية التحويل الديمقراطى الثورى للمجتمع فى اليمن الديمقراطية منذ حركة يونيو التصحيحية والى اليوم كانت عملا مفتعلا ولا مبرر له قط ، اذ لم تكن هناك تناقضات اجتماعية حادة تستدعى ذلك عدا وجود قوى اقطاعية هنا أو هناك ما كانت لتحول دون تحقيق وحدة اليمن لو توجهت النيات نحو ذلك بعد قيام ثورة ٢٦ سبتمبر وبعد خروج الاستعمار البريطانى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ م . وبدلا من ذلك طرحت قضية البعد الاجتماعى للوحدة اليمنية ، مما شكل عائقا أمام تحقيقها حتى اليوم ، واستخدمت الماركسية لهذا الغرض ، ولتبرير الهروب الدائم والمستمر من هذا الهدف الوطنى الذى يعلو ما سواه من الأهداف ويسبقه ، وهكذا جرى الانشغال بأمور صغيرة كمزارع الدولة والتعاونيات والانتاج ووضع خطط التنمية لتطوير الاقتصاد الوطنى على حساب القضية الوطنية الكبرى التى لا أهمية للقضية الاقتصادية والاجتماعية بجانبها ولا حتى للتشكلية الاجتماعية — الاقتصادية التى تتم فى ظلها أو على أساسها ، ان كان هناك ما يجوز تسميته كذلك فى اليمن ، وكانت النتيجة لهذا التيه والضلال والزوغان عن الطريق الصحيح أن وجدت اليمن نفسها منذ الاستقلال والى اليوم فى حالة غربة عن نفسها وواقعها . ولا مجال للخروج من حالة الغربة التعيسة هذه الا بالوحدة على أى نحو والتخلى نهائيا عن أسطورة الثورة الاجتماعية التى كان التشبث بها والاصرار عليها الى اليوم السبب الحقيقى لهذه الغربة .

ليست هناك صياغة متماسكة متكاملة يمكن العثور عليها لدى الأمين العام لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين حـول أطروحاته هـذه ، وان كنا نعثر على عبارات ركيكة تعبر عنها فى حـديثه مع « صوت العمال » عـدد ١٣ـ٨ـ١٩٨٧ م حيث يقول : « المشكلة أننا رفعنا حقيقة الأمر قضايا لم تصل بعـد الى مستوى التناقض الحاد بين ما هـو قائم وحقيقى من أفكارنا • يعنى ممكن أن تجـد المـاركسية •• ولكن لا أعرف •• انه لا يمكن أبدا أن أطبقها اليوم • انا أطبق أفكارى المـاركسية على قضايا العصر فى اليمن • أما أنه أطبـق المـاركسية على أسـاس القضايا الاقتصادية اليومية ، فذلك أمر يبدو شغلتنا الكبرى • ما دام الوطن مجزءا نحن محتاجون أولا الى وحـدة الوطن ثم وحـدة الأمة ، ثم أن يكون لدينا انتاج » كان ينبغى « استخدام المنهج المـاركسى أو العلمى لانجاز القضية الوطنية ، ليس فقط الاهتمام بالمزرعة الفلانية وكيف يجب أن تكون ••• لهـذا التناقض القائم فى بلادنا لا يمت الى المـاركسية بصلة ، ولا الى الرأسمالية بصلة ، ولكن الى الاقطاع للأسف ، الى ما هـو عليه الانسان اليمنى وهـل قادر أن يعرف أن مهمته الأساسية بعـد انتصار الثورة فى سبتمبر وسحب نفسها الى تحرير المناطق فى جنوب الوطن أن يوجـد الوطن ••• هـذه هى القضايا التى يمكن أن يفكر فيها الانسان اليمنى والابتعاد عنها تخلق وخلقت فعلا نوعا من الاغتراب وصل الى حـد الغياب عن قضية الوطن الكبرى •

والغياب ليس ناتجا عن فهم النظريات وانما للأسف الشديد غياب من التناقض يوميا مع ما يعرفه وما هـو قائم • وما هـو قائم يستحق الغربلة •• والغربلة لن تتم دون أن يتوحد الوطن ، فقضية الوطن ، أولا قبل أية قضية اجتماعية أخرى » •

واضح المراد من الغربلة • فهو يعنى بوضوح تصفية كل المنجزات الديمقراطية الثورية التى تحققت منذ حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ م والى

اليوم والرجوع عن الخط الديمقراطى الثورى ذى التوجه الاشتراكى الذى تسير فيه اليمن الديمقراطية والغاء أو اذابة الحزب الاشتراكى اليمنى فى تجمع سياسى واسع يسميه التحالف الوطنى • وكل ذلك لن يتحقق طالما ظل النظام الديمقراطى قائماً بكل أجهزته الرسمية والشعبية التى تحافظ عليه وتصونه من أية نكسة أوردة أو اعتداء • لكن تحقيق ذلك ممكن اذا ما قبل هذا النظام بالوحدة اليمنية التى فى ظلها وعلى يد القوى الأخرى المهيمنة ستتم تصفية الحساب مع كل منجزات هذا النظام ، بدأ من الاصلاح الزراعى ، مرورا بالتأميم ، وانتهاء بالحزب نفسه بكل ما يجسده ويرمز اليه •

وفى وضوح لا لبس فيه يجزم رئيس تحرير « الحكمة » بأنه ليست هناك امكانية على الاطلاق لتحقيق أية نهضة اقتصادية ، أو تقدم اجتماعى ، أو تطور ثقافى فى اليمن الديمقراطية • فهى لا تعدو أن تكون جزيرة أو قطعة صغيرة من الأرض اليمنية لا تصلح لشىء للتحديث والتطور والتقدم • وهو يشبه ما هو جار فيها بما حاول القيام به فى القرن التاسع عشر الاشتراكى الخيالى الانجليزى روبرت أوين ، حين أقام كومونات عمل فى الولايات المتحدة وبريطانيا وأسواق تبادل تابعة لها ما لبثت أن فشلت • غير أنه اختلط عليه الأمر – ربما لوسع ثقافته وتزاحم الأفكار فى ذهنه – عندما ذكر أن الذى قام بذلك هو سان سيمون الاشتراكى الخيالى الفرنسى الذى لم يكن يملك غير أفكاره الطوباوية والذى مع ذلك تصوره الجاوى بأنه كان يملك أموال قارون وتصور – من باب التهكم والسخرية – أنه كان يمكن لليمن الديمقراطية أن تغدو جزيرة اشتراكية خيالية لو كانت تملك ما امتلكه سان سيمون من أموال • يقول – ولا فض فوه ، ولا عاش من يجفوه – حسب تعبير كاتب المقامات – الحريرى – يقول : « أنا لا أعرف كيف يمكن أن نبنى مجتمعا فاضلاً فى وطن مجزأ • كان سان سيمون مثلا يريد

ببناء جزيرة اشتراكية ، ولكنه خسر كل أمواله ولم ينجح • ولو كانت هـذه الفلوس حـق سان سيمون معنا لقـدرنا أن نبنى اليوم فى اليمن جزيرة اشتراكية » •

والسؤال هـو : هل لا فضيلة ولا قيم يمكن تحقيقها فى اليمن الديمقراطية حتى تتحقق الوحـدة اليمنية ؟ وهل نحن حقا غير فضلاء وبلا قيم حتى نحققها ؟

وهل المجتمع الفاضل مشروط قيامه بالوحـدة أم أن فى الامكان ايجاد مجتمع فاضل خير متقـدم يسعى نحـو الاشتراكية ونحـو الوحـدة اليمنية فى نفس الوقت ؟

هل المثل الديمقراطى الثورى الناجح فى جزء من الوطن من شانه أن يساعد قضية الوحـدة وأن يرى الجماهير الشعبية العريضة فى الجزء الآخر من الوطن صورة مستقبلها ، وان يشحذ همتها للنضال من أجل أن يعم وطنها كله فى ظل دولة ديمقراطية تقـدمية •• أم أن هـذا المثل يمثل عقبة كأداء على طريق الوحـدة والتقـدم والمستقبل الوضاء ينبغى الخلاص منها •

واضحة الاجابة لكل ذى عقل سليم ••

ان تجارب الثورات العربية — وعلى رأسها التجربة الناصرية — تؤكد أن شعار القومية أو الوطنية أو الوحـدة القومية يتطلب قـوى اجتماعية جـذرية عريضة لتحقيقه كما يتطلب قيادة ديمقراطية ثورية جـذرية •

وكل تجارب الوحـدة الفاشلة أو المحبطة ، وعلى رأسها وحـدة مصر وسوريا ، تعلم مثل هـذا الدرس •

لقــد كان على رأس الجمهورية العربية المتحدة قائد قومى قــوى وعظيم هــو عبد الناصر ، وكان لهــا تحالف واسع اسمى « الاتحاد لقومى » . وتحققت فى ظلها اصلاحات اجتماعية كبيرة . ومع ذلك حدث لانفصال . واصبيت فكرة الوحــدة العربية ذاتها بنكسة حقيقية ، الى حد أن الذين وضعوا شعار الوحــدة العربية على رأس شعاراتهم فتقدون اليوم الى الحــدود الدنيا من وحــدة الكلمة .

الوحــدة القومية أو الوطنية لهــا شروط تاريخية — اجتماعية - سياسية لابد من توافرها وأول هذه الشروط وحدة الحركة الوطنية و القومية ووجود طليعة قيادية ثورية تقود هــذه الوحــدة الشعبية تى يمثل العمال والفلاحون عمودها الفقرى .

ووحــدة كهــذه ذات صبغة اجتماعية فى نفس الوقت . والذين حققونها سيكسبونها لون مصالحهم الطبقية ورؤاهم الأيديولوجية .

وليست هناك وحــدة وطنية أو قومية بدون محتوى اجتماعى بدون أن تكون فى مصلحة هــذه الطبقــات أ تلك ، هــذه القوى لاجتماعية والسياسية أو تلك .

فحتى الوحــدة الألمــانية التى قادها اليونابرتى بسيمارك جاءت حققة المصالح المستقبلية البرجوازية ، ممــا دفع ماركس لان يقــول بىء من السخرية والمرارة : لقــد ولدت وحــدة ألمــانيا فى الثكنة سكرية ! ذلك أن ماركس وانجلز كانا يناضلان من أجل أن تتحقق حــدة ألمــانيا من أسفل عبر الطريق الثورى الديمقراطى الشعبى ، لى أمل اقامة جمهورية ألمــانية ديمقراطية موحــدة تمثــل درجــة ريخية على طريق الاشتراكية .

قليلة هى المجلات الموجودة اليوم فى الوطن العربى التى تعنى

بالشعارات القومية الوحـدوية الفضفاضة ، وتطرح الشعارات العامة المجردة ، التى لا تمس بها الطبقات والدول العربية لتضمن بذلك دخولها كل سوق عربى •

ولعل مجلة « المستقبل العربى » التى يصدرها « مركز دراسات الوحـدة العربية » هى أشهر وأبرز هـذه المجلات •

يشير الكاتب العراقى المعروف عصام الخفاجى فى بحثـه القيم (الاقتصاد السياسى الكلمة ملاحظات أوليـة بشأن تألـق المثقف وانحطاطه) الذى نشرته مجلة « البديل » التى تصـدرها رابطة الكتاب والصحفيين والفنانين الديمقراطيين العراقيين عـدد يونيو ١٩٨٦ م ص ٩٩ الى أن هـذا النمط من المجلات ومراكز البحث التى تصدرها هـو « نموذج لمدرسة البحث الأمريكية الرائجة التى تحاول فى رطانتها الجـوفاء تسفيه أية محاولة لاضفاء بعـد اجتماعى على الظـواهر الاجتماعية المختلفة » •

ومع ذلك فان هـذه المجلات والمراكز تتضمن بحوثا جادة من وجهة نظر برجوازية وغير برجوازية وخاصة مجلة « المستقبل العربى » التى تميل الى اكساب بحوثها السمة الاكاديمية •

أما مجلة « الحكمة » اليمنية التى تتبع نفس النهج بتسفيهها كل محاولة لاعطاء الظواهر صبغتها الاجتماعية الحقيقية فانها تفتقد القدرة لتقـديم أى بحث جاد لقضية الوحـدة اليمنية ، من أية زاوية كانت وعلى أى مستوى كان •

ان فتح ملف « الحكمة » منذ صـدورها الى اليوم يوضح جليـا أنها لم تقل شيئا ، أو تلقى ضوءا ، أو تستكشف أفقا لهـذه القضـية

المصيرية ، بحيث تغنى قراءة افتتاحية واحـدة لرئيس تحريرها حولها عن قراءة جميع الافتتاحيات والمقالات التى كتبت فيها عنها •

ان من يفصـــل المسألة الوطنية عن المسألة الاجتماعية ، ومن يخرجها عن سياقها التاريخى ، ويعزلها عن الثورة ، ويفقدها أساسها الشعبى ، لا يفقد القـدرة على التحليل الموضوعى والعلمى فحسب ، وانما يلحق الضرر الفادح أيضا بقضية الوحـدة اليمنية ذاتها • بقى أن نقول أن أية تنميه اقتصادية وتقـدم اجتماعى وتطور حضـارى وازدهار ثقافى يتحقق فى اليمن الديمقراطية ، يرسى للوحـدة اليمنية قاعـدة صلبة ، ويقـدم للمناضلين من أجلها مثلا نموذجيا ، ويقيم مشتلا جميلا للحقل اليمنى الموعود •

صـــوت نشـــاز لحـــرف

مجرى الحـــوار الهـــادف مـــع « الحكمـــة »(*)

هل نريد حقا أن نجعل من اليمن الديمقراطية استثناء ثوريا يؤسس لقاعـــدة ثورية وواحـــة خضراء تمـــد ظلالها الوراقة على ساحة وطنها كله وعلى ما حولها ؟

هل نريدها أن تكون شعلة ضوء وهاجة قادرة على تبديد أسداف الظلام المطبقة من حولها وعلى النفاذ بأشعتها الى الرحاب الاوسع ؟

هل نريدها أن تكون منارة للعلم والعلمانية والعقل والعقـــلانية ومكانا لتطبيق نظرية الاشتراكية العلمية وتجسيدها فينا وفى الواقع ؟

هل نريد لها أن تكون البلد الذى تظل رايته مرفوعة ــ أيا كانت الرياح المضادة التى تختلفها ــ حتى تتحقق المبادىء والأهـــداف العظيمة المكتوبة عليها ، مبادىء وأهـــداف التحرير والتوحيد الوطنى والتقـــدم الاجتماعية والديمقراطية الشعبية والاشتراكية ؟

هل نريدها أن تكون البلد المثال الذى تصان فيه كرامة الانسان وشرفه وعرضه والذى لا يسمح فيه بأى اعتداء أو تطاول على حرمة ومكانة ودور كلّ مواطن فيه ؟

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٧/٨/١٨ .

هل نريد أن نرسى فيها تقاليد العصر الرفيعة الاجتماعية والثقافية والخلقيـــة ؟

هل نريد أن تتحقق فيها كل قيم الخير والحق والجمال وان تكون بذلك مثالا يحتذى ونموذجا ملهما قابلا للانتشار ؟

اذن فلمــاذا يسمح بأن يكون على رأس بعض مؤسساتنا التى يفترض فيها أن تكون هى ذاتها تجسيدا حيا وناصعا لذلك كله اناس تشهد كل تصرفاتهم على أنهم يمارسون العكس تماما ، وبدلا من كتابة المقال السياسى والبحث العلمى يفبركون « لوائح الاتهام » ضد كتابات المثقفين وضــد أشخاصهم .

كيف يجوز أن يكون على رأس معهد الفنون الجميلة انسان يفترض فيه — على الأقل بحكم مهنته النبيلة المسندة اليه — أن يعلمنــا قيم الجمال التى تساعدنا فى تجميل حياتنا ، واذا به لا ينشر بيننا — وحتى على مستوى الصحافة — سوى صور تشوه وجوهنا وعقولنا وضمائرنا وتاريخنا ونضالنا وانسانيتنا ؟

وكيف يجوز أن يحتل مكانة الرجل الثانى فى صحيفة ١٤ أكتوبر انسان لا هم ولا حرفة له الا طعن الرجال الذين يعرف أقدارهم القاصى والدانى ، والا تدنيس الأسماء التى غــدت معلما من معالم هذا الوطن والنيل من سيرة من غــدوا جزءا حيا وفعــالا من ســيرورة شــعبهم الثــورية ؟

يأتمر الاثنان — وهما عمر عبد العزيز ومنصور هايل — يأتمران — ولا يهم من أوقعهما فى ذلك — على اسم الدكتور الشــهارى ظانين أنهما بما أفرغاه على صــدره من قيىء معــوى وسل رئوى وصــديد روحى سيعديانه بما فيهما من داء ويصيبانه بما ابتليه من بلاء !

أما لماذا تملكتهما هـذه النوبة واختارا الدكتور الشهارى لنفص مرض التسمم المعنوى المتمكن منهما عليه فلأن الشهارى تحركت همته الثورية ونخوته الوطنية اللتين حرما منها فكتب مقالا فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » بتاريخ ٣ـ٨ـ١٩٨٧ بعنوان : « هل الهـدف تحقيق الوحـدة اليمنية أم أحـداث ردة ثورية فى اليمن الديمقراطية ؟ » فنديه أطروحات رئيس تحرير مجلة « الحكمـة » عمر الجاوى حول الوحـدة اليمنية ، وتصـدى لحملته التشويهية لمسار ثورة ١٤ أكتوبر ونظامها التقـدمى وحزبها الطليعى وأماط اللثام عمـا وراءها من أهـداف مريبة وفتـح بذلك ملف « الحكمة » الخالى من كل رشد وحكمة .

فبدلا من النهوض بمسئوليتهما الحزبية والوطنية فى هـذا الصدد ـ كما كان مفترضا ـ والعمل من ثم على الدفاع عن الثورة وخطهـا الوطنى الديمقراطى وتوجهها الاشتراكى ظهرا وكأنهما مدافعـان عن نهج الحكمة المناهض لمسار الثورة والمشوه لكل منجزاتها .

وبصراحة يحسد عليها يقول عمر عبد العزيز فى مقاله التهجمى علينا لتصـدينا لحملة « الحكمة » على الثورة والنظام والحزب : « اختمرت فى ذهنى مثل هـذه الأفكار وأنا اتصفح مساحة جـديدة من الأحرف السوداء فى صحيفة ١٤ أكتوبر يوم الاثنين ٣ـ٨ـ١٩٨٧ بقلم : محمد على الشهارى ولا أريد أن أخفى هنا أن شعورا من الاكتئاب والقلق المفاجىء قـد انتابنى لمثل هـذه الكتابة ذات المنزع غير المسئول والمدمر بالذات ، لانهـا تعتبر امتدادا أمينا لكامل الموروث السلبى لكتابات وأحاديث الشهارى منذ السبعينيات (حسب قراءاتى ومتابعاتى) . ولا أود فى هـذه العجالة أن أرد على ما ورد فى الصحيفة من قبله برغم استعدادى لمساجلته فى ذلك ليس نيابة عن أحـد كما تعود هـو دائما عبر أوامر التكليف غير المباشر والسياسوية المضيقة ... » .

واضح أنه يعتبر ما كتبته ضـــد نهج الحكمة الديماجوجي والمتطاول على الحزب والثورة والنظام الديمقراطي عملا غير مسئول من جانبي وأنني فعلت ذلك بتكليف من جهة ما في الحزب . وهـو اتهام يكرره في مكان آخر بقوله : « ثم يحاول بتهافت أشبه ما يكون بالتكليف أن يجرنا الى مواضيع جزئية وان يلهينا عن مهامنا الأساسية باعتبارنا عقـل وشرف وضمير هـذا الشعب ، يحاول أن ينقل أحاديث مجلة الحكمة الأخيرة الى مستويات كونية وان يدق ناقوس الخطر نيـابة عن كل المناضلين والشرفاء .. وكأن هـذه المجلة لسان حال فرد ما أيا كان .. وكان مشروعيتها وثراءها الثقافي والروحي ارادوي لأحـد الأفراد كأن يكون رئيس التحرير أو غيره » .

وواضح كذلك الانحياز التـام الى نهج « الحكمة » والحمـاس الظاهر لكتاباتها ، بل والمبالغة في تصوير أنهـا تقـدم غـذاء ثقافيـا وروحيـا حقـا !

وفوق ذلك فانه يعتبر التهجم على مسيرة الثورة والحزب والنظام الديمقراطي منذ ظهور الجبهة القومية والى اليوم ، وهـو ما أفصحت عنـه افتتاحيات رئيس مجـلة « الحكمـة » من بعـد أحـداث ١٣ يناير ١٩٨٦ م وحتى آخر عـدد صدر حتى الآن ، وهـو عـدد يونيو ١٩٨٧ م الذي توقفنا نحن عنده وناقشناه وفـذرناه ـ يعتبر ذلك مجرد مواضيع جزئية لا تستحق الاهتمام ، لأن من شأن ذلك أن يلهينا عن مهامنا الأساسية .

والسؤال هـو ما هي المهام الأساسية ان لم تكن هي الدفاع عن مجرى الثورة وشرعية نظامها وضرورة وجود حزبها الطليعي حتى تتمكن من تحقيق كامل أهـدافها المرحلية والاستراتيجية ؟

والذين يتصـــدون للدفاع عن ذلك كله — ـن أمثال الشهارى — غير محقين ، بل أنهم مزايدون متكلفون ومكلفـون ، وينبغى عليهم أن يلزموا الصمت : « حـق القول الآن على هـذا النمـوذج وغيره من المتطمين أن يصمتوا قليلا » .

المراد واضح لا لبس فيه : ترك المجال لكل من يريد أن ينال من الثـورة ويشوه تاريخها ولكل من يتطاول على الحزب ويسفه وجـوده وقيادته ولكل من يطعن فى النظام الديمقراطى صباح مساء سرا وعلانية !

واذا ما اعترض أحـــد على ذلك فلابد أن يكون بتكليف ما من جهة ما فى الحزب والنظام !

وهـو منطق عجيب .. واعجب منه أن يصـــدر عن حزبى يعرف أن من حـق الحزب أن يكلف كل قادر فيه للدفاع عن نهجه وسياسته فى هـذه القضية أو تلك .

وهو شرف لا ادعيه . فلا موضـوعى الآنف الذكر ولا غيره من المقالات والأبحاث والكتب قـد تمت بتكليف من أحـد — أيا كان — .

وكانت كتاباتى — من قبل ومن بعد — تواجه دائما بالمصاعب ، بما فيها الموضوع المشار اليه الذى لم ير النور الا بعـد جهود عـديدة بذلتها يعرفها الكثيرون .

المهم فى الأمر أنه لا عمر عبد العزيز ولا صديقه منصور هايل حاولا مجرد محاولة مناقشة موضوعى الذى أذهلنى الاستقبال الحار الذى لقيه من قبل الرأى العام الحزبى والشعبى والتقـدير الكبير الذى حظى به من قبل كل من قرأه أو حتى سمع به .

ويبدو أن ذلك قــد أزعجهما كثيرا ، ولذلك بادرا الى كتابة ما كتباه علهما بذلك يبجحان — ولو بعض النجاح — فى التقليل من الوقع الحسن للموضوع لدى الرأى العام ويحرفا مجرى الحوار الى قضايا أخرى غير قضية « الحكمة » •

وهى لعبة لم تنطل على أحــد • فلا الدفاع المباشر وغير المباشر عن نهج « الحكمة » قد لقى تجاوبا من الناس ، ولا حرف مجرى النقاش عما يكتبه غــدا ممكنا • أما مبادرتى التى استحقت أكثر ممــا تصورت من التعاطف والتأييد الواسعين فقد استقرت فى وجــدانات « كل المناضلين والشرفاء » •

كان بودى أن أتوقف طويلا عند القضايا الأخرى المفتعلة التى أراد الكاتبان لى عنــق الناس اليها بعيدا عن قضــية الحكمة • ولكن لا الوقت مناسب ولا المجال متسع •

ثم كيف لى أن أكون طرفا فى حوار لا يمتلك الطرف الآخر عــدته ولا عتاده ، وكيف أقبل بالدخول فى لعبة مع شريك لا يعرف أصــولها وقواعــدها ، وكل ما يجيده هو الاحتيال والغش والتزوير ؟

اذا كيف أناقش من يتحــدث عن كتبى وكتاباتى دون أن يقرأها جيدا أو حتى دون أن يقرأها أساسا ، واذا ما أتيح له قراءة شىء ما منها لونه بلون مزاجه وحكم عليه لا بالمعايير الموضوعية ، وانما وفــق ما يشاء لــه هواه ؟

وكيف أستطيع أن أحاور من يكتب عما كتبت من « ذاكرته » لا من متون كتبى وكتاباتى والذى لا يكلف نفسه الرجوع الى نص من نصوصى ليدعم بها حتى قضيته ودعواه ؟ وكيف التخاطب مع من يتجاهل كل

ما كتبته عن مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ بعيد حـدوثها مباشرة والى اليوم سواء فى « ١٤ أكتوبر » أو « صـوت العمال » أو « قضـايا العصر » ويحاول جاهدا لا أن يحاورنى حول موضوع كتبته عن موقف « الحكمة » من الثورة ، وانما أن يلفق لى قضية ؟ !

وكيف السبيل الى الحوار مع من قـد اتخـذ موقفا مسبقا منك يقوم على الكراهية والعـداء وعلى الضغينه والحقـد واتخـذ من جرح الكرامة وتلطيخ السمعة وتشويه المكانة أسلوبا لـه ومنهجا ، بل وتحول من « صحفى » الى « مدعى عام » فى غير « قضية » ؟ !

ذلك وغيره من سخائم الصـدور هـو ما أملى على الكاتبين ما كتباه وما طبع مقالتيهما اللتين ظهـرتا متلازمين فى ذات العـدد من « ١٤ أكتوبر » •

وبصراحة متناهية يقول أولهما : « ما أود الحـديث عنه لا يعدو كونه استرجاعا لحظيا لانطباعات اختمرت منذ سنوات حول المـآثر « الوطنية » للشهارى • وأعتقد أن لدى ذاكرة مناسبة تسعفنى فى أحوال معينة على أن أبدو فى صفاء عظيم ، وبالذات عندما استشعر أن الصبر قـد نفـذ ••• » •

واضح أن الكاتب يستوحى انطباعاته ويكتب من ذاكرته يساعده على ذلك صفاء ذهنه !

واذن فمرحى •• مرحى •• لهـذه الطريقة المبتكرة فى تنـاول قضايا التاريخ والتراث !

وعلى هـذا الأسـاس يصـدر أحكامه القطعيـة العـوجاء على أحاديثى التى اذعتها من راديو عـدن وراديو « الجبهة الوطنية » مع

نهاية ١٩٧٨ م ومطلع ١٩٧٩ م ابان فترة التأزم بين شطرى الوطن والتى لم تتوقف الا مع توقف حرب مارس ١٩٧٩ م — وليس بقرار من المكتب السياسى كما زعم — (ولو عرفتم الصدى الايجابى الواسع لهـذه الأحاديث لدى الشعب حينها لدسستم وجوهكم فى التراب) .

وعلى هـذا الأساس يصور كتابى الضخم : « الخروج من قلق الاغتراب وأحـداث ثورة ثقافيـة فى اليمن » الذى اشتمل على مسح تاريخى وعملية تحليل منهجية للأحزاب والحركات الاصلاحية والثورية منذ نهاية الأربعينيات الى مطلع الستينيات والذى لا يرى فيه الا التأكيد دائما على ذلك الفصيل الذى ألهم الفصائل واشاع المـاركسية ..

ورغم أن هـذا الطرح غير دقيق وغير أمين فلا أدرى لمـاذا التحسس من أن يكون رأس هـذا الفصيل وهـو عبد الله باذيب الذى كان محور حـديثى فيما كتبته عن هـذا الفصيل قـد لعب دورا مبكرا ورياديا فى اشاعة المـاركسية فى اليمن . المـاركسى الأصيل لا يشعر بأدنى حساسية ازاء من يعتنق ذات فكره ، وانما يفرح لذلك ويطرب . وحتى مجرد السرد التاريخى لحركة نمو وتطور وانتشار الفكر المـاركسى يحتم الاشـــارة الى دور عبد الله باذيب . ذلك ما يعترف به الحزب الاشتراكى اليمنى الذى غـدا التتويج التاريخى لهـذه العملية التاريخيه والذى تكريما لدور باذيب أطلق اسمه على مؤسسات العلم والثقافـة فى البـلاد ... الخ .

والسؤال هو لمـاذا أهمل ذكر كتاب « المسار التاريخى للثورة اليمنية » الذى يعتبر امتدادا وتكميلا لكتاب « الخروج من نفـسق الاغتراب ... » والذى كان مدار البحث فيه هـو ثورة ١٤ أكتوبر ودور الجبهة القومية فى تفجيرها وانتصارها واقامة نظامها الديمقراطى والذى تابع تطور هـذه الأداة التنظيمية حتى قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ؟

ولمـاذا لم يشر الى كتاب « حول الوحـدة اليمنية والانتهـازية اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » الذى يغنى عنوانه عن شرح محتـويانه ؟

ولا حاجة الى التذكير بالأبحاث التى نشرت فى هـذا الاتجاه وفى اتجاه بلورة منحى الثورة وآفاقهـا المستقبلية سواء فى « ١٤ أكتوبر » أو « الثـورى » أو « قضـايا العصر » والتى ما زال كاتبها يواصلها فى « قضايا العصر » مؤكدا بذلك استمرار حركة الثورة والحزب والنظام رغم كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م ٠

ولو قرأ كتابى « رسائلى الى شهيد اليمن ابراهيم الحمدى » الذى ضم رسائل الى قيادة الجبهة القومية بالغة الأهمية لخجل وأسود لون وجهه خزيا لمـا كتبه عنه ٠

وأما عندما تنشر كل رسائلى الى الجبهة القـومية والتنظيم السياسى الموحـد ـ الجبهة القومية على امتداد عقـد كامل من الزمن ـ وستكون فى حجم مجلدات ضخمة ـ فانه سيتمنى حينئذ أن لـو ابتعلته الأرض قبل أن يقرأها الناس ٠

والاشارة الى ما كتبته عن فلسفة الخصوصية لدى أنور عبد الملك فى سطرين اثنين بينما يبلغ حجم كتاب كامل ضخم نرجو أن يرى طريقه الى النور هى مثال على عملية الاستعراض الهزلية والهزيلة التى يقوم بها دون خجل أو حياء ٠

أما ما كتبته عام ١٩٨٥ واستشهدت فيه ضمن ما استشهدت ببعض ما جاء فى « ورقة العمل » المشار على غلافها بأنها أقرت من قبل الدورة الرابعة عشرة اللجنة المركزية فرائدى فى ذلك كان الحرص على وحـدة الحزب والتنبيه الى خطورة أى خروج على مبادئه التنظيمية ٠ وهـو

طرح مبدئى عام أكدت الأحـداث مدى صحته • ومن تم فان الذين شرخوا وحـدة الحزب وخرجوا على مبادئه التنظيمية وقادوا البلاد الى كارثة ١٣ يناير ١٩٨٦ م كانوا المعنيين موضوعيا وتاريخيا بما كتبت •

وذلك ما قلته تفصيلا فى مقال معروف حمل عنوان : «مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ م والعبرة المستخلصة منها » نشرته « ١٤ أكتوبر » فى ١٤-٢-١٩٨٦ م ودماء الشهداء والضحايا لم تجف بعـد •

وذلك هـو ردى المختصر على الكاتبين معا حول هـذه النقطة التى طنطنا حولها كثيرا • ويمكن الرجوع أيضا الى مقالتى اللتين نشرتهما « قضايا العصر » فى عـددى مايو ويونيو ١٩٨٧ م لمن يريد معرفة رأيى مفصلا فيها وفى غيرها من النقاط •

على أن ما يستوقف النظر هى تلك النغمة البالغة الشذود والنشاز التى يكتب بها مدير تحرير « ١٤ أكتوبر » عن الشهارى • فهـو بدل أن يعترف له بسبقه فى مضمار تبنى الفكر المـاكسى يوم كان هـو ما يزال فى « القماط » يتحـدث عنه بعقلية من لم يتخلصـوا بعـد من الرواسب المذهبية والطائفية والاسرية ويفترى عليـه بأنه كتب عن سير الامام يحيى الذى لم يعش عهده ولا حتى عهد خلفه أحمد ، حيث ساعدته الحظوظ على مغادرة اليمن فى مطلع الخمسينيات الى القـاهرة للدراسة بفضل أستاذه فى « حجه » أحمد محمد نعمان وغيره من زعماء حركة الأحرار فى عـدن الذين وان اختلفنا اليوم فى تقـدير وتقييم دورهم التاريخى الا أن اهتمامهم بتربية نشء جـديد متفتح متنور كان واحـدا من خيرة أعمالهم •

أما مفرداته المذهبية والطائفية والاسرية فتقول أن التجربة منحت الشهارى « موهبة التنقل العارم من قعر المذهبية الى ظفاف (الصحيح ؟

ضفاف) الماركسية ومن سيرة الامام يحيى حميد الدين الى لينين » ٠

والواقع أننى كتبت رسالتى للدكتوراه حول حقبة تاريخية بالغة الدقة كان نضال الشعب اليمنى خلالها ضد الأتراك والانجليز وذوى المطامع التوسعية من السعوديين وركائزهم من الادارسة وغيرهم ومن أجل اقامة دولة يمانية موحدة هو واحد من أبرز معارك العرب المبكرة ٠ وقد قدمت هذا العمل فى جامعة كارل ماركس — لايبزج بالمانيا الديمقراطية عام ١٩٦٤ م — أى فى عهد الثورة — وحمل عنوان : « النضال من أجل اقامة دولة يمانية موحدة مستقلة منذ نهاية القرن التاسع عشر الى عام ١٩٣٤ م » ٠

أن يتزعم عملية الكفاح هذه أمام اقطاعى وان يفشل فى السير بهذه العملية التاريخية الى نهايتها فذلك أمر طبيعى بحكم طبيعة المرحلة وقوانين التاريخ الصارمة التى لا يستطيع أحد تجاوزها ٠

وعدا الجزء المترجم منها والذى صدر فى كتاب حمل عنوان « المطامع السعودية التوسعية فى اليمن » فقد تضمن مدخل كتابى « طريق الثورة اليمنية » الذى أصدرته فى القاهرة عام ١٩٦٦ م موجزا تاريخيا لمحتوى هذه الرسالة التى لم أجد الوقت بعد لترجمتها كلها ٠ ومن الجدير بالذكر أن هذا الكتاب كان مقررا على العديد من التنظيمات الثورية اليمنية وعلى رأسها الجبهة القومية ٠ وما يزال يلح على العديد من الأصدقاء بضرورة اعادة طباعته ٠

أما عن لينين فقد كتبت الكثير وما يزال فى العمر متسع لكتابة ما هو أكثر ، تماما كما فعلت مع ماركس وانجلز ٠

على أن ما يستلفت الانتباه هو ضيق مدير تحرير « ١٤ أكتوبر » بكتاباتى فى هذا الصدد وتصويره ان الكتابه عن « النبيب » وهى

« السياسة الاقتصادية الجديدة » التى سنها لينين بعد سياسة الشيوعية الحربية » المؤقتة التى فرضتها ظروف حرب التدخل الامبريالية والحرب الأهلية — تصويره ذلك بأنه تبرير لنهج التكتل اليمينى فى اليمن الديمقراطية ، كما لو كانت «النيب» ذات منحى يمينى ، مما يذكرنا بأقوال اتباع تروتسكى فى الاتحاد السوفيتى الذين وقفوا ضد هذه السياسة بالفعل بهذه الحجة بالذات .

وهذا الغمز واللمز ليس موجها ضد الشهارى بقدر ما هو موجه الى نهج لينين هذا بالذات الذى على أساسه قامت الاشتراكية فعلا فى الاتحاد السوفيتى .

أما كيف كتب هذا الهراء فقد جاء على النحو التالى : « لقد كتبوا عن « النيب » عندما وجهت الانتقادات لرموز التكتل اليمينى التى كانت تريد فتح البلاد أمام الشركات المتعددة الجنسيات ، وكانت تملأ أشداق الفئات الطفيلية فى المجتمع » .

وفى حقيقة الأمر أن ما كتبته عن « النيب » كان حلقة من حلقات مسلسل طويل بداته بماركس وانجلز نشر على مدار سنة أويزيد فى صحيفة « ١٤ أكتوبر » وكان محوره فكرة مؤسسى الاشتراكية العلمية عن الثورة المستمرة ، هذه الفكرة التى صاغها وطورها لينين فيما اسمى بتحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية وهى الفكرة التى عمل على تطبيقها بالفعل بتحويل الثورة البرجوازية الديمقراطية فى روسيا الى ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى .

لقد حمل هذا العمل الذى امتدت مساحته الزمنية ما بين النصف الثانى من القرن التاسع عشر الى مطلع الثلاثينيات عنوان : « نظرية لينين فى تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية

فى الممارسة التاريخية — التجربة السوفيتية » ، والذى آمل ان تضمه دفتــا كتاب واحــد •

وكان هــذا العمل جزءا من مشروع كبير لا أدرى متى أعود اليه الهــدف منه متابعة كيف طبقت نظرية لينين هــذه فى تحويل الثــورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية فى بلـــدان الديمقراطيات الشعبية الأوروبية والآسيوية وكيف طبقت فى كوبا ، كمبوتشيا ولاوس وكيــف تطبق الآن فى بلدان التجه الاشتراكى ، ومنها اليمن الديمقراطية •

ولأن الاختلاق والتحريف والتزييف كان هــو المرشــد أيضــا لمدير « معهد الفنون الجميلة » فانه كتب كذلك أن الشهارى قام « بتدشين حــديث عن أن هناك أزمة ثقافية فى اليمن الديمقراطية وان هـــذه الازمة هى بسبب التناقض الحاد بين الوجـــود الاجتماعى والوعى الاجتماعى » •

وفى واقع الأمر أننى لست الذى دشن هــذا الحــديث ولست الذى قال بوجود أزمة ثقافية •

هناك آخرون رأوا أن هناك أزمة كهــذه وآخرون نفوا وجودها على الاطلاق • أما أنا فقد قلت بوجود حالة « ركود ثقافى مؤقتة » ورددت على من عارضنى فى هــذاالطرح • ومن عنوانى المقالين الذين كتبتهما فى « الثورى » حول ذلك عام ١٩٨٢ وتضمنهما كتابى « المسار التاريخى للثورة اليمنية » يتضح جليا محتواهما حيث حمل الأول عنوان « حالة ركود ثقافى عابرة على طريق الثورة الثقافية المنتظرة » بينما حمــل الثانى عنوان « حتى تتحول البراعم الثقافية الى حقل ثقافى مزهر » •

ومنذ عام ١٩٨٢ م والى اليوم تدفقت مياه كثيرة تحت الجسر ،

وتفجرت أحــداث ، واهتزت اليمن كلها بكارثة ١٢ يناير ١٩٨٦ م التى لم نخلص من آثارها الاقتصادية والاجتماعية والسيكولوجية بعد .

وهــذا المشهد من « الأزمات التى أضعفت الوحــدة الفكرية والسياسية والتنظيمية للحزب » حسب تعبير (الوثيقـــة النقـــدية التحليلية لتجربة الثورة فى اليمـــن الديمقراطية ١٩٧٨ — ١٩٨٦ م ص ٥٣) يتضمن بالضرورة وجود « أزمة ثقافية » لا نستطيع تجاهلها ولا مجال لأحــداث « ثورة ثقافية » الا بمعالجتها .

ومن مظاهر هــذه الازمة الثقافية جمع الحابل بالنابل وضــياع المنهج العلمى فى البحث والتحليل واللجوء الى لغــة الحطيئـــة وجرير والفرزدق وكل شعراء الهجاء والتفاخر والحماسة .

بل ان مدرسة على ومصطفى أمين الصحفية القائمة على الاثارة واصطناع النبأ المثير والغريب وكتابة المقال الملىء بالتهويل والتجسيم والذى تختفى معه الفواصل والمعالم الموضوعية لاية قضية — هــذه المدرسة التى كانت مجلة « الحكمة » برئيسها قــد استوردتها قد أخذت تغزو صحف البلاد وهو ما نبه اليه النابهون فى هــذه الصحافة وآخرهم عبد الله منصر محمد فى عــدد ٨—٨—١٩٨٧ من « الثورى » الــذى كتب وبحق : « فالثوريون بالقــدر الذى لا يخافون فيه نقــد الأخطاء ، أيا كانت ، لا يخشون بالقــدر نفسه تحــديد الأخطاء وتشخيص مكامن ضعفها ومصادرها ، بل لا يخشون أو يعارضـــون النقــد الجرى ، والصريح خصوصا اذا كان النقــد نقــدا علميا يهــدف الى تحطيم أصفاد قيم وعادات القــديم المتخلف وبناء الجــديد المتقــدم على أنقاضها ، ولكنهم ينبذون النقــد اذا كان من أجل التجريح والتشويه والاثارة أو من أجل المباهاة والوجاهه لأغراض نفعية » .

ان الفارق بين النقــد الهــدام والنقــد البناء هــو فارق ثورى وخلقى هائل • وبعض ما يكتب فى الصحافة هــو من النمــط الأول — للأسف — وحتى نصل الى النمط البناء من النقــد سنظل نعانى من أزمة فى المنهج والثقافة والخلق والذوق والأدب • والذى يتمعن فيمــا كتبه منصور وزميله يلاحظ على الفور الى أى مدى ما نزال نعيش فى قلب هــذه الأزمة الخانقة المدمرة ، بل فى هــذه المحنة التى يواجهها العقل والضمير والوجــدان فى بلد يرفع اسمى واشرف رايات العقل والضمير والوجــدان فى بلد يرفع اسمى واشرف رايات العقل والضمير والوجدان وهى مفارقــة غريبــة لا محيص من تجاوزها ولابد من تجاوزها •

أما الفرية الكبرى التى لم يتورع منصور هائل عن اللجوء اليها والتى زعم بها اننى كتبت عما اسماه خطر الضباط الصغار وانتى يستحق معها أن يجر من آنفه الى ساحة القضاء ، فردى الموجز عليها يمكن أن يقرأه فى مقالة « فى اليمن الديمقراطية حزب طليعى من طراز جــديد •• وجيش طليعى من طراز جــديد أيضا » التى نشرتها ١٤ أكتوبر وضمها كتاب « حول الوحــدة اليمنية والانتهازية اليسارية والحزب الاشتراكى اليمنى » والتى كانت فى الأصل محاضرة القيتها فى معسكر صلاح الدين بالبريقة فى وقت بالغ الحراجة والدقــة والتى استشهدت فيها ضمن ما استشهدت به بما كتبه « رئيس الحزب الاشتراكى اليمنى » الأخ عبد الفتاح اسماعيل حول الجيش •

وخلال زيارة قمت بها لعضو اللجنة المركزية النائب الأول لوزير الدفاع ورئيس الأركان الأخ العقيد هيثم قاسم طاهر الى مكتبه تحية له وتقــديرا على دوره الشخصى البارز فى اخماد نار الفتنة واحبــاط مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ م الانقلابية تطرق الحــديث الى الظروف الحساسه التى القيت فيها هــذه المحاضرة التى اقترحها على عضــو

المكتب السياسى وزير الدفاع آنذاك الشهيد على أحمد ناصر عنتر والتى صحبنى فيها عضو اللجنة المركزية المرشح نائب وزير من الدولة حاليا الأخ حسان حسين .

والفرية الأخرى التى يقع فيها منصور هائل والتى يقول فيها اننى كنت استشهد « بأقوال مؤسس حزبنا الشهيد عبد الفتاح اسماعيل وحالما قدم استقالته انتابهم الهلع والذعر وعملوا على التنصل عنها ونتفها » هذه الفرية يكذبها القاء المحاضرة الآنفة الذكر التى كان من شهودها وشهودى على ما جاء فيها الرفيق هيثم قاسم طاهر وصالح عبد الله مثنى وزير المواصلات ويكذبها أيضا رفضى القاطع حذف أى كلمة من أقوال عبد الفتاح اسماعيل التى تضمنها كتابى الآنف الذكر الذى كان قد أعيد الى من بيروت لهذا الغرض والذى لم أغير فيه سوى لقب عبد الفتاح اسماعيل من أمين عام للحزب الى رئيس له . وقد صدر الكتاب عام ١٩٨١ م وعبد الفتاح فى منفاه الاختيارى فى موسكو . وبسبب اصرارى على ارائى كان على الكتاب أن يودع — مع كتاب « مساجلات حول حركة الأحرار اليمنيين » — فى مخزن الدائرة الأيديولوجية قبل أن ينتقل الى مخزنى ويودع فيه الى ما شاء الله !

ولا أدرى كيف يمكن الرد على مثل هذا النمط من الصحفيين والاعلاميين الذين ينكرون على المحللين السياسيين الاستشهاد بوثائق الحزب وبأقوال قادته لتأكيد وجهة نظر ما يطرحونها وكيف يمكن افهامهم ان كل اقتباس ينبغى أن يوضع فى سياقه وفى ضوء الفكرة العامة التى يعالجها الكاتب .

فالذى أراد أن يكتب فى علم الجمال ولم يستطع أحد أن يفهم منه شيئا حتى الآن يريد أن يفتينا فى علم التاريخ وعلم السياسة وعلم الاجتماع ، وهى علوم أكثر تعقيدا بكثير . ويقول فى معرض الاستنكار :

« واستشهد بأحاديث للقـــادة المرحليين كما كان يسترشد قبلهـــا بفترة بأحاديث الشهيد عبد الفتاح اسماعيل زورا وبهتانا وكما يسترشد اليوم فى كتاباته بالوثيقـــة النقـــدية التحليلية وبأحاديث الرفيق على سالم البيض » .

نعم استشهدنا بوثائق الحزب وبأحاديث قادته ولا نملك الا أن نفعـــل ذلك اذا أردنا التوثيق لوجهات نظرنا وان نتصرف كمحـــللين ومؤرخين وحزبيين ، والذى لديه اعتراض ما فان اعتراضه ينبغى أن ينصرف الى وجهة نظر الكاتب لا الى مصادره ومراجعه التى يوثق بها وجهة النظر هـــذه .

واذا سلمنا باعتراضهم الذى ينصب على المصادر والمراجع فان ذلك يعنى بالضبط أن نكف عن الاستشهاد بوثائق الحزب وبأقوال أمينه العام وغيره من قادة الحزب .

ومسلك كهـــذا لا وجود لـــه فى أى مكان فى العالم ولا فى أى حزب من الأحزاب ، نعم : سنستشهد بمفكرينا وعلماء الاجتماع بيننا عندما يكون لنـــا بالفعل مثل هؤلاء . ولكن كيف يمكن أن يظهر هؤلاء اذا كنا نتعامل مـــع البدايات الأولى المبشرة منهم بمثل هـــذه الهمجية والوحشية والسوقية والغوغائية التى لا توجـــد الا فى عهود الانحطاط ومحاكم التفتيش ، واذا كان بعض المسئولين عن ايقاد الشموع واضاءة النور والانتصار للحقيقة الموضوعية هم أنفسهم الذين يسعون ويعملون بداب يبلغ حـــد السعار والجنون على اطفاء الشموع الموقـــدة بالفعل ، وتحطيم المصابيح المتوهجة وطمس معالم الحقيقة الموضوعية ويتمنون لو يستطيعون خرق ذلك حجب ضوء النهار ، واعادتنا الى ظلام الأمس الدابر .

هـذا الصنف من البشر يبلغ به الغيظ والطيش وكراهية نور الحق والحقيقة الى حـد رفض أن يسمع أو يقرأ دفاعا ثابتا ومستمرا ومتصلا وأمينا وصادقا عن النظام الذى انجبته الثورة اليمنية وصنعته جماجم شهدائها . وهـو كما لم يطق سماع صوت هؤلاء المدافع عن هـذا النظام من قبل لا يريد ان يسمعه اليوم ، والا كيف نفهم قول الكاتب المتخصص فى علم الجمال : « تلك هى موهبة الشهارى الذى (التى) تنتصب مجـددا فى مقاله الأخير مدافعا عن النظام الوطنى الديمقراطى مجيزا لنفسه ان يكون حامى حمى التجربة والنظام الوطنى التقـدمى فى هـذا الشطر من الوطن » .

عجيب أمر هؤلاء الناس . فلم لا تكونون أنتم حماة حمى هـذه التجربة وهـذا النظام ، وتدخلون فى مباراة فكرية وسياسية مشروعه مع من تغارون من قيامهم بدور كهـذا ، أو مع من ترون أنهم لا يدافعون بعمق وتفان واخلاص عنهما ؟ !

ثم لم جاء اعتراضكم على مقالهم هـذا بالذات ، وأنتم الذين لم يسمع لكم صوت من قبل ، اذا لم يكن ذلك دلالة ما بعـدها دلالة على تعاطفكم مع نهج « الحكمة » — نهج رئيسها — الـذى لم يكف عن تشويه ثورة ١٤ أكتوبر تاريخا ، وحاضرا ، ومآلا ! لا يكفى أن تقولوا لنـا بأنكم مع الثورة الأم ، ومع وحـدة اليمن ، فلم يعـد من الثورة الأم الا وليدها الفتى الذى استعصىَ على الأعـداء فى الداخل والخارج كسره أو لى عنقه .وهـو الحامل والرافعة لثورة ووحـدة ومستقبل اليمن ولا يجوز أن تصوروا لنا أنكم المحبون الوحيدون لعبد الفتـاح اسماعيل ، وأن من أحبه أو كتب عنه من سواكم هـو مزور أو مخادع أو منافـق .

فلهجـة كهـذه ليس من صالحكم أن يسمعها النـاس عنكم .

عبد الفتاح اسماعيل لم يكن ابن قريته أو منطقته أو سليل هذه الأسرة أو القبيلة أو الطائفة ، أو تلك ، فقد كان ابن اليمن الوطنى الذى يكفر بمن يحاول تجييره لصالح أى من هذه النغمات المتخلفة ، كما كان ابن عصره ، عصر الاممية البروليتارية التى لا مكان معها لا للنزعه الوطنية الشوفينية ولا الكوزموربولينتية (اللاوطنية) .

وكما لم يعد عبد الله باذيب حق الجماعة الأولى التى أسسها . وانما حق الحزب الاشتراكى اليمنى الذى ساهم بجهده من أجل قيامه ، حتى خلال فترة الكفاح المسلح ، فان عبد الفتاح لم يعد ملك التنظيم الأول الذى شارك فى بنائه ، وانما غدا ملك الحزب الاشتراكى اليمنى الذى أطلق عليه لقب المؤسس تخليدا لدوره الرئيسى فى اقامته ، واعتزازا بشخصيته التاريخية .

بقى أن نذكركم بأن معظم هذه النقاط التى رددنا بها عليكم فى هذا المقال سبق أن أسمعناكم أياها شفاها ، عندما التقينا بكم صدفة فى منزل أحد الرفاق القياديين مساء يوم ظهور مقاليكم المؤسفين ، وفى حضور رفاق قياديين آخرين .

وحينما لم نسمع منكم ردا واحدا على هذه النقاط التى فندنا بها أطروحاتكم ولا رغب أحد منكم فى الدخول معنا فى مناظرة كلامية ، ولا أظهر استعداده التام لمساجلتنا — كما كان قد هدد على الورق — .

لقد اعتبرنا صمتكم — رغم أن مواجهتنا معكم لم تخل من انفعال وحدة كنا مضطرين اليها بفعل رد الفعل الأول لمقالتيكم السيئتين — اعتبرناه دليل اعتراف ضمنى بأنكم أخطاتم فى حقنا ، كما أخطاتم فى حق أنفسكم ، حين تسرعتم فى كتابة ما كتبتموه ومن ثم دليل اعتراف ضمني بالذنب .

ونحن لم نفعل بكتابة هـذه النقاط الا اشراك الرأى العام معنا ، ـ طالما وقد صحبنا منذ البداية ـ فى معرفة ما دار بيننا ، وما انتهينا اليه •

ونحن لم نسجل هـذه النقاط لتقديمها للرأى العام ، الا بعد أن أعطانا الرفاق القياديون الذين حضروا هـذا اللقاء الصدفى أو الذين لم يحضروه هـذا الحق فى الرد عليكم ، وعلى مرأى ومسمع من الشعب والحزب ، ناهيك عن حقنا الأدبى والصحفى والدستورى فيه • ثم ان تبتم تبنا •• وان عدتم عدنا • والبادى أظلم !

ويبقى ـ أخيرا ـ أن نذكركم أن طريق النضال يتسع للجميع ، وليس الاسهام فى مواجهة التيار الاصلاحى الذى ترمز اليه « الحكمة » الا واحدة من معاركنا الطويلة والمديدة ، حتى تتحقق أهداف الشعب والحزب فى التحرر والوحدة ، والديمقراطية والاشتركية •

وليكن ما كتبتموه مجرد صوت نشازند منكم أو عليكم ، وما لبثتم أن استعدتم أنفسكم ، ووضعتم أقدامكم على الطريق السوى ، الذى لا يضل أحد بالسير عليه وفيه ، والذى لا طريق سواء نحو بلوغ امانينا وأحلامنا النبيلة والعظيمة ، طريق الثورة الديمقراطية ذات التوجه الاشتراكى طريق الثورة الثقافية التى لا وصول الى الاشتراكية بدونها ، طريق الوحدة اليمنية التى لا امكانية لتحقيقها خارج هـذا السياق التاريخى ، وخارج النضال الوطنى والاجتماعى والشعبى المتفانى والصادق والمتعاظم •

وليعد الحوار الى مجراه الطبيعى والموضوعى ، وليستمر ما شاءت له الضرورة العلمية أن يستمر حول مفهوم وأسس وسبل تحقيق الوحدة اليمنية ، حتى يوضع حد نهائى وحاسم لعملية تزييف

وتضليل الوعى الوطنى التى تقوم بها « الحكمة » وغيرها من وسائل الاعلام المشبوهة والرجعية تجاهها وحولها ٠

وبعد : فان من يريد المساعدة على تحقيق قرار العفو العام ، ومن يريد تسهيل عودة النازحين للاسهام فى بناء البلاد حتى لا يظلوا أسرى المعسكرات ورهينة بأيدى القوى المعادية لاطلاقها ضد الثورة ونظامها التقدمى — من يريد ذلك فعلا فان عليه أن يسلك السلوك الصحيح الذى يساعد على ذلك ، لا أن ينصب « المحاكم الاعلامية » التهريجية للمدافعين عن الثورة ونظامها التقدمى من قبل ومن بعد ، والذين أدانوا مؤامرة ١٣ يناير ١٩٨٦ مبعيد اندلاعها تماما ٠ وكان صوتهم ضدها من أعلى وأقوى وأسبق الأصوات ٠

ومعروفة الجهات التى تستفيد من نصب « المحاكم الاعلامية » التهريجية لرجالات الفكر والثقافة التقدميين أفنوا حياتهم دفاعا عن الثورة ونهجها الوطنى — الديمقراطى — الوحدوى ، وانتصارا لتوجهها الاشتراكى ، ومن أجل أن تكون اليمن الثورية التقدمية الموحدة غرة فى جبين أمتها العربية ، وفرقدا مؤتلقا فى مجرة بلدان التوجه الاشتراكى ، وفصيلا متقدما ومقداما فى جيش الثورة الأممية ٠

كفى تهجماً على الحزب الاشتراكى اليمنى وأطراف الحركة الوطنية الأخرى باسم الوحدة اليمنية!(*)

المتابع لافتتاحيات مجلة « الحكمة » ما بين عامى ١٩٨٦ ـــ ١٩٨٧ يلاحظ على الفور حملة مركزة على الحركة الوطنية اليمنية وعلى أحزابها المكافحة ، سواء كانت هذه الأحزاب تمسك بالسلطة وتوجهها نحو انجاز مهام الثورة الديمقراطية ـــ كما هو الحال بالنسبة للحزب الاشتراكى اليمنى ـــ أو كانت ما تزال بعيدة عن السلطة وما تزال تسعى من أجل قيام اليمن الديمقراطى الموحد .

أما الحجة التى تتعلل بها افتتاحيات « الحكمة » فهى أن الحركة الوطنية اليمنية بجميع أحزابها فقدت مسمتها الوطنية ، منذ كفت عن النضال من أجل تحقيق الوحدة اليمنية .

واذا ما دافعت هذه الأحزاب عن نفسها بما تتضمنه برامجها من تأكيد على قضية الوحدة اليمنية ، ومن اصرار على أن تقوم على أسس شعبية ديمقراطية ، بحيث تأتى ملبية لمطامح الجماهير الشعبية العريضة ، لا لصالح حفنة من الاقطاعيين والبرجوازيين وممثليهم السياسيين ، كان رد الحكمة أنه لا قيمة لأى نص حول الوحدة فى أى

(*) نشرت فى « صوت العمال » .

برنامج كان ، فذلك لا يعــد وأن يكون كلاما فى كلام ، بينما المطلوب هو الفعل ، كما أنه لا قيمة لأى اصلاح يمكن أن يكون قــد تم فى هــذا الشطر أو ذاك من اليمن — والمراد اليمن الديمقراطية أساسا — فهــو لا يعــدو أن يكون اصلاحا على سطح المجتمع قامت به القوى الحاكمة ، دون أن يمس جوهر وبنية المجتمع ، التى كما تجمع جميع الأنمــاط الاجتماعية ، فأنها مبطنة ومشدودة الى قيود المــاضى العتيدة القبلية والطائفية والقروية • ولاخلاص من ذلك كله الا بوجــدة المجتمع هــذه فى شكل وحــدة وطنية ، وبحقها مجتمعة فى الحرية السياسية ،وبقبولها بمشروع دستور دولة الوحــدة الذى أهمل وكاد أن يخفى من قبــل الأحزاب السياسية الحاكمة وغير الحاكمة منذ اقراره فى ٣٠ ديسمبر ١٩٨١ من قبل لجنة مؤلفة من عشرين شخصا تمثل حكومتى اليمن !

قبل ايراد الأدانات القاطعة الموجهة ضــد أطراف الحركة الوطنية اليمنية بجميع أحزابهــــا ، يتحتم تقــــديم تشخيص رئيس تحرير « الحكمة » لبنية المجتمع اليمنى فى كلا شطرى اليمن ، والتى لا يرى أى فارق نوعى أو كمى فيها هنا أو هناك ، حيث لا توجه اشتراكى فى الجنوب أو تطور رأسمالى فى الشمال ، وحيث — من ثم — لا عوائق اجتماعية وأيديولوجية حقيقية تحــول دون الوحــدة : « اليمنيــون يعيشون فى مجتمع يصعب أن نطلق عليه بصورة قطعية التسميات المعروفة — كالاقطاع ، الرأسمالية ، والاشتراكية — وكل الاجتهادات التى تطلق المسميات فى المناطق اليمنية المستقلة انما تعبر عن رغبات ليس لهــا أساس فى الواقع • ويقيننا يدفعنا الى الجنوح الى أنه — أى المجتمع اليمنى — خليط من تركيبات اقتصادية واجتماعية متوارثة ومكتسبة ، وحتى الاصلاحات التى جرت فى هــذا الشطر أو ذاك من الوطن وعلى نطاق القوانين والتشريعات قــد صنعت من قبل القيادات « الطليعية » التــ تريد أن تستشرف آفاق المستقبل بحكم ثقافة الطليعة ، وليس نتيجة

صراع اجتماعى منظم متطور الى الأعلى •• ويخطىء من يعتقد أن الوطن مقسم جغرافيا أو سياسيا فحسب • ثمة (ثمت — الكاتب) تقسيمات أخرى هى بمثابة مخلفات مرضية لا تلغى بالقرارات أو السكوت عنها • وأمر القضاء عليها موكول فعــلا الى « الوحــدة الوطنية » والحــلول الاقتصادية ، واعتماد الحريات الديمقراطية أساسا لبناء الحيــاة الجــديدة » • (الحكمة ، عــدد يناير ١٩٨٧ ، مشروع دستور الوحــدة بين النهاية والبداية ، عمر الجاوى ، ص ١٥ — ١٦) •

غير أن « الوحــدة الوطنية » التى تتجسد سياسيا فى « التحالف الوطنى » لم تتحقق بسبب انشداد أطراف الحركة الوطنية والشعبية الى مخلفات المــاضى وعلاقاته المتخلفة ، ناهيك أن هــدف الوحــدة اليمنية قــد غاب عن وعى وممارسة الجميع ، سواء من كان داخل الحكم أو خارجه ، ممــا جعل من اليمن ، واليمن الديمقراطية بالذات ، ساحة أخرى للتقــاتل الأهلى الذى لم يتوقف منذ عشية الاستقلال وحتى اليوم ، وجعل أمر الاقتتال فيها أطول منه فى لبنان :

« الواقع اليمنى اليوم منقسم — واقــع — حركة الجماهير — والحركة الوطنية اليمنية بكل تياراتها قــد ضربت وبشكل متعمد ، ليحل محلها حركة تعتمد على الطوائف • وهى مؤامرة نجربها فى لبنان للسنة الثانية عشرة على التوالى ، أو المداخل لتمويل أى اقتتال أهلى فى يد أعــداء شعبنا ، لأن مواد القتال موجودة بكل تراثها الذى خلقه الأئمة والسلاطين والانجليز ، اضافة الى نتائج القتال الأهلى على مدى ربع قرن المــاضى •

هــذه اللوحة القائمة قائمة فى بلادنا كلهــا يعرفهــا الوطنيون ، ويدفنون رؤوسهم فى الرمال ، لأنهم يخشون الحلول الوطنية •• » •

« بعض المنخرطين فى السلطات والتنظيمات لم يروا أبعــد من مصالحهم التى لا تتجاوز أنوفهم فى الحقيقة » .

ولأن أحــدا من هؤلاء لم يسمع الحكمة من أهل « الحكمة » حيث « كان للكتاب اليمنيين حــق التحــذير قبل أن تحصل كارثة عــدن » فقــد وقعت الكارثة على نحو تجاوز ما حــذروا منه » وكان للأهمال ، وربما الأحقاد السطوة » .

« ولقــد ازداد حجم الخطر فى الوطن بكامله ، لا بسبب جهلنـا بالمؤامرات التى تحاك ضــد شعبنا ، وانما لغياب الهــدف الوطنى ، ولاتساع مدى المصالح الانفصالية ، وانتعاش المخلفات المغرقة فى الردة والتراجع عن أهــداف ثورتنا اليمنية » .

« ولا يقوم الأعــداء بمعجزة مهولة نجهلها ولا نستطيع صدها ، وانما نحن الذين نقــدم لهم التربة الصالحة للتآمر وعلنا ، لأننـا فضلنا القبيلة والطائفة والسلالة والمنطقة على الوحــدة الوطنية ، أى أننا نتخلى عن المصالح الوطنية لشعبنا فى صالح الفائدة اليسيرة لجزء منه » . (الحكمة ، عــدد مارس ١٩٨٧ ، انفصالية ورب الكعبة ، رئيس التحرير ، ص ٣ — ٤) .

واضح أن رأس الرمح موجه أساسا ضــد الحلقة الوسطى فى السلسلة ، ضــد التنظيم الحاكم فى اليمن الديمقراطية والقوى الوطنية المؤازرة لــه .

أما تاريخ انقسام الحركة الوطنية وفــق الواقع المقسم الموروث بجميع تضاريسه فتعود الى اللحظة التى انتهى فيها حصار صنعاء فى فبراير ١٩٦٨ ، حيث سقط منذئذ حلم اقامة ديمقراطية فى اليمن يتم فى ظلها النضال من أجل تحقيق وحــدتها السياسية :

« تشهد المؤشرات السياسية فى السنوات الأخيرة أن التحـالف الوطنى الذى قامت على أساسه ثورة ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر ، والذى فك الحصار عن صنعاء بعـد هزيمة حزيران ، والذى حافظ على مكاسبنا ومنجزاتنا على طول البلاد وعرضها ، هـذا التحالف الوطنى قـد تحول بقـدرة المصالح المحـدودة الى انقسام فى صـفوف الحركة الوطنية وشقاق بدون هـوية أفسد الآمال المطروحة فى الساحة اليمنية لتأسيس ديمقراطية يرتكز عليها النضال من أجل وحـدة الوطن فى أقرب وقت ممكن ، وعلى ضوء برنامج مشترك » (نفسه ، ص ٥) .

ومنذئذ والى اليوم ، وبصورة خاصة منذ مطـلع السبعينيات ، تتعرض اليمن لا لمحنة عـودة أطراف الحركة الوطنية الى القوقعـات التى كانت قـد خرجت وأفلتت منها فحسب ، ولا لتحول هـذه الأطراف الى مسخ لا هـوية له ولا هـدف ولا طموح عـدا المحافظـة على المصالح الضيقة والأنانية ليس الا ، ولا لحرمان الوطن من الديمقراطيه فقط ، وانما تتعرض أيضا لعملية تدمير داخلى لكل شىء فيها : سيادتها ووطنها نفسه ، لا على يد القـوى الاستعمارية والرجعية الخارجية ، وانما على يد قـوى من داخلها :

« وفى عصرنا ، وكما رأينا بأنفسنا ، أن تهـديد سيادة الوطن لم تعـد بالغزو وحـده ومن الخارج ، وانما بتدمير الوطن من الداخل ، كما رأينا منذ بداية السبعينيات حتى اليوم » . (نفسه ، ص ٦) .

وهـو طرح يخالف باطلاق كل ما تقوله أدبيات أطراف الحركة الوطنية التى ترى أنه رغم رده ٥ نوفمبر ١٩٦٧ وما ترتب عليها ، فأن أطراف هـذه الحركة قـد حققت قـدرا هائلا من التطـور الفكرى والسياسى والتنظيمى ، وقـدرا كبيرا من التوحـد الوطنى ، ناهيك

عما مثلته حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ من تحول اجتماعى جـذرى ، وتبنى جاد لقضية الوحـدة اليمنية ، ومن تقارب بين الفصائل الديمقراطيه تمخض عنه قيام الحزب الاشتراكى اليمنى الذى ما يزال يمسك بزمام المبادرة التاريخية رغم كل ما تعرض له من أزمات آخرها محنة ١٣ يناير ١٩٨٦ الدامية التي أمكن له التغلب عليها بمقـدرة فائقة ، والمضى بنجاح فى طريق التغلب على جميع آثارها •

غير أن رئيس تحرير « الحكمة » يرى أنه قـد حـدث خـلال الفترة المعنية استثناء واحـد ويتيم سجله فى عـدد يونيو — يوليـو ١٩٨٠ من « الحكمة » فى مقاله الافتتاحى الذى حمل عنوان « والديمقراطية التى نريد » ، حيث تحققت فى الشطر الشمالى ديمقراطية « الأخ الرئيس على عبد الله صالح » الذى أثبتت السلطة بقيادته « أنها وحسب ظروفها تعالج بجرأة مسألة ازاحة مخلفات الضغط والديكتاتورية على المواطنين » •

ومنذ انتهاء حصار صنعاء والى اليوم والقـوى الوطنية تمعن فى الهرب من مسئوليتها الوطنية ، وتؤثر عليها التعلق بأذيال السلطة ، وبالذات تلك القـوى التى هاجرت من صنعاء الى عـدن ، والتى غـد همها مقصورا على الحصول على موقع ما فى السلطة فيها ، حتى باللجوء الى أساليب غير لائقـة •

أما الزعم بأن هـذه القوى وأمثالها فى الشطر الجنوبى قـد غـدت أممية فتلك نكتة لا تضـحك أحـدا • فهى كما فقـدت مسحتها الوطنية والقـومية ، غرقت فى قعر القروية ، ممـا ألقى بعبء القضية الوطنية على كاهل رئيس تحرير « الحكمة » وصـحبه وحـدهم دون سـواهم :

« نعم أيضا ، لقـد أقحمنا أنفسنا فى قضـية مثل هـذه ، لأن المعنيين بالأمر من أحزاب ومنظمات ترفض أن تقـدم شـيئا على

الاطلاق ، ولا تريد شيئا عــدا الأيغال فى الانتهازية ، « تشمم » مواقع السلطة ، والتخلى النهائى عن الانتماء الى المسألة « الوطنية » بكاملها ، واستخراج القروية كجسر سهل العبـــور الى ما هــو « قــومى » وأممى » . (الحكمة ، أبريل ١٩٨٧ ، نحو المؤتمر الرابع ، رئيس التحرير ص ٤) .

ولأن الجميع فقدوا رؤوسهم وذاكرتهم ووعيهم التاريخى والوطنى ، وغــدوا مجرد استمرار تاريخى لمــا كان عليه الوضع ابان حكم الأمامة والسلاطين ، ومجرد اشتقاق لمكونات هــذا العهد ، وتعبير عنــه بكل ملامحه وتضاريسه العطنة والموبؤة ، فأن رئيس تحرير « الحكمة » قرر الاتكال على الله وعلى نفســه فى أن ينصب نفســه « محتسبا » ـ كما كان يفعل الأئمة المحتسبون الذين كانوا يطمحون الى السلطة دون أن يبلغوها والذين كانوا يشنعون على الأئمــة الحاكمين حكمهم ــ وأن يتذرع بالشجاعة التى حرم منها سواه وأن يرفع دعوى باتهام على جميع أطراف الحركة الوطنية بأنها تخلت عن الايمان والعمل من أجل وحــدة اليمـــن :

« على أننا منذ البداية نود أن نتوكل على الله ونقتحم الخــوف والتحسبات والرقابة الداخلية ، ونكتب دون خــوف من أحــد ، مادمنا بعملنا هــذا نتخطى كل المشاريع الانفصالية وقواعــدها ومخلفــات الأمام والسلاطين من قبلية وسلالية وطائفية ومناطقيــة » . (نفسه ، ص ٤) .

وحتى لا يترك رئيس تحرير « الحكمة » مجالا لأى التباس فى أن دعــواه وتهمته بالتقاعس عن القضية الوطنية وعن العمل من أجلهــا قــد تطال قــوى أخرى غير القــوى الوطنية فانه يقول بوضوح :

« ليس هناك بد من الاعتراف بالمـأزق الذى وقعت فيه كل القوى بلا استثناء ، نعنى التنظيمات السياسية الوطنية ــ لأن رفع شـعار عظيم كوحـدة البلاد للاستهلاك السياسى قـد نفـذ دوره أمام الجماهير اليمنية التى تطمح الى عمل فعلى من أجل ممارسة الشعارات » • (الحكمة ، فبراير ١٩٨٧ ، مشروع الدستور وفترة الانتقال ، عمـر الجاوى ، ص ١٠) •

أما الحكم الذى يخلص اليه رئيس تحرير « الحكمة » فهو أن « أحزابنا ومنظماتنا لا تأخـذ الوحـدة بعين الاعتبار » وهى من ثم انفصالية حتى النخاع ، بل وغارقة فى وحل الانفصالية ، وهى تتحمل قسطا كبيرا من مسئولية بقاء اليمن مجزأة • وبالتالى غير صحيح تحميل السلطة هنا أو هناك وحـدها مسئولية هـذا الوضع • فالقوى الوطنية ذاتها استمرأت هذه الحالة ، واستثمرتها لتحقيق مكاسب منها ، وغدت جزءا لا يتجزأ من آليتها ، ولن تستطيع الافلات منها ، الا اذا كفت عن اللعبة السياسية الخطرة التى تمارسها ، لعبة معارضة السلطة فى الشمال ــ شأن ما يفعل غيرهم الذين يعارضون السلطة فى الجنوب ــ بقطـع النظر عن هـوية كل معـارض ، والا اذا كفت عن منازعة السـلطة فى صنعاء فى مد سلطانها المركزى على جميع المناطق التابعة لها •

لا بأس فى هـذا المجال من ايراد بعض الدرر النفيسة والحكم الثمينة ، التى يتحفنا بها رجل « الحكمة » الذى لا تدانى حكمته

« بزت عوامل الانفصال من الناحيـة الرسمية عوامل التوحيد • ولا أدل على ذلك ممـا نحن عليـه من ترد بعـد كارثة ١٣ يناير المستمرة • الوطنيون اليمنيون هم الذين يدفنون رؤوسهم فى التراب ، ويمرغون جباههم فى مستنقع الانفصال ، ويتمادون فى البحث عن عوامل

الفرقة ، ويفتعلون الاتهامات من أجل استمرار الصراع بينهم ، حتى لا يشتركوا فى المشروع — الهدف — توحيد الوطن • لقد أوكلوا أمرهم بنفاق واضح الى السلطتين ، لتقوم بكل الأدوار ، لأنهم قد انقسموا هكذا الى مؤيدين لهذه السلطة أو تلك ، ونستثنى البعض وانقلبوا الى عشاق للاتكال ، وانخرطوا « فى الطحن » كواجب لا يفضلون عليه شيئا آخر ، الأمر الذى يشعرنا بأن أصحاب القرار فى موضوع الوطن ليس ما نسميه بالسلطتين فقط ، وانما هذه التى تدفع بالتى هى أسوأ الى الانفصال » •

ويضيف : « السلطة تدافع فعلا عن بقائها ، وهى تمثل أو لا تمثل طبقات وفئات اجتماعية ، وتمثل المناطق والقبائل وبعض الأحيان أسوأ من ذلك • لكنها فى مسألة وحدة الوطن ليست هى صاحبة القرار • وهى فى الحقيقة صاحبة قرار البقاء على الانفصال ، وان حصل ، وذلك أمر متوقع ، أن تمزق الى أكثر من سلطة ، فسيظل مشروع الدفاع عن السلطة هو الأساس ، حين تغيب القضية الوطنية اليمنية ، وقد كان ذلك فى تاريخ السلطنات والامارات وكل تقسيمات الأئمة وفى فترة ما بعد الجمهورية ، وهى مستمرة ، حين يتمرد بعض أصحاب القرار ، ويعصون السلطة ، ويمنعون سيطرتها على مناطقهم • اذن ، وذلك أمر نفهمه ، ان أصحاب القرار ليسوا هذه السلطات القائمة فى الأراضى اليمنية الثلاث ، وانما معها ، هذه الجهات الوطنية التى تفرخت ، لتصبح مدغاة لعدم الفخر •• ومد اليد لتتسول القرار من جهات هم صناعها وحماتها » •

وبذلك تحولت « كل المسألة الى تكتل مضاد للسلطة فى الشمال • وآخر مضاد للجنوب • هكذا فهمت السلطات نفسها هذه التكوينات ، بصرف النظر عن طابع التكتلات • ولأننا لا نحاكم وطنية أو عمالة

هـذه الجهة أو تلك وجـدنا أنه لابد من تشخيص ما حصل من ناحيـة التوجه الانفصالى الذى قام فعلا فى بلادنا » . (الحكمة ، عـدد مايو ١٩٨٧ ، وبعـد .. يا أصحاب القرار ، عمر الجاوى ، ص ٤ ، ٥ ــ ٦) .

ما الذى ينبغى على أطراف الحركة الوطنية اليمنية عمله ، حتى تحصل على رضا رئيس « الحكمة » ، وحتى يرفع عن عنقها سـيف الانفصـالية ؟

الجـواب عن ذلك واحـد لا يتغير فى مجمـل افتتاحياته لـه « الحكمة » : القبول بمشروع دستور دولة الوحـدة الذى وضعته لجنة مشتركة من ٢٠ شخصا كان هـو أحـدهم ، باعتبار هـذا المشروع يفوق فى أهميته وقيمته وصلاحيته كل برامج أطراف الحركة الوطنية ، بما فيها برنامج الحزب الاشتراكى اليمنى ، فهـذا المشروع هو أيضا برنامج وطنى فى اطاره العام ، فـوق أنه دستور للدولة اليمنية الموحدة يفوق بكل المقاييس الدستورين القائمين فى كل من الشطرين ! :

« نعرف أن الشروع فى الحوار بين السلطات والمنظمات هـو الأساس والقاعـدة للتحالف الوطنى » وان المسألة تحتاج الى تنازلات من كل الأطراف من أجل وحـدة الوطن وحسب المرحلة ، وان هـذه القضية فى حـد ذاتها تحتاج أيضا الى برنامج وطنى فى اطاره الواسع ليشمل الجميع .. وان مشروع دستور الوحـدة هـو هـذا الاطار .. ولكن .. من من أصحاب القرار يستطيع أن يتقـدم بشجاعة لتحريك هـذه القضـية ؟

ان كل التنظيمات السياسية الوطنية ، رسمية وغير رسمية ، مدعوة الى التحالف الوطنى ، لأنها هى المعنية ، وهى القاعـدة الحالية للانفصال القائم فى بلادنا دون غيرها » . (نفسه ، ص ٧) .

« ولا نريد أن نحـدد التنظيمات السياسية فى البلاد ، بدءا بالمؤتمر الشعبى العام ، والحزب الاشتراكى اليمنى ، حتى حركة الناصرية . ولكننا نستطيع ان نقول بثقة انها علنية وسرية صمتت أمام اعلان الانتهاء من مشروع الدستور ، بل وتعامت عن المسألة الوحـدوية بكاملها .. ويتبع ذلك كل المنظمات الجماهيرية والنقابية والمهنية ، باستثناء اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين الذى لا يشكل ثقلا سياسيا بحكم أهـدافه الثقافيـــة » .

« نحن ندعـو كل القوى الوطنية اليمنية بمـا يتفق وهـدف المرحلة ، الى اعلان برامجها وخططها لتوحيد الوطن ، وفى ذات الوقت والظروف ناضجة ، تبذل محاولة ومحاولات من أجل ايجاد تحالف وطنى بين كل القوى لتحقيق هـذه البرامج والخطط وعلى أساس واضـح لا يخرج عن اطار مشروع الدستور الذى يعتبر برنامجا سياسيا يمثل حـدا معقولا لصيغة التحالف المـأمولة ، هـذا التحالف الذى يمهد للمضى على طريق تحقيق الوحـدة اليمانية » . (الحكمة ، عـدد فبراير ١٩٨٧) .

وفى افتتاحية « الحكمة » عـدد نوفمبر ١٩٨٦ ، وتحت عنـوان « مشروع دستورا لوحـدة .. مناقشة أم استفتاء » يدعو رئيس تحرير « الحكمة » لا الى طرح مشروع الدستور على الشعب لمناقشته واغنائه بالملاحظات ، باعتبار أن الشعب هـو مصدر السلطات وصاحب القرار فى تحـديد مصيره وكيفية قيام وحـدته السياسية ، وانمـا الى « مناقشة وضع برنامج وخطة واضحة يلتزم بهـا أنصار الوحـدة للاستفتاء على الدستور ، ومن ثم تنفيذه على الوجهة المتفق عليهـا ابتداء من بيان طرابلس ١٩٧٢ حتى بيان الكويت ١٩٧٩ والمواد المقرة فى المشروع نفسه فى فترة الانتقال » « على أن المجلس اليمنى الأعلى يملك

الحق فى مناقشة العمل على ايجاد السبل الكفيلة بانجاح الأستفتاء ووضع برنامج محـــدد وواضح للسير على طريق التنفيذ •

وتصبح القضية بجـذافيرها مربوطة بالشروع الفعلى فى وضع خطة وبرنامج محـــددين لفترة الاستفتاء وما يليها من خطوات » •

وتذكر الافتتاحية بأنه حين « تقـدم اتحاد الأدباء والكتـــاب اليمنيين باقتراحات محـددة للاستفتاء على الدستور ، بعـد انشاء المجلس اليمنى الأعلى ، لم تؤخـذ بعين الاعتبار » •

وتقول الأن « بقية التنظيمات السياسية والجماهيرية والنقـابية والمهنية لم تأخـذ القضية مأخـذا جادا ، اقترح الاتحاد فى حينـه ما يلى :

١ ـ وضع الدستور أمام المجلس اليمنى الأعلى باعتباره القيادة المعنية باتخاذ القرار •

٢ ـ يتخـذ القرار التاريخى الجرىء من حيث الشكل لتشكيل لجنة تضع الدستور أمام الجماهير لمناقشته ، اذا ما أريد اشراكها بصورة مباشرة •

٣ ـ فى حالة تعـذر الظروف يوضع مشروع الدستور أمام مجلسى الشعب التأسيسى والأعلى لمناقشته وبصورة مشتركة •

٤ ـ فى حالة تعـذر ذلك يوضع أمام كل مجلس على حدة لمناقشته ، ولأن المجلس اليمنى هـو المعنى بحل هـذه المشكلة ، وهـو الذى يتحمل هـذا العبء سلبا وايجابا » •

واضح من عبارة « فى حالة تعـذر » المتكررة ، ومن عبارة « اذا ما أريد اشراكها (الجماهير) بصورة مباشرة » أن واضعى المقترح قـد

تركوا للمجلس الأعلى البت فى الأمر ، وحملوه اتخاذ « القرار فى مسألة الاستفتاء على مشرو الدستور » ، فهو « الذى يتحمل هـذا العبء سـلبا وايجـابا » !

ذلك يعنى بوضوح أن مبدأ مناقشة مشروع الدستور شعبيا قبل اقراره من قبل المجلس التأسيسى المعين ، ومن قبل مجلس الشعب الأعلى المنتخب بشكل جماعى أو منفرد ليس ضروريا ، ويعنى أن كل الصلاحيات التى هى من حق الشعب قـد وضعت فى يد « المجلس الأعلى » .

على أن « الحكمة » كانت كريمة — بهـدف الترويج لقضيتها — عندما وجهت الدعوة « لكل الاتجاهات التى تسعى لتحقيق الوحـدة فى الأدلاء برأيها (على صفحاتها طبعا — الكاتب) حـول « مشروع الدستور » والبرنامج أو الخطة التى تراها لاجراء الاستفتاء » .

أما رأيها الذى تقول أنه رأى اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين كله فأنه يتلخص فى أنه لا مزيد على مشروع الدستور ، فهو كامل مكمل ، حتى ولو وضعته لجنة من ٢٠ شخصا ، فهم قـد أوتوا الحكمة وفصل الخطاب ، ومنحتهم العناية الالهية والالهام الشعبى المقـدرة على وضع مشروع دستور لا شبيه له ولا مثيل ، ولا يرقى الى مستواه دستور أو برنامج أو ميثاق !

ذلك ما تقوله بصراحة تحسد عليها : « لقـد رأى اتحادنا . ممثلا فى مجلسه التنفيذى ، وفى المذكرة الآنفة الذكر فى « مشروع الدستور » :

١ — أنه يتضمن الأهـداف الرئيسية المطروحة فى (الدستورين) المعمول بهما فى الوطن ، وميثاق المؤتمر الشعبى العـام ، والبرنامج السياسى للحزب الاشتراكى اليمنى .

٢ — أنه الشكل المتطور لدستورى البلاد ، الأكثر مناسبة لظروف الوطن الحالية •

٣ — أنه أخـذ بعين الاعتبار أهـداف الثورة اليمنية ، وتجـاوز سلبيات ومخلفات السلطات السابقة •

٤ — أنه أيضا يشكل أساسا للبرامج السياسية التى ستمضى على ضوئها دولة الوحـدة ومؤسساتها الحكومية والجماهيرية •

هـذه المنطلقات هى التى دعت وفى حينها الى المطالبة بالاستفتاء على مشروع الدستور » •

خلاصة ما تريده « الحكمة » — فى ضوء كل ما سبق — هو اقناعنا جميعا ، بالقبول بمشروع الدستور ، وبالاستفتاء عليه فـورا ؛ واعلان قيام دولة الوحـدة دون ابطـاء •

لقـد اتجه وفـد عالى المستوى من الشطر الجنوبى من الوطـن برئاسة أمين عام الحزب الرفيق على سالم البيض الى صنعاء ومكث هناك ما بين ٢١ — ٢٤ يوليو ١٩٨٧ بحثا عن صيغ وأسلوب واجراءات من شأنها أن تحقق دولة الوحـدة •

وأسفر اللقاء مـع وفـد الشطر الشمالى من الوطن الذى ترأسه رئيس الجمهورية القائد العام للقوات المسلحة الأمين العام للمؤتمر الشعبى العام العقيد على عبد الله صالح عن مشاريع تقـدم بها كل وفـد اتضح منها أن الوقت ما يزال مبكرا لتحقيق الوحـدة ، وأن مناشدة رئيس اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين أحمد قاسم دماج وأمينه العام عمر الجاوى لكل من رئيسى الوفـدين بألا « تبرحـوا صنعاء العاصمة قبل أن تستجيبوا المطالب شعبنا فى الوحـدة » — كما جاء فى

برقيتهما التى نشرتها « صوت العمال » فى ٢٣ـ٧ـ١٩٨٧ — أن هـذه المناشدة هى نوع من احلال الأمانى محل الواقع » •

أما الواقع الموضوعى الذى لابد من الوقت والجهـد الكافيين لتطويعه ، حتى تتوفر شروط ومقـومات الوحـدة ، فقـد عكسته المشاريع المختلفة لـكل من وفـدى الشطرين التى نشرتها « صـوت العمال » فى عـدد ٢٠ـ٨ـ١٩٨٧ •

ولعل مقارنة سريعة بين دعوة « الحكمة » الى الاستفتاء الفـورى على مشروع الدستور ، والشروع الفورى فى تحقيق الوحـدة — كما رأينا ذلك فيما سـبق — وبين المشاريع التى قـدمها وفـد الشطر الشمالى توضح أن هناك توافقا فى الرأى بينهما •

ويتضح من المشاريع التى تقـدم بها وفـد الشطر الجنوبى ، والتى تتمثل فى « مشروع اتفاق وحـدوى بين الشطرين على طريق قيام دولة الجمهورية اليمنية الموحـدة » وفى « مشروع برنامج لتنفيذ مشروع دستور دولة الوحـدة » وفى « الخطوات العملية للمصـادقة واجراء عملية الاستفتاء على مشروع دستور دوله الوحـدة » — يتضح أن وفـد الشطر الجنوبى اقترح تشكيل مؤسسات عليا وحـدوية مركزية تتألف من مجلس رئاسة من أربعة أشخاص برئاسة رئيسى الشطرين ، ومجلس نواب موحـد من خمسين عضوا ، ومجلس وزارى موحـد ؛ وسكرتارية لمجلس الرئاسة ومجلس النواب ومجلس الوزراء ، كما اقترح « تشكيل لجان فنية متخصصة تحت اشراف وزيرى الداخلية فى الشطرين تقـوم بدراسة مشرع الدستور » من كافة النواحى اللغوية والقانونية ، باضافة المواد المختلف عليها بعـد مصادقة المجلس اليمنى عليها » والعمل على انزاله للمناقشة الجماهيرية ، واعادة صياغته فى ضوء الملاحظـات الكتـابة والشـفوية من المواطنين ، وتقـديمه الى مجلسى الشعب فى

الشطرين للموافقة عليه ، ولسن « قانون انتخاب مجلس الشعب لدولة الوحـدة » فى ضـوئه ، على أن يصـدر المجلس اليمنى الأعلى ـ بعد ذلك كله ـ قانونا بحل مجلس الشعب فى الشطرين ، وقرارات ملزمة بتوحيد « المنظمات الجماهيرية والمهنية والابداعية فى الشطرين » وبتشكيل لجنة مشتركة لوضع النظام الأساسى للتنظيم السياسى الموحـد « وفقا للتطورات الاقتصادية والاجتماعية فى الشطرين » مع انزاله واللوائح المنفـذه له « للمناقشة الجماهيرية لاخراجه بشكل يتناسب ومصـالح الجماهير اليمنية فى كلا الشطرين » ، وبحيث يكون التنظيم مجسدا « المصالح الحقيقية للجماهير اليمنية فى كلا الشطرين » .

ولأن عملا ضخما كهـذا يتطلب جهدا ووقتا كافيين ، فأن المشاريع حـددت مواعيد زمنية تقريبية لكل مهمة من المهمات ، واذا كانت بعض المهام لا تتطلب أكثر من شهرين أو أربعة ، فان البعض الآخر منهـا يتطلب سنة أو سنتين ، وهكذا دواليك .

وما من شك أن أطراف الحركة الوطنية اليمنية تجـد نفسها أقرب ما تكون الى روح ومنهج هـذه المشاريع .

أن يكون رئيس تحرير « الحكمة » أميل الى المشاريع الأخرى ، فذلك حقـه .

غير أنه ليس من حقـه أن يرفع سيف ديموكليس على عنقها ، لأنها لا تشاركه رأيه ، ومن ثم ليس من حقه أن يدمغها ويدمغ الحزب الاشتراكى اليمنى معها بالانفصالية .

ترى هل تكفى كل هـذه الجهود « الوحـدوية » التى بذلها ويبذلها الحزب الاشتراكى اليمنى لاقناعه بأنه من غير الجـائز الاستمرار فى توجيه طعناته الى خاصرة هـذا الحزب ؟

ترى أى مردود يعود على قضية الوحـدة اليمنية من تهجمـه الدائب على أطراف الحركة الوطنية كلها ، ومن تصويرها بأنها مـع الانفصال لا مـع الوحـدة ؟ !

ألا يكفى أنها اختارت الطريق الصعب ، ونذرت نفسها للنضال ، وتحملت مشقاته وتبعاته ، بينما لا يفعل الذين يستغنون ويتطاولون عليها شيئا آخر عـدا بضاعة الكلام المكرر وغير المفيد عن الوحـدة يطلقونه من بروجهم العالية فى استرخاء وبرودة و « راحة ضمير » يحسدون عليهـا ؟ !

الا يحق لنـا أن نقول لهم كفـى .. كفـى تهجما على الحزب الاشتراكى اليمنى وأطراف الحركة الوطنية الأخرى باسم الوحـدة اليمنيـة !

صـــيرورة الثـــورة الديمقـــراطية

وقضـــية الوحـــدة اليمنيـــة(*)

بعض « المجتهدين » لا يرون فيما حــدث فى اليمن الديمقراطية فى ١٣ يناير ١٩٨٦ م على أنه ـ على خطورته وفـداحته ـ مجرد حادث تاريخى مشؤوم أملته أوضاع وظروف زائلة ، وانما يرونه معلما من معالم ظاهرة تاريخية يعيشها العــالم العربى ، والمشرق العربى بصورة خاصة ، وهى ظاهرة تفكك الدول والشعوب والأوطان العربية الى طوائف وقبائل متنازعـــة متناحرة ، أو فى طريقها الى التنازع والتناحر ، حتى لتهون معها ظاهرة « البلقنة » التى منيت بها الامبراطورية العثمانية فى شيخوختها ، والتى قادت الى خروج القوميات والشعوب البلقانية وغيرها ، بما فيها العربية ، عليها ، وانفصالها عنها ، وتكوينها دولا خاصة بها ٠

ففى رأيهم أن الظاهرة الجـديدة الآخـذة فى الاستفحال بمـا يشبه الطاعون الفتاك الذى ينخر فى جسم كل وطن عربى ، بل وكلا شطر من كل قطر عربى ـ كما هـو الحال بالنسبة لكل من شطرى اليمن ـ لم تعرفها حتى عهود الاقطاع العربى فى احلك أيام سيطرته ٠

(*) نشرت فى « صوت العمال » فى ١٩٨٨/١/٢٨ ٠

أما الأدلة والقرائن على وجود واستشراء هـذه الظاهرة المرضيه الوبائية المنذرة بشر مستطير فهى ما حـدث ويحـدث فى لبنان من حروب دامية بين الطـوائف المسيحية والاسلامية ، وبين الطـوائف الاسلامية ذاتها ، وما جرى — ويجرى — بين السنة والعـلويين فى سوريا ، وبين السنة والشيعة فى العراق ودول الخليج العربى ، وما يضطرم فى الأعماق بين الزيدية والشافعية فى اليمن ، ناهيك عن صراع القبائل فى جنوب اليمن ، ثم ما لاحت نذره فى مصر — أكثر الدول العربية مركزية منذ عهد الفراعنة — حيث أخـذ النزاع يتصاعد بين المسلمين والمسيحيين ... الخ — تلك هى خلاصة أدلتهم على مدى خطـورة هـذه الظاهرة .

وهى ظاهرة لها أسسها وجذورها من التاريخ والواقع الاقتصادى والاجتماعى والثقافى المتخلف — حسبما يطرحون — .

أما المغـذى لهـا والنافخ فى نارها فهو اسرائيل التى يقوم كيانها الاستيطانى على أساس الطائفية ، والتى تسعى الى تمزيق ليس الكيان القومى العربى فحسب ، وانما أيضا الكيان الوطنى لكل قطر عربى ، وتحويله الى شرائح مفتتة طائفية وقبلية ، بحيث لا تبرر بذلك وجودها القائم على الطائفية فقط ، بل وتضمن بقاء العرب فى حالة انقسـام لا ينتهى ، واحتراب لا ينقطع ، وتضمن بذلك استمرار وجودها ، بل وهيمنتها على العالم العربى — فى آخر الأمر — وهكذا يضيفون .

على أن الداعم الأكبر ، والقادح الآخر فى نيران هـذه الحروب الأهلية — الطائفية القبليـة هـو لاستعمار . والاستعمار الأمريكى بالذات ، الذى كانت سياسة « فرق تسد » هى لعبته المفضلة والمتقنـة التى مارسها منذ البداية ، والتى عاد الآن الى ممارستها بقـدرات أكبر على النجاح ، بعـد أن تسنى له تعطيل حركة التوحيد القومى العربى

بضربة ٥ يونيو ١٩٦٧ م التى استخدم فيها عصاه الغليظة اسرائيل ، وباضطرار مراكز التوحيد القومية فى مصر ، والعراق ، وسوريا ، الى الانكفاء على ذاتها ، والانشغال بهمومها القطرية ، ومعالجة مشاكلها الداخلية والخارجية التى تطبق على كل منها — وتلك خاتمة أطروحاتهم •

ورأينا أنه لا يستطيع أحـد أن يقلل من مخاطر التفكيك والتفتيت الاستعمارى — الصهيونى هـذه ، ولا أن يغمض الطرف عنها ، ولا أن يقف منها موقف اللامبالى •

غير أنه من غير الصحيح تصوير أو تصور أن تلك هى الحلقـة المركزية للسياسة الاستعمارية — الصهيونية فى المنطقة العربية •

فلم يكن الاستعمار والسائرون فى فلكه ضـد التوحيد الاقليمى والقومى باطلاق ، ومع التمزيق الاقليمى والوطنى باطلاق •

الموقف من حركة التحرر القومى أو الوطنى هـو الذى كان يملى عليه اتباع هـذه السياسة أو تلك • وكل ما يساعد على احتواء أو ضرب هـذه الحركة المناهضة له والطامحة الى خلق دول وطنية مستقلة متقدمة أو دولة قومية متحررة ناهضة ، كان الاستعمار يلجـأ اليه •

فالاستعمار واتباعه لم يكرهوا دعوة التوحيد القومى أو الوطنى لذاتها ، وانما تنطوى عليه من بعـد تحررى من وجوده ، ومن طموح الى بناء مشروع قومى أو وطنى واعـد بمستقبل أكثر اشراقا •

وعندما كانت القوى التابعة أو الرجعية أو المحافظة تتبنى — بايعاز منه أيضا — هـذه الدعوة ، فانه كان يباركها ، ويساعد على تحقيقهـا •

ودور الاستعمار البريطانى فى قيام « جامعة الدول العربية » كبديل لمشروع التوحيد القومى الشعبى دور معروف .

ودوره فى قيام بعض الدول المركزية العربية على انقاض دول ودويلات كانت موجودة الفعل دور معروف أيضا . ومن هـذه الدول الدولة السعودية .

غير أنه عندما طرحت حركة التحرر الوطنى العربية ، وخاصة خلال الحقبة الناصرية — شعار الوحدة العربية ، وأعطته بعدا تحرريا من الاستعمار وركائزه المحلية ، والى حد ما بعدا اجتماعيا ، فان الاستعمار فزع لذلك ، وشجع على مواجهته بشعار « الحلف الاسلامى » وهو — كما هو واضح شعار « جمعى » « لا تمزيقى » غير أن الهدف منه هو احتواء الشعار القومى التحررى التقدمى واغراقه واجهاضه .

ومنذ البداية كان الاستعمار مع شعار « الاخوان المسلمين » الداعى الى « وحدة العالم الاسلامى » لا حرصا منه على تحقيق وحدة المسلمين ، وانما بهدف مواجهة حركات التحرر الوطنى فى كل قطر عربى واسلامى . وذلك ما قام به الاخوان المسلمون منذ ظهورهم على المسرح السياسى عام ١٩٢٨ م الى اليوم .

وهناك اليوم دعوات تنطلق من هنا وهناك تنفى أو تتنافى مع القول بأن مخطط الاستعمار اليوم — من الفه الى يائه — يقوم على التمزيق الطائفى والاقليمى والقبلى ، وبأن قانون الصراع الطبقى والوطنى داخل كل قطر عربى ليس له وجود يذكر .

وعندما قامت الثورة الايرانية ، وخيف من محاولاتها تصدير ثورتها باستغلال الشيعة العرب ، ارتفعت دعوة توحيد دول الجزيرة

والخليج ، وقام « مجلس التعاون » الخليجى كحجر أساس لهـذا المشروع الذى استبعد منه العراق ، بعد أن وجـد نفسه فى حرب مـع ايران •

وهناك دعوة الملك المغربى الحسن الى وحـدة دول المغرب العربى من موريتانيا الى ليبيا ، على أن تذوب جمهورية الصحراء فى كيان مملكته •

والاخوان المسلمون فى اليمن ليسوا ضـد وحـدة اليمن، شريطه أن يكون ذلك على أنقـاض النظام الديمقراطى الثـورى فى اليمـن الديمقراطيـة •

والاقطاع والبرجوازية اليمنية لا يتمنيان أكثر من هـذا •

ولقـد حاول الاقطاع اليمنى غير مرة توحيد اليمن ، على أساس تعميم حكمه الأوتوقراطى الكهنوتى •

والبرجوازية اليمنية التى حرمت من مسرح نشاطها الأساسى فى عـدن ، تحلم ليلا ونهارا بزوال الكابوس « الاشتراكى » واختفـاء « الشبح الأحمر » من أجل أن تعود الى مسرح الصبا ، وتستعيد عرشها المفقود ، وتبعث الحرية الليبرالية التى كانت تمارس فى ظـل وحماية المستعمر •

والاقطاع والبرجوازية ــ حتى وان كانت ناشئة ــ والارستقراطية القبلية ، توحـدها جميعا مصالحها الطبقية والسياسية فى مواجهـة القوى الديمقراطية ، وهى تغلب هـذه المصالح على أية تناقضـات يمكن أن تكون بينها • وهى من ثم لن تدخل فى صراعات تناحرية فيما بينها بين ، طالمـا ظل هناك شبح يؤرقها ، حتى ولو كان مكانه فى أقصى مكان من اليمن •

وستظل وحـدتها هى كلمة السر التى تجمعها ، والتى تضعها فوق مصالح الطائفة والقبيلة . والأسرة ، والفرد — أيا كان — !

وهى لذلك تريد أن تكون الوحـدة اليمنية ترجمـة لوحـدتها الطبقية — السياسية هـذه .

ومنذ ظهـور الحركة الوطنية اليمنية فى منتصف الخمسينيات ، والتى كانت الطبقة العاملة البازغه تشغل موقع القلب منها ، كان شعار الوحـدة اليمنية مرتبطا بشعار التحرر من الاستعمار البريطانى والتسلط الأمامى — السلطانى .

والحركة الوطنية اليمنية اليوم قـد بلغت من التطور مدى تمكنت معه من اقامة قاعـدة راسخة لهـا ، وبناء دولة ديمقراطية خاصة بها ، وهى تحلم وتعمل من أجل أن تكون دولة الوحـدة المنشودة تجسيدا حيا لطموحاتها المشروعة التى يلخصها الشعار المرفوع منذ لحظات الولادة : يمـن ديمقراطى موحـد .

لا يستطيع أحـد أن يطلب من الحركة الوطنية اليمنية التى بلغت اليوم هـذا المستوى التاريخى الذى بلغته فى تطورها أن تتراجع عما طمحت اليه ، وهى ما تزال فى مرحلة التكوين والتخلق والتشكل .

واذا كانت قـوى الاقطـاع والقبلية والبرجوازية والبيروقراطية تريد أن تكون الوحـدة اليمنية على مقاسها ، وملبية لمصالحها ، فـان الحركة الوطنية اليمنية تريدها أن تكون ديمقراطية ، ومحققة لمصـالح جماهير الشعب اليمنى الغفيرة .

ولم يعـد هناك مجال للاجتهادات الذاتية والشطحات الفردية فى هـذا الصـدد .

فوثائق الحركة الوطنية اليمنية قـد حسمت المسألة منذ وقت مبكر • والحزب الاشتراكى اليمنى نفسه أفرد فصلا كاملا فى برنامجه هـو الفصل الأول خصصه « للقضية الوطنية اليمنية » ، وجاء الكونفرنس الحزبى العام ليعطيها بلورة أكثر •

ولا محيص من اعادة التذكير باحـدى فقرات هـذا الفصل فى البرنامـج •

« ان تحقيق الوحـدة اليمنية يعتبر من أعظم وأنبل الأهـداف التى ترتبط بمصالح ومصير الشعب اليمنى بأسره فى الحاضر والمستقبل • وليس من قبيل الصـدفة أن هـذه القضية كانت ولا تزال مثار الصراع النظرى والسياسى الحاد بين قـوى الثورة اليمنية والقوى المعـادية لهـا • فان الطبقات والعناصر الرجعية المستغلة المعـادية للثـورة والجماهير الكادحة كانت ولا تزال تطرح شعار الوحـدة فى سـبيل مصالحها التخريبية ، بغية الدفـع بحركة شعبنا الوطنية التحررية الى طريق محاربة التحولات الثـورية • ان هـذه القـوى تستفز مشاعر الجماهير ، وتشهر سلاح الوحـدة ، وتطرح الأساليب العـدوانية لتحقيقها ، لتزج بالجماهير فى حرب أهليـة واقتتال بين أبنـاء الشعب الواحـد • ان الحزب الاشتراكى اليمنى ، ومعه جميع القوى التقدمية الأكثر اخلاصا وصـدقا والأكثر استعدادا للتضحيه من أجـل اليمن الديمقراطى الموحـد فى الوطن اليمنى كله ، يرفض مثل هذا المفهوم للوحـدة ، كما يرفض تلك الطرق لتحقيقها التى تحـاول أن تعتمدها الرجعية • لذلك فان حزبنا لا يمكن أن يقبل بأن تخضع الوحـدة اليمنية لمشيئة القوى الرجعية وأهـدافها ، وسيناضل من أجل أن تحقق الوحدة اليمنية بطابعها الطبقى الديمقراطى لمصلحة أوسع جماهير الشعب • لذا فان الوحـدة اليمنية يجب أن تكتسب محتوى ديمقراطيا ، وأن تخـدم

قضية الثورة اليمنية التى تجسدت فى وحـدة ثورتى ٢٦ سبتمبر و ١٤ أكتوبر الخالدتين » • (ص ١٩ — ٢٠) •

هـذه المعالجة الطبقية الديكالكتيكية لقضية الوحـدة اليمنية ، والتى لا تجرد القضية الوطنية من البعـد الاجتماعى ، ولا تعزلها عن القوى الاجتماعية المحـددة التى تجيىء الوحـدة فى مصلحتها — هذه المعالجة لا يرفضها الا من يتحفظون على علم الاجتماع ذاته ، والا من ينكرون وجود المصالح الاجتماعية المتناقضة ، ويتعاملون مع قضـايا الشعب الجادة والمصيرية بأسـلوب لا ينطلى حتى على السذج من النـاس •

كان مؤسسو الاشتراكية العلمية مع وحـدة الأوطان والشـعوب بل ومع الوحـدة الاندماجية • ولقـد ناضلوا من أجل ذلك •

غير أنهم كانوا يربطون الوحـدة بالطابع الديمقراطى الذى ينبغى أن يكون لهـا ، والذى لا يتحقق الا اذا نهض العمال والفلاحـون والبرجوازية الصغيرة والوسطى والمثقفون الثوريون بعبئها •

ولم تتحقق وحـدة العرب حتى الآن ، لان هـذا الطابع كان دائما غائبا • وذلك هـو سر تحطم الوحـدة المصرية — السورية • وذلك هـو الدرس التاريخى العظيم الذى استخلصه الثوار العرب منهـا • وهـو درس عام ينطبق على أية وحـدة — أيا كانت وأينما كانت — وسواء قامت بين قطرين أو أكثر ، وحتى ولو كانت بين شطرين من ذات القطر •

ليس الأمر أمر مزايدات أو مناقصات • الأمر يتعـلق بمعرفـة الشروط الاجتماعية المحـددة التى فى غيابها تظل قضية تحقيق وحـدة الأوطان مجرد حلم جميل يكتب حوله الشعراء ، ويتغنى به الرومانتيكيون •

وأيا كانت مخططات التمزيق على أساس الطائفة أو القبيلة أو المنطقة ، فأن مصيرها الفشل .

ما يواجه لليمن تاريخيا هـو مواصلة مسيرة الثورة اليمنية — التي تجسدها اليوم ثورة ١٤ أكتوبر والحركة الوطنية اليمنية عموما . وعبر هـذه المسيرة ستتخلق الشروط الموضوعية والذاتية لاقامة اليمن اليمقراطى المتحرر الموحـد المزدهر .

فبصيرورة الثورة الديمقراطية ترتبط الوحـدة اليمنية ارتبـاط الجزء بالكل . والبحث عن الوحـدة اليمنية خارج هـذه العلاقة هـو بحث عن السراب .

واطلاق شعار الوحـدة اليمنية دون تحـديد لمضمونه الاجتماعى وللقوى الاجتماعية المؤهلة تاريخيا وموضوعيا لتحقيقه ، لا يختلف — من حيث الجوهر — عن شعار الوحـدة العربية الذى أطلقه ساطع الحصرى دون اهتمام بنوع القوى التى يمكن أن تحققه ، وحتى ولو تألفت هـذه القوى من الملوك وشيوخ الاقطاع ... الخ .

والذين يعتبرون الوحـدة اليمنية هى الحل لكل مشاكل اليمـن القـديمة والجـديدة ، وأيا كان الطابع الذى تتخـذه ، لا يختلفـون — من حيث الطرح الديماجوجى والميتافيزيقى هـذا — عن الاخوان المسلمين الذين يقولون « ان الاسلام هو الحل » !

والذين يقولون أن الوحـدة اليمنية هى الأصل ، وما عـداها مروق وخروج ، حتى ولو كان نظاما ديمقراطيا ثوريا يسعى الى الوحدة الديمقراطية — لا الى أى وحـدة كانت — الذين يقولون بذلك ويرون أن العودة الى الأصل هـو الأمر الطبيعى والمنطقى ، لا يتميزون — من حيث النهج وطريقة التفكير — عمن يقولون أن القبيلة هى الأصل ، أو

أن العودة اليها هى الملاذ والعصمة من الضياع ومن الانسحاق على أيدى « الآخرين » !

أن ألف باء الايمان بالوحدة اليمنية هو التخلص — أولا وقبل كل شيء — من طريقة التفكير هذه .

وكما أن العصر ليس عصر القبيلة والطائفة والقرية والأسرة والعرق ومسقط الرأس ، فانه ليس عصر الوحدة القومية والوطنية — كيفما اتفق وعلى أى نحو كان — .

لقد عالج عبد الفتاح اسماعيل قضيتى الثورة والوحدة فى أكثر من بحث وفند منطق دعاة الوحدة ولو على انقاض الثورة ، وقال ردا على سؤال : هل على الثورة فى اليمن الديمقراطية « ان تتوقف عن الاستمرار والتطور ؟ » ، حتى تتحقق الوحدة اليمنية — قال : « بكل تأكيد لا يمكن أبدا أن يتوقف مسار الثورة . بل لابد للثورة أن تواصل مسارها .. هناك وجهة نظر تقول أن من الضرورى أولا أن تتحقق الوحدة اليمنية ، لكى تستطيع أن تنفذ استراتيجية الثورة فى ظل الوحدة اليمنية ، وأنه بدون هذا من الصعب أن تتحقق الأهداف الاستراتيجية للثورة اليمنية . وفى الحقيقة نحن لا يمكن أن نقول أن هذا رأى صحيح ، على أساس أن الوحدة هى كل شيء أو الوحدة لابد أن تتحقق بأى ثمن . وانما نقول بأن الوحدة يفترض أن تكون بمضمون وطنى ديمقراطى ، ولا يمكن أن تحققها الا قوى وحركة مؤمنة بالأهداف المشتركة والنضال المشترك للشعب اليمنى ذات المضمون الوطنى الديمقراطى » (صوت العمال ، ٥—٣—١٩٨٧ ، وقضايا العصر ، عدد فبراير ١٩٨٧ ، ص ٩) .

والذين لا تقنعهم مثل هذه المعالجة الثورية والعلمية لقضيتى الثورة والوحدة اليمنية ، فأنهم لا يفعلون أكثر من حرمان أنفسهم من معرفة الحقيقة ومن رؤية ضوء الشمس الساطعة .

القسم الثالث

حـــول دور المثقف العضــوى وعبد الله بانيب كنمـــوذج لـــه

جـــــرامشي ..

المثقف التقلـيدى والمثقف العضـوى(*)

أنطونيو جرامشى كاسم وعلم من أعلام الفكر الاشتراكى العلمى يكاد يكون غير معروف لدى الجمهرة الواسعة من المثقفين العرب . وما ترجم له وعنه الى العربية ليس كثيرا ، فوق أن هـذه الترجمات لم تبدأ الا فى وقت متأخر جـدا ، وبالذات منذ منتصف السبعينيات .

أنطونيو جرامشى المولود فى جزيرة سردينيا الايطالية فى يناير ١٨٩١ لعائلة فقيرة ، والمتوفى فى ٢٧ أبريل ١٩٣٧ ، هـو نموذج رفيع للمناضل الشيوعى ، وأمثولة خالدة للمكافح المتفانى ، ومنارة مشعة للفكر الثورى .

فى فترة مبكرة نسبيا تعرف على الفـكر المـاركسى ، وبشفافية ذهنية ، وثورية التقط الخط النضالى الثورى والأممى الذى جسده لينين .

وداخل حزبه الاشتراكى الايطالى ادار صراعا مريرا مع الجناح الاصلاحى الانتهازى فيه قبل ان يتمكن مع رفاقه من تأسيس الحزب الشيوعى الايطالى فى يناير ١٩٢١ .

(*) نشرت فى « الشـورى » فى ١٩٨٦/١/١١

وبدعم من الكومنترن التى حضر مؤتمرها الرابع تمكن من التغلب أيضا على الجناح اليسارى المتطرف فى الحزب ، ومن ترسيخ زعامته لـــه •

غير أنه فى ذات العام الذى انعقد لـــه لواء القيادة فى الحزب ، وقع جرامشى فى يد شرطة النظام الفاشى الذى أقامه موسولينى ، وزج به فى السجن منذ نوفمبر ١٩٢٦ الى أبريل ١٩٣٧ ، حيث لم يخرج من السجن الا حطاما ، ولم يعش سوى أسبوع واحد من خروجه منه •

غير أن رحلة العشر سنوات التى امضاها جرامشى فى غياهب السجن هى أكثر ما يثير الانتباه من حياته ، وأكثرها عطاء على المستوى الفكرى ، وأبقى ما تركه لنـــا على الأطلاق •

كان جرامشى صورة حية للمثقف المتعـــدد المواهب • فعـــدا ميوله الأدبية ، كان شديد الاهتمام بالتاريخ ، غير أن قضية الثقافة ودور المثقفين فى صنع التاريخ هـــو ما شكل محور انتباهه ، وما ادار عليه مجمل أبحاثه التى أبدعها فى السجن بدءا من عام ١٩٢٩ ، والتى حملت اسم « دفاتر السجن » ، حتى ليمكن القول أنه قـــدم بها اضافة حقة فى مضمار الثقافة والمثقف ، والدور الذى يعود اليهما فى ميدان صـــنع الأحـــداث التاريخية •

يميز جرامشى بين نمطين من المثقفين : المثقفين التقليديين ، وهم المرتبطون أساسا بالطبقات القـــديمة التى اما ازيحت من المجتمع أو هى فى الطريق الى أن تزاح ، والمثقفين العضويين ، وهم المرتبطـــون بالطبقات الجـــديدة الصاعدة والمتقـــدمة •

غير أن هـــذا التمييز ، لا ينفى أن المثقفين التقليديين كانوا مثقفين

عضويين بالنسبة لطبقاتهم قبل أن تندحر أو تأخـذ فى الانحدار ، ذلك أن المثقفين عموما هم العنصر الديناميكى الفاعل والحى على المستوى الأيديولوجى والسياسى بالنسبة لجميع الطبقات • فالكهنوت أو رجال الدين لعبوا هـذا الدور بالنسبة للارستقراطية ، منذ الامبراطورية الرومانية الى عصر النهضة • غير أن مثقفى البورجوازية الناهضـة تسلموا اللواء منذئذ ، وغـدوا هم المثقفين العضـويين فى حين أصبح رجال الدين تجسيدا للمثقفين التقليديين الذين كان عليهم أن يطوعـوا أنفسهم ويخضعوا أفكارهم لمصالح ومقتضيات المجتمع البرجوازى •

ولكن ما أن تولد الرأسمالية طبقة البروليتاريا ، وما أن يتشكل مثقفو هـذه الطبقة الجـديدة الصاعدة والممسكة بزمام المبـادرة التاريخية ، حتى ينقلب مثقفو البرجوازية الى مثقفين تقليديين ، من حيث أنهم مرتبطون بطبقة آخـذة فى الانحدار من مسرح التاريخ ، ولم تعـد تلعب أكثر من دور مؤخر أو معطل لحركته الموضوعية الحتمية نحـو الاشتراكية •

وعلى ذلك فان المثقفين العضويين الوحيدين فى عصرنا هم المثقفون الاشتراكيون العلميون المرتبطون ارتباطا مصيريا بالطبقة العـاملة ، ارتباطا يبلغ حـد الانخراط فى حزبها الطليعى الذى يعتبر كل عضو فيه مثقفا طليعيا ، من حيث أنه يشترك بدور قيادى فكرى وسياسى وتنظيمى فى تحريك المجتمع والبشرية جمعاء نحو مجتمع الخير والحـق والجمال والسعادة ، مجتمع الاشتراكية والشيوعية •

لقـد ضرب جرامشى بلينين مثلا على المثقف العضوى الكامل •

نقطة الانطلاق التى بدأ منها جرامشى للتمييز بين المثقف التقلدى ، والمثقف العضوى ، هـو ذلك المقطع المؤشر الذى أشار به ماركس الى

اللحظة التاريخية التى تنتهى بها مرحلة ، وتبدأ بها مرحلة جـديدة ، تتطلب نمطا آخر من المفكرين ، والذى جاء فيه : « لا يلفظ مجتمع ما أبدا أنفاسه قبل أن تكون قـد تطورت جميع القوى الانتاجية التى هـو على قـدر كاف من الاتساع لاحتوائها ، ولا تحتل أبدا علاقات انتاج أكثر تقـدما مكانها قبل أن تكون الشروط المـادية لوجودها قـد تفتحت فى رحم المجتمع القـديم .

ولهـذا لا تضع البشرية أبدا نصب عينيها سوى المهام التى هى قادرة على أدائها : ولو امعنا النظر فى الأمور لرأينا على الدوام أن المهمة تظهر الى حيز الوجود حيثما تكون الشروط المـادية لتحقيقها قـد أمست متشكله أو فى سبيلها الى التشكل » . كما جاء فى (مقـدمة نقـد الاقتصاد السياسى) .

وعلى ذلك فان المثقف التقليدى هـو ذلك الذى لا يستطيع الانتباه الى حلول مرحلة تاريخية جـديدة ذات مهام متميزة ، ولا يستطيع من ثم الاسهام فى طرح الاجابات النظرية والعملية على الأسئلة الجـديدة النوعية التى تطرحها .

فالتقنيون والاختصاصيون الذين لا يدركون أن مرحلة تاريخية جـديدة وأكثر تقـدما قـد حلت منذ ظهور الطبقة البروليتارية ، وان الطبقة البرجوازية قـد كفت عن أن تكون طبقة ناهضة ، هم مثقفـون تقليديون ، اذا ما قورنوا بالمثقفين الذين وعـوا هـذه الحقيقة الجديدة ، ووعـوا من ثم اتجاه حركة التاريخ ، ووظفوا أنفسهم لقيادتها .

الثقافة التكنيكية المتخصصة وحـدها ، حتى ولو كانت من النمط الرفيع والدقيق ، لا تكفى لاطلاق صفة المثقف العضوى على حاملها .

لابد الى جانب ذلك من امتلاك تصور تاريخى علمى عن العالم وعن منحى تطوره ، ولابد من المشاركة العملية فى دفع حركته فى هـذا الاتجاه الموضوعى الحتمى التقـدمى • وبذلك يصبح هناك مثقف عضوى حقيقى فعال • فهو بهـذه الصفة اختصاصى وسياسى وقائد لحركة التطـور والتقـدم من الموقع الذى يشغله •

وعبر كل مرحلة انتقالية يدور صراع لاهب بين المثقفين العضويين للطبقة الجـديدة والمثقفين التقليديين للطبقة الزائلة أو الآخـذة فى الزوال • وهـو شكل من أشكال الصراع الطبقى الطبيعى • ومثل هـذا الصراع دار بين مثقفى البرجوازية الناهضـة ومثقفى الارستقراطية الآخـذة فى الاندحار • وهـو صراع أقـل حـدة اذا ما قيس بالصراع الذى احتدم بين مثقفى الطبقة العاملة التى أخـذت تعتلى حلبة التاريخ وبين مثقفى البرجوازية الذين تحولوا منذ هـذا الوقت الى مثقفين تقليديين لا هم لهم الا تأجيل لحظة أفول الطبقة التى ربطوا مصيرهم بمصيرها •

وكما يعمـل المثقفون التقليديون على اخفاء الموقـع الطبقى الذى يقفون فيه ، والطبقة التى يدافعون عنها ، فان المثقفين العضويين يعملون على وضع الأمور فى نصابها وعلى تسمية الأشياء باسمائها ، كما يعملون فى نفس الوقت على تمثل وهضم المثقفين التقليديين وتطويعهم لتقبـل مهام المرحلة التاريخية الجـديدة •

يقول جرامشى فى هـذا الصدد : « ان واحدة من أهم السمات المميزة لكل فئة تسعى الى الوصول الى السلطة هى النضال الذى تخوضه لكى تتمثل وتستوعب « أيديولوجيا » المثقفين التقليـدين ، وهـذان التمثل والاستيعاب يتمان بسرعة وفعالية أكبر اذا قامت الفئة المشار

اليها باجراء مزيد من التغيير فى صفوف مثقفيها العضويين » • (جان مارك بيوتى ، فكر غرامشى السياسى ، بيروت ، ١٩٧٥ ص ٤١) •

وهــذا الصراع بين المثقفين التقليديين والمثقفين العضويين لا يحسم نهائيا الا بعــد قيام الدولة الجــديدة التى ــ لتكريس هيمنتها الشاملة السياسية والروحية ولاعادة بناء المجتمع ــ لا تعمل على تعزيز مواقع مثقفيها العضويين فى الحزب والدولة والمجتمع فحسب ، وانما تعمل أيضا على اخضاع المثقفين التقليديين المناوئين ودمج واستيعاب من يمكن تطويعه منهم ، ذلك ــ كما يقول جرامشى ــ « ان ما يظهر الى حيز الوجود بالتناوب هــو تأليف حقيقى بين القــديم والجــديد ، توازن مؤقت فى العلاقات الثقافية مناظر لتوازن العلاقات الاجتماعية ، ولا تطرح المشكلة الثقافية بكل حــدتها ولا تنزع نحــو حل متماسك الا بعــد انشاء الدولة » • (المصــدر السابق ، ص ٥٧ ــ ٥٨) •

لقــد قال جرامشى أن لينين هــو مثال المثقف العضوى لطبقته البروليتارية الذى لعب دورا استثنائيا فى تغليب فكرها وأيديولوجيتها على فكر وأيديولوجية الطبقات الأخرى التى حكم عليها التاريخ بالزوال ، وفى بناء دولتها ، وتطويع اختصاصى البرجوازية المدحــورة لمصالح المجتمع الجــديد •

وعلينا أن نقول نحن أن جرامشى نفسه كان نموذجا كذلك للمثقف العضوى الذى أضاف بعــدا جــديدا الى مهامه وعمق أكثر احساسه بمسئوليته الوطنية والحزبية والأممية •

والمثقفون العضويون فى كل مكان ، ولا سيما فى العالم النامى ، هم أحوج ما يكونون الى العودة الى تراث جرامشى ، ونضاله ، داخل السجن وخارجه •

ولسنا فى اليمن بأقــل حاجــة الى التزود بمثل هــذا التراث ، والى التعلم من أمثولة هــذا النضال . بل لعل حاجتنا الى ذلك أشــد فى مثل هــذه المرحلة التى بلغتها الثورة فى سعيها للانفلات نهائيا من أنمــاط الانتاج المــادية والفكرية التى فرزتها مراحل سابقة ، ولتسييد الانتــاج المــادى والفكرى الجــديد والمتقــدم ، وللمضى قــدما فى طريق التوحيد الوطنى ، والتقــدم الاجتماعى ، والتحرير المــادى والروحى للمجتمع ، واشاعة الديمقراطية فى كل جانب من جــوانب حياته ، ولاطلاق الثورة الثقافية ، والتقــدم صوب تحقيق الاشتراكية .

قطـــــــار الثـــــــورة

.. والمتفرجـــــــون(*)

فى تاريخ الشعوب كان هناك دائما المثقف المناضل فى مقابل المثقف المتأمل . الأول كان يشترط معادلات فكرية معينة ، وأحيانا تعجيزية لولوجه مضمار العمــل السياسى المبشر ، بينمــا كان الثانى يقنـــع بالحـــد المعقول والمقبول ، ومن خلال الممارسة السياسية يعمل على توسيعه وتطويره بحيث يغـــدو أكثر كمالا وشمولية .

لم يكن المثقف المتأمل يهتم بكمال النظرية ، ونضـــج البرنامج وسلامة التكتيك بقـــدر ما كان يهمه أمر نفسه وسلامته وعافيته ، على عكس المثقف المناضل الذى كان بنكران ذات وبروح التفانى والتضحية والايثار يقبل بالعمل مع من هم أقل منه معرفة نظرية ، ورشدا سياسيا وخبرة عملية ، بغية مساعدتهم على الارتفـــاع الى المستوى الفكرى والسياسى الذى يمكنهم من النهوض بمهمتهم التاريخية التى لا يستطيع المنظر الفرد ،والسياسى المحنك أن يحققها ، بدونهم أو بعيدا عنهم .

كان المثقف المتأمل يبحث عن الحجج والتعلات التى يبرر بها موقفه الانعزالى وأحيانا للامبالى بحركة الصراع الضارى من حوله . ولربما

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٧/١٠/٨ .

أطل من عل ، أو حتى من بعيد ، وألقى بعض المواعظ — شأن الاحبار والرهبان والشيوخ المتبتلين — على المنخرطين فى معمعان النضـــال يسمعونها ، ولكن عبثا . فهؤلاء لا يستمعون الا لمن يشاركهم معركتهم ويكتوى بنيران النضال مثلهم ، ويعانى مثلما يعانون .

على العكس من ذلك كان موقف المثقف المناضل الذى كان يقبل بالدخول فى أقرب الحركات السياسية الى فكره وهـدفه ، ان عز عليه انشاء حركة سياسية قوية خاصة تتبنى مجمل ما يؤمن به ويدعو لــه من قيم ومثل اجتماعية وانسانية ، وربمـا شكل ضمن هـذه الحركة السياسية أو تلك جناحا راديكاليا ، ريثما يتسنى لـه بنـاء حركته الثورية المستقلة المتميزة .

ذلك ما نبه اليه ماركس وانجلز منذ البداية ، وما سار عليه تلاميذهما فى كل مكان وعبر مختلف العهود ، وهـو ما حـدث أيضا فى اليمن منذ نشوء الحركة الثورية فيه فى الخمسينيات .

فى بحث له يصور انجلز علاقات القوى بين البرجوازية والبروليتاريا أثناء ثورة مارس ١٨٤٨ البرجوازية فى ألمـانيا ، وكيف عكست التركيبة الاجتماعية — الاقتصادية المتخلفة فى ألمـانيا نفسها على موقف كلتا الطبقتين ، مما حـدا بالبرجوازية الألمـانية الى أن تدير سلاحها ضـد عـدو الغـد ، وهو البروليتاريا ، والى أن تبحث عن قاسم مشترك مع خصم الساعة ، وهو الملكية المطلقة ، والاقطاع والبيروقراطية والبرجوازية الصغيرة المذعورة ، ومما جعل البروليتاريا الضعيفة التكوين والوعى — بفعل التخلف الاقتصادى والاجتماعى — تقبل بدور الشريك التابع للبرجوازية ابان الثورة ، وفرض عليها وعلى عصبة الشيوعيين الألمـان التى انضم اليها ماركس وانجـاز قبيل الثورة بقليل ، ان يلعبوا دور الحزب الديمقراطى الثورى لا أكثر .

يقول انجلز : « ولكن فى هـذه الأثناء تبدى على الفور تأثير الظروف الاقتصادية المتأخرة جـدا بالقياس الى فرنسا وانجلترا والعـلاقات الطبقية المتأخرة أيضا من جراء ذلك فى ألمـانيا .

ان البرجوازية الألمـانية التى بدأت للتو تبنى صناعتها الكبيرة لم تكن تملك لا القوى ولا الشجاعة لكى تظفر لنفسها بالسيادة فى الدولة بلا منازع ، ولم تكن بحاجة ماسة الى هـذا الظفر ، أما البروليتاريا المتخلفة بالقـدر نفسه ، المترعرعة فى أحضـان العبـودية الروحيـة التامة ، غير المنظمة ، وحتى غير القادرة بعـد على التنظيم المستقل ، فانها كانت تشعر شعورا غامضا وحسب بالتضاد الشديد بين مصالحها ومصالح البرجوازية ، ولهـذا كانت من حيث الجوهر خصما رهيبا للبرجوازية ، الا أنها بقيت مع ذلك ذيلا سياسيا لهـا . ان البرجوازية التى أخافها ، لا ما كانت عليه البروليتاريا ، بل ما كانت تهـدد بأن تصحبه وما كانت قـد أصبحته البروليتاريا الفرنسية قـد رأت الخلاص فى أمر واحـد فقط ، فى مساومة مع الملكية والارستقراطية ، أيا كانت ، حتى وان كانت مساومة فى منتهى الجبانة . أما البروليتاريا التى لم تكن قـد أدركت بعـد دورها التاريخى فقـد اضطرت فى الآونة الأولى بأغلبيتها الساحقة الى القيام بدور الجناح الأكثر تقـدما من البرجوازية بدور الجناح اليسارى المتطرف ... ان أعضـاء العصبة المـائتين أو الثلاثمائة المشتتين قـد ضاعوا فى الجمهور اللجب الذى أخـذ يتحرك فجأة . ولهـذا ظهرت البروليتاريا الألمـانية على الحلبة السياسية فى البدء بوصفها الحزب الديمقراطى الأكثر تطرفا » . (ماركس — انجلز ، منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ الجزء ١ ، دار التقـدم ، موسكو ١٩٨١ ، ص ١٩٢ — ١٩٣) .

لم يبحث الشيوعيون الألمـان لأنفسهم عن مبرر لكى يبتعدوا عن

مجرى الثورة البرجوازية الديمقراطية فى ألمانيا المجزأة المفككة ، ولا وقفوا موقف اللامبالاة منها بحجة أن الثورة لم تعم ألمانيا كلها ، وانما قامت فى أجزاء منها (فى فيينا وفى برلين) ، بل خاضوا المعمعة ، وتوجهوا نحو ألمانيا كلها ، رافعين المطالب التى حددها لهم ماركس وانجلز خلال الثورة والتى كان على رأسها اقامة جمهورية ألمانية ديمقراطية واحدة موحدة غير قابلة للتجزئة ، ولا مكان فيها للاقطاع ، الى غير ذلك من المطالب الديمقراطية الملبية لمصالح البروليتاريا والبرجوازية الصغيرة وصغار الفلاحين .

بعد فشل ثورة ١٨٤٨ ، لا فى ألمانيا فحسب ، وانما فى أوروبا كلها ، كان رأى ماركس وانجلز أنه لا محيص من اصدار جريدة ثورية فى ألمانيا ، هدفها بلورة مفاهيم الثورة الديمقراطية ، وتحديد مكان ودور البروليتاريا الخاص فيها ، وبناء حزبها الذى ينبغى أن يمثل الجناح الجذرى فى التيار الديمقراطى عموما .

لا العزلة عن مجرى الحركة الثورية العام ، والاعتكاف فى بروج عاجية حتى يوم الشيوعية ، ولا الذوبان فى هذا المجرى ، حتى يفقد الحزب البروليتارى طابعه المتميز — هكذا كان موقفهما — مهمة المناضلين تكمن بالضبط فى الادراك الجيد لطبيعة اللحظة التاريخية المعاشة ، فى فهم مجرى التطور ، والدرجة الاجتماعية التى بلغها ، فى تكتيل كل قوى المرحلة التاريخية وصبها فى اتجاه النضال الشعبى الدائب المستمر من أجل تحقيق أهداف المرحلة الثورية التى يمثل قيام جمهورية ألمانية ديمقراطية موحدة ذروتها والتى تفتح بقيامها آفاق مرحلة ثورية أعلى .

وحسب صياغة « الجريدة الرينانية الجديدة » التى أصدرها ماركس وانجلز فى مدينة كولونيا الألمانية ، فأنه كان ينبغى أن يكون

واضحا « اننا لا ندعو الى اعلان المطلب الطوباوى الذى يقول منذ البدء بجمهورية ألمانية موحدة ، غير مجزأة ، لكننا نطلب مما يدعى بالحزب الديمقراطى للراديكالى الا يخلط نقطة البداية للنضال والحركة الثورية بالهدف النهائى » (الجريدة الرينانية الجديدة ، دار ابن خلدون للنشر ، بيروت ١٩٧٦ ص ١٩) •

أمران نبه ماركس وانجلز الى خطورة الوقوع فيهما : التزمت النظرى الذى لا يترك لأصحابه سوى مجال ضيق ومعزول ، وسوى التعامل مع حفنة من المثقفين المعجبين بأنفسهم وتخريجاتهم الفكرية التى يبررون بها بعدهم عن مجرى النضال الثورى ، والغرق فى البراجماتية التى تقبل بأى حل سياسى حتى على حساب القيم الثورية التى يكون النضال الثورى قد شرع فى تحقيقها بالفعل •

كان قفاز التحدى الذى قذفه معلما الطبقة العاملة فى وجه الجميع هو شعار الثورة الديمقراطية ، والمضى بها الى خاتمتها الطبيعية ، أى الى اقامة الجمهورية الألمانية الديمقراطية الواحدة الموحدة •

وبهذا الشعار حشرا كلا من المتزمتين النظريين دعاة التبشير بالمبادىء الشيوعية فى أرض خلاء ، والبراجماتيين الذين بلغت بهم ميوعتهم وخورهم حد التخلى عن منطق الثورة الديمقراطية ذاتها — حشراهم فى الركن الضيق •

كتب انجلز فى هذا الصدد : « وهذا ما قرر رايتنا ، عندما شرعنا نؤسس جريدة كبيرة فى ألمانيا • ولم يكن من الممكن أن تكون هذه الراية الا راية الديمقراطية ، ولكن تلك الديمقراطية التى تبرز فى كل مكان ، فى كل مناسبة ، طابعها البروليتارى المتميز ، الأمر الذى لم يكن بوسعها بعد أن تسجله على رايتها قطعا والى الابد • ولو أننا

لم نقـدم على هـذا ، لو أننا امتنعنا عن الالتحاق بالحركة فى جناحها القائم فعلا ، الأكثر تقـدما ، البروليتارى فعلا ، وعن دفعها الى الأمام ، لمـا كان بقى لنـا غير التبشير بالشيوعية فى منشور صغير ريفى ، وغير تأسيس شيعة صغيرة ، عوضا عن حزب كبير للعمل • ولكننا لم نكن نصلح للقيام بدور المبشرين فى الصحراء : فقـد درسنا الطوباويين دراسة جيدة للغاية ، وليس لهـذا الغرض وضعنا برنامجا » • (المصدر الأسبق ص ١٩٣ — ١٩٤) •

كانت عصبة الشيوعيين الألمـان على رأس الحركة الديمقراطية الثورية الألمـانية تمثل الجناح الأكثر ثورية وتقـدما فيها •

غير أن بعض أعضائها ما لبث أن أظهر قـدرا من التوفيقية والنزعة الاصلاحية فقـد معه سمته الثـورى ، لا البروليتارى فحسب ، بل والديمقراطى أيضـا •

كان أسطفان بورن هـو أبرز نموذج لهـذا الطراز من الثوريين الذين تحولوا الى سياسيين اصلاحيين •

على العكس من ذلك كان فلهلم فيتلينج الذى رغم بدايته المشجعة التى أشاد بها ماركس ، فقد جمح به نزوعـه الاشتراكى الطـوباوى وشيوعيته الخيالية الى مدى تصور معه أن ماركس غـدا رجـلا بيروقراطيا ومتقاعسا عن العمل الثورى ، لانه لم يوافقه على خلط مراحل الثورة ، ولانه تمسك بأن ما تواجهه ألمـانيا هـو السير بثورتهـا البرجوازية الديمقراطية الى النهاية ، قبـل أن تطمـح الى فردوس الاشتراكية والشيوعية •

لم تكن تنقص أسطفان بورن ، وفلهلم فيتلينج ، الموهبة والثقافة • ولكن كان ينقصهما الشىء الأهم ، وهـو فهم طبيعة اللحظة التاريخية ؛

حيث كان الأول يتراجع عن المدى الذى بلغته الحركة الثورية الألمانية فى تطورها ، ويدعو الى شيء من المساومة الطبقية ، ويدعو من ثم الى الارتداد بالثورة ، بينما كان يدعو الثانى الى تجاوز اللحظة التى كانت تقف عندها الثورة ، والى القفز مباشرة الى مرحلة المساواة الشيوعية .

وبينما هجر فيتلينج ألمانيا وذهب الى أمريكا حيث أسس له كومونة شيوعية لأشباع أحلامه الطوباوية ، ما لبثت أن انهارت ، فان أسطفان بورن ، كما فقد ثوريته ، أفلس سياسيا ، وقنع بوضع أستاذ محدود الأهمية والتأثير .

ولاننا أعددنا دراسة مفصلة ومستقلة عن فيتلينج سترى النور قريبا فى غير هذا المكان ، فان ما ينبغى ايراده هنا هو رسم الخط البيانى الذى أخذ يهبط شيئا فشيئا بأسطفان بورن ، حتى انتهى به الى الخروج من الحلبة الثورية ، والحلبة السياسية ، والى الانزواء فى ركن ضيق بعيدا عن حياة الناس العامة .

يرسم انجلز هذا الخط الهابط كما يلى : « وأخيرا أن صفاف الحروف أسطفان بورن الذى كان عضوا نشيطا فى العصبة فى بروكسل وباريس أسس فى برلين « أخوة عمالية » انتشرت انتشارا كبيرا ، ودامت حتى عام ١٨٥٠ . الا أن بورن ، وهو الشاب الموهوب ، تسرع كثيرا فى انتهاج نهج رجل سياسى . « فتآخى » مع خليط من العناصر المتباينة لمجرد أن يجمع حوله جمهورا من الناس . فلم يكن مطلقا من عداد أولئك الذين يستطيعون أن يوحدوا بين النزعات المتناقضة ، ويلقوا النور فى البلبلة والفوضى . ولذا نقع فى المنشورات الرسمية التى أصدرتها « أخويته » على تشويش ومزيج من مفاهيم « البيان الشيوعى » مرفوقة بذكريات ورغائب حرفية ، ومقرونة بمزق من الأفكار المأخوذة عن لويس بلان ، وبرودون ، ومشفوعة بدفاع عن مذهب حماية الصناعة

الوطنية ، ... الخ ، أى بكلمة أن هؤلاء القوم كانوا يريدون ارضاء الجميع • وكانوا يهتمون على الأخص بتنظيم الاضرابات والنقابات والتعاونيات ، ناسين أن المقصود بالدرجة الأولى هو الاستيلاء بانتصار سياسى على الأرض التى يمكن فيها وحدها لهذه الأغراض أن تتحقق بثبات وأمانة • وعندما حملت انتصارات الرجعية زعماء « الاخوية » على الشعور بضرورة الاشتراك المباشر فى النضال الثورى كان من البديهى أن يتخلى عنهم الجمهور المخدوع الملتف حولهم • لقد اشترك بورن فى انتفاضة درسدن فى آيار (مايو) ١٨٤٩ ولم ينج الا بفعل الصدفة • أما « الاخوية العمالية » فانها بقيت فى معزل عن الحركة السياسية الكبيرة للبروليتاريا كجمعية منعزلة موجودة بخاصة على الورق ، وتضطلع بدور ثانوى ، الى حد أن الرجعية لم تر من الضرورى الغاءها الا فى عام ١٨٥٠ ، ولم تغلق فروعها الا بعد بضع سنوات • ولكن بورن ، واسمه الحقيقى بوتر ميلخ ، لم يتمكن قط من أن يصبح رجلا سياسيا كبيرا ، انما أصبح أستاذ سويسريا صغيرا يترجم الآن ، لا ماركس باللغة الحرفية ، بل رينان الطيب بلغته ، بلغة ألمانية سكرية » (المصدر السابق ، ص ٢١٦ — ٢١٧) •

لابد أن عبد الله عبد الرازق باذيب قرأ عام ١٩٥٤ هذا التراث الذى يقدمه ملف الاشتراكية العلمية فى ألمانيا ، ولابد أنه استوعب الدرس جيدا •

ان مسلكه النضالى الفكرى والعملى منذئذ والى وفاته فى ١٦ أغسطس ١٩٧٦ يقدم من الأدلة ما يبرهن على أن هذا الدرس الألمانى لم يكن غائبا عن ذهنه وممارسته • لم يشعر — بعثوره على النظرية الماركسية — بأدنى قدر من الخيلاء والزهو ، ولم يضع نفسه فوق أو خارج القوى الاجتماعية والسياسية المعاصرة له والتى لم يسعدها الحظ بالوقوع على ذلك الكنز النظرى الذى وضع يده عليه ،

ولم يستبق اللحظة التاريخية ويسارع الى انشاء حزب شيوعى يتباهى به على الآخرين • وانما هـداه فكره النظرى الثورى الى المشاركة فى بناء « الجبهة الوطنية المتحدة » والى الدخول فى « رابطة أبناء الجنوب » التى بدت له فى منتصف الخمسينيات شـكلا ما من أشـكال العمل الجبهوى ، قبل أن يغادرها بعـد أن تبينت له صعوبة تطويعها للخط الوطنى التحررى •

وبعد أن تمكن عبر العمل المباشر وسط العمال والمثقفين من ايجاد نواة سياسية تؤمن بما آمن به ، انشأ « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » فى ٢٢ أكتوبر ١٩٦١ ، أكد فى ميثاقه الوطنى أنه ليس حزبا شـيوعيا بعـد : « وهـذا الاتحاد ليس حزبا ، وانما هـو تجمع وطنى ، يقبل ويرحب بأى عنصر وطنى مستقل يؤمن بمبادىء الاتحاد ويتبنى الميثاق الوطنى التالى كبرنامج للعمل » •

كان ما يهم باذيب ورفاقه الى جانب تثقيف الأعضاء بأيديولوجية الاشتراكية العلمية ، هـو العمل على بناء جبهة وطنية عريضة أو نسج علاقات نضالية قابلة للتنامى مع الفصائل الثورية الأخرى ، بلـوغا الى اقامة الحزب الشيوعى المنشود •

كانت الجبهة القومية هى الفصيل الأساسى الذى أمكن لباذيب أن ينسج مثل هـذه العلاقات معه ، وخاصة بعـد أن تمكنت من قيادة ثورة ١٤ أكتوبر بنجاح • ولهـذا الغرض سخر جريدته « الأمل » وجمد تنظيمه • وبفضل التقارب الفكرى والنضالى بين أبرز قادة الجبهـة القومية الطليعيين ، وعلى رأسهم عبد الفتاح اسماعيل ، وبين باذيب ورفاقه بدا أن الطريق قـد فتح لتنمية التعاون والتلاحم فى اتجاه خلق حزب طليعى حتى أمكن بالفعل اقامة التنظيم السياسى ــ الموحدة الجبهة

القومية ، الذى مثل صيغة انتقالية لقيام هذا الحزب : الحزب الاشتراكى اليمنى ، فى أكتوبر ١٩٧٨ .

أمثال أسطفان بورن ، وفيلينج ، ظلوا وما زالوا فى مقاعد المتفرجين ، أو البعيدين عن الركب ، سواء ركب الثورة الديمقراطية ، التى تجسدت عمليا فى النظام الذى اقامته ثورة ١٤ أكتوبر ، أو ركب بناء الحزب الطليعى . ولم يعد يفرحهم شىء مثلما يفرحهم أى شىء تتعرض له هذه الثورة ، أو يتعرض له هذا الحزب . فذلك — فى تصورهم — هو عقاب تاريخى لهما لاجتنابهما الطريق الذى نصحوا به ، طريق « الاخوة الوطنية » بين القوى الاجتماعية المتصارعة ، ولعدم استشارتهم أولا فيما ينبغى عمله قبل الاقدام على تفجير الثورة ، وقبل التسرع الى قيام الحزب !!

ولأن قافلة الثورة والحزب تجاوزت القاعدين والمتقاعدين قبل الأوان ، ولان البضاعة التى يعرضونها لم تعد تلقى من يشتريها فانه لم يعد لهم مكان لا فى قطار الثورة المندفع بسرعة لا يستطيعون معها الصعود اليه ، حتى لو أرادوا ، ولا بين الاتباع الذى خدعوا بهم لبعض حين .

وكلما مضى قطار الثورة أبعد ، وتجاوز الانفاق التى ظنوا أنه هالك فيها لا محالة ، وبلغ محطات لم يحدسوا حتى مجرد الحدس بها ، كلما اكتشفوا أنه فاتهم شرف الاسهام فى هذه المسيرة النضالية . ولربما شعروا حينئذ بشىء من الندم ، ولكن لات ساعة مندم !

فى الذكــرى الثــامنة لرحيــله

عبد الله باذيب رائــد الصحــافة التقــدمية اليمنية (*)

رجل القلم والفكر التقــدمى حامل الرسالة الاجتماعية ، صاحب الخطاب الثورى .. نادرا ما وجــد الظرف والامكانية والحالة النفسية التى تمكنه من أن يخلو الى نفسه ، ويعتكف فى محرابه ، ليظهر على الناس ــ بعــد سنين من الانقطاع عنهم ــ بهــذا المؤلف أو ذاك ، يكشف فيه عن رؤية جــديدة للحياة ، ويرسم لوحــة أكثر اشراقا لمستقبل البشرية .

فهموم الناس التى تسكن فيه ، ودواعى الثورة التى تضــج فى أعماقه ، والطموح الجامح الذى يتملكه ويدفع به دفعــا الى معترك الحياة اليومية .. كل ذلك يحول فكره وقلمه وحياته كلها الى طاقة عمل متفجرة دائما ، والى عجلة انتاج وخلق لا تكف عن الدوران .

الرؤية الثورية التى يكون قــد استخلصها من مجرى حياة البشرية تتحول الى لهب مقــدس يشعله ويحرقه ويذيبه .

(*) نشرت فى « الثــورى » فى ١٩٨٤/٨/١١ .

مداد حروفه معتصر من دمه ، مستقطر من ذوب فؤاده • حروف كلماته مسبوكة من وجيب القلب ، مصقولة بوميض الفكر • كلماته مشتقة من الق الفجر ، مقتطعة من قرص الشمس • كتابه دعوة صريحة الى التمرد والثورة ، الى التحرير والتغيير •

ذلك ما كانه عبد الله باذيب الذى من أجل تحويل رؤيته الثورية الى حقيقة حية ، اعتصر واذاب وسكب حياته كلها دفعة واحـدة •

زاوية واحدة فقط من سيرة هـذه الحياة الزاخرة المعطاء ، الباقية يمكن تناولها هنا ، لتكون لنـا ــ نحن العاملين فى ميدان الصحافة ــ درســا وعبرة •

كان لينين ــ شأن ماركس وانجلز ــ يعطى أهمية فائقة للعمـل الصحفى ، بل أنه كان يؤثر تسمية نفسه بالصحفى :

« وعلينا نحن جميعــا ، نظريى الاشتراكية ــ الديمقراطية ، أو صحافيى الاشتراكية ــ الديمقراطية ، كما أفضل القول عن نفسى ، تقع مهمة عاجلة وزاخرة بالمسئولية ••• » (لينين ، خطتا الاشتراكية ــ الديمقراطية فى الثورة الديمقراطية ، دار التقــدم ، موسكو ، ص ٤٣) •

ويبدو أن انغمار عبد الله باذيب فى معمعان الحياة الصحفية ــ كاتبا ، ورئيس تحرير ــ واتخاذها منبرا علنيا لنشاطه العام والحافل ، مما جعل منها أهم مرجع وثائقى لكتاباته السياسية ، وجعل منه الكاتب ــ الصحفى التقــدمى الأول والرائد ــ يبدو أن ذلك يعود ــ بالدرجة الأولى الى تأثره أيضا برواد الاشتراكية العامية فى هــذا الصدد •

كانت الصحافة فى اليمن ــ قبل باذيب ــ أما موالية للحـــكام ، مستعمرين أو أئمة ، أو سلاطين ــ أو معرضــــا لتقــديم الشكاوى

« والعرضحالات » اليهم ، أو وسيلة لطرح المطالب الاصلاحية المتواضعة التى لا تمس طبيعة النظام السياسى القائم • وكانت لغتها — فى الأغلب الأعم — ركيكة هزيلة •

ومع دخول باذيب مضمار الصحافة حــدث تحول نوعى فيها شكلا ومحتوى ، يمكن رصـــد أبرز خطوطه وملامحه فيما يلى :

١ — مزج باذيب الأدب بالصحافة ، وحول الصحافة الى فن جميل من فنون الكتابة ، وحول لغـــة السياسة الجافة المعقدة الى لغة سياسية أدبية محببة ، بل والى لغة بسيطة سهلة قريبة المنال ، يفهمها المثقف والجاهل ، المتعلم والامى ، وهى مع سهولتها وبساطتها وسلاستها مهمة صـــعبة ممتنعة على من لم يؤت ما أوتى باذيب من المقــدرة الفنيـــة البارعة التى مكنته من امتلاك ناصية البيان ومن السيطرة على أساليب الكتابة الأدبية الرفيعة •

بذلك كان باذيب صاحب قلم أنيق رشيق ، مهــذب مدرب ، مصقول مطبـــــوع •

وبتطويعه الصحافة للأدب ، والسياسة للفن أوجــد — كما لم يفعل أحـــد من قبل — أدب الكتابة الصحفية • وكان بذلك الكاتب — الصحفى الرائد الأول فى اليمن •

عن فن الكتابة الصحيفة يقول باذيب :

« والذى يعوز الصحافة حقا هــو أن تثق بالشعب فالجاهل ليس كائنا مجردا من الاحساس والضمير ، وربما كان الجاهل اسمى شعورا من المتعلم الذى قـــد تفرض عليه مصالحه الخاصة أن يسلك مسلكا خائنا منحرفا • ولن يبقى هـــذا الشعب جاهلا ، لو أن هـــذه الصحف

حاولت أن تتخلى عن أساليبها الميتة المريضة ، وخاطبته بأسلوب يهز كيانه ، ويسرى الى أعماقه . فالأسلوب الذى يهز ، هو الأسلوب الذى يخلق وعى الجماهير » . ويقول :

« كلنا فى المعركة .. أنا الشاب الفقير .. وأنت العامل الكادح ، أو الموظف البسيط ، أو الطالب الحائر .. وهى الأم الحانية على أطفالها ، الساهرة على مستقبلهم .

كلنا .. والأجيال التى لا زالت فى رحم المجهول وضمير الغيب ، والأجيال الناشئة ، النابتة كالزهور المنطلقة كالقذائف فى المعركة ضد الضالين ، والمتاجرين بجرية الشعوب ، وأعداء الحياة والتقدم الانسانى .

انهم يتكاثرون ويزحمون الجو ، ويسممون كل شىء جميل وضرورى فى حياتنا .. الهواء .. النور .. الوعى !

انهم يسفرون عن وجوههم الكالحة الشائحة .. واحدا واحدا ، وخائنا خائنا !

لقد أصبحت لهم السنة تنطق .. وأقلام نرصد .. وتتعقب .. وتطارد الوعى الزاحف ، وتجوس خلال سطور الأحرار .

ولقد وجد الآن — كما وجد من قبل — من يقول للشعب فى قحة وصفاقة : ان مطالبه جرح للشعور ، وخروج على المألوف .. وان أمانيه غليان الى انطفاء ، وفوران الى همود .

وما أعجبها وأطرفها معركة ، معركة غير متكافئة أو متوازنة القوى .

هم الأكثر عددا وامكانيات ، ووراءهم مراكزهم وأعمدة تراثهم والقوى التى خلقتهم وأطلقتهم كالكلاب ينبحون الشعب ويعضون مكامن الحس والنبض من كيانه .

ونحن الفقراء لا نملك شيئا .. ماذا نقول ؟ بل نحن نملك كل شيء .. نملك ضمائرنا وأقلامنا .. ونملك كلماتنا وحواسنا .. ونملك الغـد والمصـير !

وسنكتب .. وسنكتب — وكما ينصحنا أحـد أبطـال رواية « الأم » — سنكتب « من أجل أن يكون للأحرف ضجيج » .. ونار تذيب جليد الرجعية ، ونور يفجر ظلام الخيانة .

من أجل أن نثبت لهم أن كلمتنا الجـديدة التى أذهلتهم ومزقت أنسجة احساسهم المرهف ليست حماسا غائما أو انفعالا موقوتا أو تمتمات طفولية ، وانما هى وعى جـديد ، وتفكير علمى معمق ، وطاقة نضـالية لا تنفـد .

ومن أجل أن يعرفوا أننا لا نلعب بالنار ونصيد الذباب ، واننا نعنى كل كلمة قلناها وسنقولها ونعرف نتائجهـا وآثارها .. واننا نقـدر المسئولية .

ولكننا مسئولون فقط أمام الشعب .. والتاريخ .

ولن يغرينا مال أو يفتننا بريق مركز أو سحر ثروة .

ولن يثنينا عن طريقنا تهـديد أو وعيد أو ارهاب .

وأخيرا .. من أجل أن يرسخ فى أذهان الجميع أننا طراز من النـاس جـديد .

ولقد بدأت المعركة منذ أمد بعيد .. ولن تنتهى قبـل أن يدخلها الشعب بجميع أسلحته » . (عبد الله باذيب ، كتابات مختارة ، الجزء الأول ، بيروت ١٩٧٨ ، ص ١٩ ، ١١٠ — ١١١) .

٢ — حول باذيب الصحافة اليمنية من صحافة خبر بارد الى صحافة رأى مثير ، قوامه التبشير والتنوير والتبصير والتثوير . يقول باذيب

فى هـذا الصـدد :

« كلا .. ان هناك من الصحفيين من لا يرى للصحف أية رسالة ، وهم يعتقدون فى ايمان مثير للسخرية أن دور الصحف مقصور على نشر الأنباء المجردة . وعلى القارىء أن يستخلص منها ما يشاء . أما هم فعليهم فقط أن ينشروا .

فهل هـذه هى وظيفة الصحف .. يا سادة ؟ أبدا لن تكون الصحف مجرد آلة صماء لتسجيل الأنبـاء ورصـد الأخبار ... ان الصحافة ليست تجارة الكلام المنضد ، وليست هى مهنة تجميل أمراض المجتمع ، وتزييف الواقع المعاش ، وليست هى صحافة « يا حبذا .. » التى تقرأها منذ مدة فى عـدن .

ورسالة الصحفى هى رسالة الانسان الواعى المسئول فى الحياة ، الانسان الذى يؤمن بقـوة الكلمة المطبوعة وأثرها فى تغيير الواقـع وتحريك الشعوب » . (المصـدر السابق ، ص ٢٠) .

٣ — حول باذيب الصحافة اليمنية من مهنة مكرسـة لخـدمة الاستعمار والطبقات والقوى الرجعية الاقطاعية والبرجوازية ، والمطالبة بهـذا القـدر أو ذاك من الاصلاحات التى من شأنها اطالة بقاء النظام السياسى القائم واستمراره فى هـذا الشكل أو ذاك ، الى صحافة وطنية تقـدمية تعالج قضية الوطن اليمنى كله ، سواء قضية تقرير مصيره الوطنى وانتزاع استقلاله السياسى ، أو قضية انعتاقه الاجتماعى من ربقـة القهر الطبقى الداخلى ، ومن ثم افساح المجال أمامه لتحقيق وحـدته الاقليمية والسياسية على أسـس تحـررية ديمقراطية .

وبذلك مزج باذيب فى مثلث هندسى متكامل رصين قضية التحرر الوطنى مع قضية التحرر الاجتماعى ، مع قضية الوحـدة اليمنية ،

ذلك المثلث الذى صهره فى شعاره الشهير : « نحو يمن حر ديمقراطى موحـــد » •

وعــدا ذلك فان باذيب أعطى كامل اهتمامه فى مجمــل كتاباته الصحفية للبعــد القومى العربى ، والبعــد الانسانى الأممى وربط بين القضية اليمنية عموما وبين هــذين البعــدين من منطلق ثورى تقدمى •

حول القضية اليمنية عموما يكتبباذيب :

« وهــذا الجزء الحبيب من الجنوب ، عــدن ، هــو مركز الاشعاع الفكرى فى الجنوب كله ، والصحف العــدنية تكاد تكون مصادر الوعى الوحيدة فى هــذا الجنوب الكبير • فان واقعنا الفكرى ، وهــو انعكاس للتكوين الاقتصادى وصورة للتنظيمات الاجتماعية التى نعيشها ، هــذا الواقع قــد أجــدب حتى الآن من مصادر أخرى ترسل الوعى ، وتبث المعرفة وتناضل من أجل ثقافة الانسان •

ومن هنا تنبع أهمية الصحف العــدنية ، وتتجسم مسئولياتها والتزاماتها نحــو الرأى العام فى الجنوب العربى • فماذا فعلت الصحف ؟ لقــد خضعت للواقع المتعفن بدلا من أن تصمد فى وجهه وتغيره ، وذابت فى القــوى الرجعية ، وغــذرت بتوجيهها الخاطىء الأوضاع الفاســدة الراهنة » • « الحياد ••• ولا شىء غير الحياد •• والحياد فى كل شىء •• حتى فى القضايا الوطنية ، وفى الأحــداث التى تهز كيان الجنوب وتشكل مصيره •• هــذه هى « سياسة » الصحافة العــدنية أمس واليــوم •• وغــدا !

وأقــول « غــدا » فى كثير من الارتباك •• لان الغــد للشعب عندما يملك كلمته ، والصحافة ذات السياسة الايجابية البناءة والدور القيادى النضالى فى حياة الجموع » • (نفسه ١٧ ــ ٢٨ ، ٤٢) •

وحول القضية القومية يقول : « اننى أعتقـد أن الأساس الوحيد الصحيح الذى يجب أن تقوم عليه القومية العربية هـو أساس العـداء للاستعمار والصهيونية والرجعية ، الأعـداء الحقيقيين للعرب فى كل مكان ، وان أى مفهوم آخر للقومية العربية هـو مفهوم خاطىء ومن شأنه أن يلحق الضرر بمصالح شعوبنا العربية » .

وحول الترابط بين القضية الوطنية والقومية والأممية ينبه الى أن « الخطر الشيوعى المزعوم » لا وجود له « الا فى أذهان المستعمرين وعملائهم الذين يتخـذون من مكافحة الشيوعية ستارا لاضطهاد الشعوب وكبت حرياتها ومحاربة أمانيها العادلة فى التحرر والتقدم والديمقراطية .

وعلى ذلك فان رفع راية مكافحة الشيوعية لا يخدم الا الاستعمار ، ولا يمكن أن يؤدى الى شىء سـوى تمزيق الجبهة الوطنية المعـادية للاستعمار على طول البلاد العربية وتعويق حركة التحرر العربى وتهديد المكتسبات التى أحرزتها شعوبنا العربية بأشد الأخطار .

... ولذلك فان موقفنا المعادى للاستعمار الأمريكى انما هـو موقف وطنى تمليه علينا مصلحة بلادنا .. واذا كانت سياسة موسكو تلتقى مع مثل هـذا الموقف فهـذا أمر مفهوم . انه يمثل الالتقـاء والتحالف الطبيعى بين الاشتراكية وحركة التحرر الوطنى فى كل مكان » . (المصـدر السابق ، الجزء الثانى ، ص ٨٢) .

٤ — حول باذيب الصحافة اليمنية من موقفها السلبى تجاه أحداث الوطن اليمنى ومن كل ما يجرى فيه بشكل عام الى موقف ايجـابى مسئول ، جعل منها صـحافة ثورية ، والى منفاخ حـداد — حسب تعبير لينين — .

« يصـــدر تشريع مثلا يسن عقوبات على الثورة والمحرضين عليها والقائمين بها • وتحاول الصحف ــ بطريقتها السلبية ــ أن تثبت أن هــذا التشريع لا ضرورة له ، ولا مبرر • فكيف تفعل ؟

تقول كلها بلسان واحــد ــ وكأنها تكتب بقلم واحــد ــ أن هــذا الشعب لم ولن يثور •• ؟ عجبا لمـــاذا ؟ هل جبل هــذا الشعب من طينة أخرى غير طينة الشعوب فى كل زمان ومكان • وكأن هناك شعبا لم يثر ، ولم يدفـــع الى الثـــورة ؟

وأى منطق علمى يسند ويبرر ما تقوله الصحف عن هــذا الشعب • لا علم • ولا منطق •

وكفى اهانة وتحقيرا لهــذا الشعب » ! كما كتب باذيب • (المصدر السابق ، الجزء الأول ص ٤٤ ــ ٤٥) •

٥ ــ حول الصحافة اليمنية من منبر لمخاطبة القلة الارستقراطية الواقفة على رأس المجتمع ، والتى لا تعنيها قضايا الشعب لا من قريب ولا من بعيد ، الى صحافة شعبية موجهة ــ أولا وأخيرا ــ الى جماهير الشعب العريضة من عمال وفلاحين وبرجوازية صغيرة ووسطى ومثقفين ثوريين ، والى القوى السياسية المعبرة عنها ، ومدافعة عن قضـــاياها المركزية فى التحرر الوطنى والاجتماعى ، والديمقراطية والتقــدم •

وفى هــذا الصـــدد يؤكد باذيب أن « الصحافة فى البلد فقــدت نقطة ارتكازها ، وان تغيرا ما يتفاعل فى أعماق الشعب ويوشك أن يفجر فى أعصابه وعيا جــديدا فتتفتح عيناه على واقعه المرير ويواجه الحاضر مواجهـــة جــديدة •

فثمة اليوم احساس عام مشترك بين كتل الشعب بأن الصحافة

بعيدة عنه ، وانها لا تمثله ولا تعبر عنه • وهـو يحس بذلك بفطرته الصادقة الصائبة ، يحس أن الصحف لم ترتفع الى مستوى ما يحلم به ولم تشاركه فى كفاحه اليومى من أجل الخبز والمـاء والكهرباء والحماية الاجتماعيـة •

انه يحس ذلك احساسا داخلية ، وان كان لا يستطيع أن يعبر عنه تعبيرا معللا ، وهـو يحس أكثر من ذلك أنه أصبح فى حاجة الى وسائل جـديدة للتعبير عن حاجاته وقضاياه •

والواقع أن الصحف لم تستطع بعـد أن تدخل حياة الجماهير فى الجنوب ، لم تستطع أن تلعب دورها القيادى فى توجيه هـذه الجماهير وتحـديد أهـدافها ثم دفعها نحو تلك الأهـداف بحرارة الاخلاص واندفاعـة الايمـان •

انها اما أن تتجنب مشاكل الشعب ، أو تتناولها تناولا سطحيا فاترا لا ينفـذ صـداه الى قلب القارىء ولا يلقى فى نفسه ظلا من تأثير •

وللصحف العـدنية فى ذلك أساليب عجيبة يخيل اليك أنها نسيج وحـدها بين جميع أساليب الصحف فى العالم • انها اذا أرادت مثلا أن تدعـو الى تحقيق مطلب طبيعى عادل صاغته فى أسلوب فاتر متخاذل لا حرارة فيه ولا نبض •ولا تنسى أن تنهى المطلب بمثل هـذه العبارة : « يا حبذا لو نظرت الجهات المختصة الى هذا المطلب بعين الاعتبار •• » •

أساليب ذليلة مهزيلة تعكس من حقيقة أصحابها أكثر مما يراد بها •• فهى تكشف مدى ما اشاعته « الظروف » من ضعف تسرب الى الأرواح ففتك بها وقتل لغة التعبير فيها » • (نفسه ، ص ١٦ — ١٧) •

٦ — اتخـذ من العمل الصحفى وسيلة توعية اجتماعية وسياسية ،

وتحضير للرأى العام الشعبى لتقبل واحتضان ومساندة العمل الحزبى ، وارتكز اليه — ضمن طرائق أخرى — من أجل تهيئة الطليعة القيادية المنظمة الواعية • ويبدو أن باذيب كان يستلهم فى هـذا الصـدد — وعلى نحو خاص — ذلك الدور الذى نهضت به « الأيسكرا » على يد لينين •

« ويقولون أيضا — أقصـد الصحفيين — أن البلد تخلو كليا من هيئات سياسية يمكن أن تساند الصحف وتضمن لهـا البقاء والاستمرار متى استهدفت للنكبات المـادية •

••• ولا أريد أن أثير جـدلا عقيما حول هـذا السؤال : « هـل يوجـد الحزب السياسى أولا أو الصحيفة ذات الرسالة ؟ » ولكنى أقول أن هـذه الدعوى لا سند لهـا من واقع الشعوب الأخرى التى عرفت الصحف المناضلة قبل أن تعرف الأحزاب السياسية • بل ان الصحف كانت فى تلك الشعوب حافزا لقيام الأحزب ، لانها استطاعت أن تخلق الوعى الجماعى الرشيد • والوعى الجماعى هـو الحلقة المفقودة فى كيان هـذا المجتمع •

••• وفى هـذه الظروف لا يمكن أن تنشأ أحزاب ما لم تتقـدم الطليعة الواعية فى هـذا البلد ، وهى ممثلة فى الصحف ، لخلق الوعى الجماعى ••• » • (نفسه ، ص ١٩) •

ولم يرحل باذيب — رغم أن رحيله كان قبل الأوان — قبل أن يشارك — تتويجا لنضاله الثورى — فى صنع مثل هـذه الطليعة التى يجسدها اليوم الحزب الاشتراكى اليمنى رافعة ودافعة وقائدة الشعب على طريق التحـرر والتقـدم والديمقراطية والوحـدة والاشتراكية والسـلام •

خطـاب عبـد الله باذيـب الصحفى(*)

لا تنتهى حياة أصحاب الرسالات الثورية بنهاية أجسادهم الفانية بطبيعتها ، وانما هى تستمر استمرار الرسالة التى دعـوا الناس اليها واستمرار النضال من أجل تحقيقها •

وعبد الله باذيب هو واحـد من أصحاب الرسالات الثورية هؤلاء الذين أفنوا حياتهم فى سبيلها ، وكتبوا لأنفسهم الخلود مع رسالتهم الخالدة أبدا •

ولست بصـدد الحـديث عن رسالة باذيب : رسالة الاشتراكية العلمية التى كان أول من رفع رايتها فى ربوع وطننا اليمنى ، واستحق بذلك حمل لقب « الرائد الأول » للفكر الاشتراكى العلمى فى هـذا الوطن ، فكيفية مجـدا أن الحزب الطليعى الذى ناضل العمر كله من أجل ايجاده ، الا وهـو الحزب الاشتركى اليمنى ، قـد اتخـذ من هذا الفكر أساسا له • وأخذ يشيد دولة من طراز جديد على هداه •

ما أنا بصدده هنا هـو ذلك المقال الهام والخطير ، الذى كتبـه باذيب فى فترة مبكرة من حياته ، والذى تكفى قراءته وحـده لاكتشافه ، واكتشاف أبعاد رسالته وغنى وتنوع مواهبه •

(*) نشرت فى « ١٤ اكتوبر » فى ١٩٨٧/٩/١٣ •

كتب انجلز عن صديقه انه « كان رجل العلم ... ولكن هذه الصفة لم تكن أبدا صفته الرئيسية ، فالعلم كان بنظر ماركس قوة ثورية محركة تاريخيا ... لان ماركس كان ثوريا قبل كل شيء . الاشتراك بهذا الشكل أو ذاك فى دك المجتمع الرأسمالى ومؤسسات الدولة التى أنشأها والاسهام فى قضية تحرير البروليتاريا المعاصرة التى كان هو بالذات أول من أتاح لها ادراك وضعها الخاص ومطالبها وادراك شروط تحررها ، ـ ذلك ما كان يشكل بالفعل رسالته فى الحياة . كان مفطورا على النضال ، ولقد ناضل بحماسه وعناد ونجاح لا يناضل بها غير القلة » . (ماركس ـ انجلس . منتخبات فى ثلاث مجلدات ، المجلد ٣ ، الجزء ١ ، دار التقدم ، موسكو ١٩٨١ ص ١٨٩٠) .

ولقد جبل عبد الله باذيب مناضلا . ولقد لعبت نشأته الكادحة فى جعل هذه السمة النضالية طبعا لا تطبعا . وأسعده الحظ بالتعرف على ماركس وانجلز ، ولينين عبر مؤلفاتهم التى كانت تأتيه من سوريا خاصة ، فصقلوا طبعه النضالى هذا صقلا ، وأحالوه الى سيف مشتعل بالثورة .

كان يمكن لباذيب أن يتفرغ للأدب ويدخله من أوسع أبوابه ويترك لنا فيه كنوزا لا تبلى حيث كان يمتلك موهبة أدبية مبكرة تجلت منذ اصداره مجلة « المستقبل » عام ١٩٤٩ ، وهو ما يزال فى السنة الأولى من دراسته الثانوية ولم يبلغ بعد حتى عمره العشرين .

وكان يمكن أن ينصرف لقضايا الفكر ويخوض معالمه باقتدار ، ويخلف لنا تراثا يضعه بين أساطين الفكر فى منطقتنا وعالمنا ، حيث كان يمتلك كل شروط المفكر وامكانياته وكل قدراته فى البحث والتأصيل والتعليل والاثراء .

غير أن طبع باذيب النضالى المتوقــد ، وروحه الثورية الملتهبــة وحساسيته اليومية المفرطة بقضايا شعبه ووطنه وانغماره فيها انغمارا بكل ذرة فى كيانه وبكل خلجة من خلجات فؤاده ، كل ذلك قــد حال بينه وبين التفرغ للأدب أو الانصراف الى قضايا الفكر •

لقــد كان أديبا مطبوعا ، ومفكرا موهوبا • ولقــد سخر مقــدرته الأدبية العالية وموهبته الفكرية النفاذة لخــدمة رسالته الثورية •

والمقال الذى أشرنا اليه ، والذى اكتسب به باذيب مكانة أدبية وشهرة سياسية لدى الرأى العام غير مسبوقتين ، ولا سيما بعــد أن قــدمته السلطات الاستعمارية الى المحاكمة بسببه فى ١٣ سبتمبر ١٩٥٥ وسط هياج شعبى لم تملك معه الا اطلاق سراحه مقابل « تعهد بحسن السير والسلوك لمدة خمس سنوات » ــ هــذا المقال هــو « المسيح الجــديد الذى يتكلم الانجليزية » والذى كانت صحيفة « النهضة » فى ١٨ــ٨ــ١٩٥٥ قــد نشرته له •

لقــد كانت منظمة الصحفيين اليمنيين الديمقراطيين لمــاحة وموفقة غاية التوفيق عندما كرمت هــذا اليوم الذى حوكم فيه باذيب بسبب هــذا المقال لتجعل منه يوم عيد للصحافة •

عن الدافع الطبقى والسياسى العميق الذى حمــل المستعمرين وعملاءهم على القاء القبض على باذيب وتقــديمه للمحاكمة يقول صديق عمره ورفيق نضاله أحمد سعيد باخبيرة : « وطفح كيل أولئك الحكام والعملاء حين نشر عبد الله مقاله بعنوان « المسيح الجــديد الذى يتكلم الانجليزية » ، وهــو مقال رد فيه على الكتابات التى برزت فى بعض الصحف فى تلك الفترة من نمو الحركة الوطنية (١٩٥٥) لتحرف الجماهير عن النضال من أجل أهــدافها الوطنية ، وتخــدر وعيها بدعوتها الى

عــدم الحقد على حكامها ومستغليها وان تتعايش معهم فى حب وتعاون ووئام .

لقــد تصــدى عبد الله لتلك الدعوات وكشف مراميها الخبيثة أمام الجماهير واشتمت السلطة وحلفاؤها بأنوفهم البوليسية الحساسة رائحة استثارة الصراع الطبقى فى ذلك المقال أكثر من أى مقال سابق له ، فبعثوا مخابراتهم للقبض عليه والتحقيق معه ، ليقــدم آخــر الأمر للمحاكمة بتهمة « اثارة الكراهية والعــداء ضــد الحكومة وبين الطوائف وطبقات السكان » — ، أى بتهمة الشيوعية » . (أربعــون يوما على وفاة القائد الوطنى والعمالى الخالد عبد الله عبد الرزاق باذيب ص ١٤) .

بادىء ذى بدء يوجه باذيب سياط نقــده فى مقاله الهام والخطير هــذا الى تلك النبرة المزيفة التى ظهرت فى الصحافة العــدنية ، وفى صحيفة « الجنوب العربى » بالذات ، نبرة التبشير بالمحبــة والسلام بين جميع الناس بمختلف طبقاتهم ، الغنى منها والفقير ، السائد والمسود ، والدعوة الى دفن كل « الأحقاد والخلافات فى قبور النسيان » حتى لتنساب كلماتها الى أذاننا ككلمات السيد المسيح فى عــذوبة ورنين :

أيها الناس : أيها القراء !

(باركوا لاعينكم) ! أحبوا بعضكم بعضا ! أنتم جميعا أخــوة ! انبذوا الخلافات والمهاترات ...

ولترتفع فى السماء تراتيل الصفاء والوئام !

وأسكتى يا صحف !

(.. وعلى الأرض السلام وفى الناس المسرة) .

والمجــد للمسيح الجــديد !! » .

بمثل هـــذه السخرية اللاذعة يبدأ باذيب تقريعه لدعاة السلم الاجتماعى والوئام الطبقى ، دعاة توحيد الصف بين الأعــداء ، وجمع الشمل بين الاخـــوة الأعــداء ، بين الرجعى والثـــورى ، بين حاملى رايات التقـــدم البيضاء وناشرى ملاءات التخلف السوداء .

هؤلاء الذين يوجهون خطابهم الى الناس كافة ، والذين يضعون أنفسهم فوق وخارج الطبقات مستعيرين من الأنبياء لغتهم وأسلوبهم ، هــؤلاء ليس لهم مكان فى عصر العلم والمعرفة والوعى الاجتماعى ، وهم ليسوا أكثر من مضللين ودجالين ، ذلك أنه « لا مكان فى عصرنا للأنبياء ، بل انك تستطيع بكل ثقة واعتداد أبناء عصر الذرة أن تصرخ فى وجه من يدعى النبوة : ــ لا نبى بعـــد محمد ، الى الجحيم أيهـا النبى المزيف » !!

نعم ونبى الصحافة العـــدنية مزيف ، يجب أن تكشف الأقـــلام عن حقيقته وتعريه من قـــدسيته الزائفة ، وتعرضه على الناس بلا وحى .. ولا نبوة .. ولا صليب » !!

ولا ينتظر باذيب حتى يقوم أحـــد بمثل هـــذا العمل ، وانمـــا يبادر هـــو الى كشف طبيعة هـــذه الدعوة الجـــديدة المزيفة ، دعوة نبى الصحافة العـــدنية المزور ، دعـــوة المسيح الجـــديد ، أو المسيخ الدجـــال ؟

« ان تلك الدعوات الحارة ، دعوات الاخاء والمحبة والسلام ليست مخلصة ، ولم توح بها السماء ! ولا يقف مدلولها عند حـــد الامتناع عن المهاترات الشخصية فى الصحف بين الخصوم فى المبدأ . ان هـــدفها البعيد هـــو اجتثاث جـــذور الخلاف المبدئى ذاته ، مجرد الخـــلاف الشريف بين ذوى المبادىء المتعارضة .

وهــدف آخر ، هــو خلق مقاييس جــديدة يبدو خلالها الجميع .. العمالقة والأقزام ، أصحاب المبادىء البناءة وغير البناءة على صعيد وأحــد ، وفى حجم واعتبار ومستوى وأحــد !

لمـــاذا ؟

اما أن يكون هؤلاء الدعاة بلا مبادىء أصلا فهم لا يرون مبررا للخـــلاف .

وعلى ذلك فهم منطقيون مع أنفسهم وهنيئا لهم هــذا البــال الخلى ، والعقل المتوكلى !!

واما أنهم يعتنقون مبادىء غير شعبية ، فهم لا يريدون أن ينزلوا بها الى أرض المعركة وجها لوجه وقلما لقلم مع خصومهم فى المبدأ ، لانهم يعرفون ضعف مبادئهم ويعرفون هزيمتهم مقــدما .

ولابد أنهم جربوا هــذا الخلاف مرة فى حياتهم ، وحصــدوا نتائجــه المريرة !!

اذن .. فليلبسوا مسوح الرهبان . وليحتموا وراء الدعــوات الاخــوية المغرية وليتخــذوا منها ستارا يخفى تفاهتهم — وتفاهــة المبادىء التى يمثلونها ، لعل الناس يصدقونهم ، فيبقون فى مأمن من لعنــة الشــعب » !!

وينبه باذب الى أهمية وخطورة رسالة الصحافة ، فهى « جهــاز الوعى الأول فى البلد » ولذلك ينبغى أن تكون مفتوحة أمام أصحاب المبدأ والقضية والا يساوى بينهم وبين من لا يجيدون غير المهــاترة الشخصية وبالتالى لا ينبغى أن يكبت « ويخمد صرير الأقــلام ويصبح

كل من يثير قضية مبدئية مهاترا وكل من يحاول الدفاع عن المبدأ الذى مزجه بحياته متهما باعادة المهاترة فى الصحف .. » .

وهناك خط فاصل بين الخلاف فى الرأى وبين المهاترات ، بين الصراع المبدئى ، والمنابزة بالألقاب ، بين النزاع القائم على اختلاف المناهج والعقائد والتهجمات الشخصية الرخيصة والمبتذلة ، بين الجـدل الفكرى الرفيع ، والمماحكات السياسية الحقيرة ، بين الايمان بقضية والدفـاع عنها بحرارة وحماسة والتخلى عن كل قضية وستر ذلك بالحملات الصحفية على أصحاب المبادىء .

ان ذلك ما لم تتنبه اليه الصحافة العـدنية . ولذلك فهى تخلط الحابل بالنابل وتلغى الحـدود ، وتسمى كل ذلك مهاترة فى مهاترة أو حتى مجرد اختلاف عادى فى الرأى ، « وهكذا تصبح خيانة الأوطان نفسها مجرد خلاف فى الرأى .. بل مسألة فيها نظر .. اننا نفهم أن يعبئوا قواهم ضـد كل من يحاول أن يقلب صفحات الصحف الى مسرح للعار ، والمهاترات بمعناها الحقيقى ، وهـو النيل من الأشخاص وتجريح حياتهم الخاصة وسلوكهم الشخصى .

أما أن يصبح الخـلاف الشريف ذاته فى نظرهم مهاترة صحفية .. وأما أن يطلبوا منا أن نتخلى عن مبادئنا ونصـدر صحفا لا عقيدة لهـا تنافح عنها ، ولا أهـداف ترسمها للشعب ، ولا رسالة توجيهية فى الحياة تتناول مشاكل الجماهير وقضاياها ، بدعوى أن ذلك كله قـد يثير المهاترات فى الصحف .. فلا .. وألف ألف لا !!

ومزقى يا أقلام الكتاب الشرفاء أقنعة النبوءة المزيفة .. » وصحافة بلا عقيدة ثورية ، وبدون أهـداف شعبية ، وبدون رسالة توجيهية فى الحياة ، وبدون معايشة لقضايا وهموم الجماهير ، هى صحافة غير وطنيـة .

ثم يخاطب باذيب الادعيا ، الدجالين من الصحفيين الذين يسخرون من ذلك كله ، ويضعون أنفسهم فوق وخارج الصراعات الطبقية والوطنية — يخاطبهم بلهجة تذكر بلهجة لينين فى مخاطبة خصومه : « نحن نسير جماعة متراصة فى طريق وعر صعب ، متكاتفين بقوة ، ومن جميع الجهات يطوقنا الأعــداء ، وينبغى لنا أن نسير على الدوام تقريبا ، ونحن عرضة لنيرانهم • لقــد اتحــدنا بملء ارادتنا ، اتحــدنا بغية مقارعة الأعداء بالذات ، لا للوقوع فى المستنقع المجاور الذى لامنا سكانه منذ البــدء لأننا اتحــدنا فى جماعة على حــدة وفضلنا طريق النضال على طريق المهادنة • واذا بعض منا يأخــذ بالصياح : هلموا الى هــذا المستنقع وعندما يقال لهم : ألا تخجلون ، يعترضون قائلين : ما أجهلكم يا هؤلاء ! الا تستحون أن تنكروا علينا حرية دعوتكم الى الطريق الأحسن ! — صحيح ، صحيح أيها السادة ! انكم أحرار ، أحرار لا فى أن تدعــوا حسب ، بل أيضا فى الذهاب الى المكان الذى يطيب لكم ، الى المستنقع ان شئتم ، ونحن نرى أن مكانكم أنتم هــو المستنقع بالضبط ، ونحن على استعداد للمساعدة بقــدر الطاقــة على انتقالكم أنتم اليه ، ولكن رجاءنا أن تتركوا أيدينا ، ان لا تتعلقوا باذيالنا ، أن لا تلطخوا كلمة الحرية العظمى ، ذلك لاننا نحن أيضا « أحرار » فى السير الى حيث نريد ، أحرار فى النضال لا ضــد المستنقع وحسب ، بل أيضا ضــد الذين يعرجون عليه » • (لينين ، ما العمل ، دار التقــدم ، موسكو ، ص ١٠ — ١١) •

ويحاول باذيب الذى اختار طريق النضال ، بينما اختار خصومه طريق المهادنة للمستعمرين والمستغلين الأجانب والمحليين ، رسم خطوط عامة لمــا يشبه « ميثاق شرف صحفى » تتجسد فيه مهمة الصحفى الحق على النطاق الوطنى والقومى والانسانى ، وتتداخل فيه القضية الوطنية والقضية الأممية فى كل وأحــد ، كما تتشابك فيه قضية التحرر الوطنى بقضية التحرر الاجتماعى تشابكا وثيقا •

يقول باذيب : « لا نستطيع أن نحب من يكرهنا ويمقتنا » .

ولا نستطيع أن نؤاخى من يفرض نفسه علينا ويدخل الى بلادنا بمشيئة الآخرين ! ولا نستطيع أن نمنح محبتنا لمن يستغلنا ويمتص دماءنا ويبنى سعادته على انقاض بؤسنا وشقائنا .

وتلك المصالح المختلطة التى تريدنا — يا سيدى المسيح — أن نبنى على أساسها المواطنة المنشودة ، انما هى مصالح متعارضة متناقضة ينعـدم بين أصحابها التكافؤ والتراضى .

والانسانية التى تدعـونا الىاعتناقها لا نستطيع أن ندخـل فى رحابها ، قبل أن نكون قوميين ، وقبل أن نتمتع بشروط قوميتنا كاملة .

اننا أشـد شوقا وحنينا من السيد المسيح الجـديد الى تحقيق تعاليمه الانسانية .

وأشد ايمانا منه بيوم آت لا ريب فيه يندمج فيه البشر فى وحـدة انسانية متماسكة .

ولكن متى ؟

يوم ينتهى استغلال الانسان لاخيه الانسان .

ويوم لا يكون هنـاك سـيد ومسود ، وشعوب محكومة ، ودول أجنبيـة حاكمـة .

ويوم لا تكون هناك سياسة مرسومة موجهة ضـد عروبتنا وكياننا القـومى ؟

ويوم نزول سياسة توطين وتغليب الاقليـات الداخليـة على الشعوب الأصيلة .

ويوم تتلاشى مصالح القـــلة الجشعة التى تطغى على مصالح الأغلبية الساحقة وتحركها وفقا لمشيئتها .

وبكلمـة واحـدة .. يوم تنقرض جميـع أشـكال الاسـتعباد والاستغلال ، وتحل محلها صورة المجتمعات الانسانية المتضامنة المؤتلفة المتساوية » . (عبد الله باذيب ، كتابات مختارة ، ج ١ ، عدن ، ١٩٧٨ ص ٩٤ — ٩٩) .

هـذه اللغة الأدبية البديعة التى كتب بها عبد الله باذيب مقاله الهام والخطير هذا (وكتب بها على الاطلاق) .. هذه الرؤى الوطنية والاجتماعية والانسانية العظيمة التى بثها فيه .. هذه الدرر الفكرية والروحية الثمينة التى نثرها على صفحاته .. ميثاق الشرف الصحفى هذا الذى تضمنه .. كل ذلك حدث فى ١٨ أغسطس ١٩٥٥ ، أى قبل أكثر من ثلاثين عاما ، يوم كان أفراد جيله من السياسيين من ذوى المشارب الأخرى ما يزالون يتهجون ألف ياء السياسة . ويبحثون فى قاموسها عن مفردات ملائمة يركبون بها حملا مفيدة .

ذلك كله يشهد بأن باذيب لم يكن كاتبا وأديبا ومفكرا فحسب ، وانما كان بالدرجة الأولى ثوريا من طراز ثوار القرن العشرين البارزين الذين تعتز اليمن بأنها انجبت أمثالهم وتؤكد بانجابهم انتماءها الى عصرها وعالمها .

ولقـد كانت الصحافة هى الميدان الذى صال وجال فيه هـذا الفارس المقـدام ، وهى الساحة التى تكشفت فيها جميع مواهبه ، وتجلت مجمل خصاله .

هل نقول : لقـد افتقـدناه ساعة الحاجة اليه ؟

أما أنا فأقول أنه مستمر فينا وبنا .. مستمر في حزبه وبحزبه .

غير أن ما علينا أن نذكره ونتذكره دائما أن عبد الله باذيب كان صاحب خطاب صحفي متميز ضمنه رسالته الثورية وأودعه كل مواهبه ومناقبــــه .

وما أشد حاجتنا اليوم الى تمثله واستيعابه ، والامتداد الخصب والخــلاق به .

« محكمــة باذيب » التى نصــببت للأصــنج منــذ ربع قرن(*)

فى ذكرى وفاة الراحل الكبير ، عبد الله باذيب ، الذى يتفيأ اليوم ظلال الشجرة الوارفة الطيبة التى كان أول من زرع نبتتها فى تربة اليمن المعطاء ، شجرة الاشتراكية العلمية ، التى يجسدها الحزب الاشتراكى اليمنى ، طليعة الثورة اليمنية المعاصرة ، فى ذكرى وفاته فى امكان المرء أن يقــدم سجلا كاملا بالنبؤات التاريخية التى بشر بها ، وغــدت اليوم حقــائق حيــة ، وبالأحلام الوطنية والاجتماعية النبيلة والعظيمة التى كرس لهــا حياته ، وأصبحت اليوم محور حياة الشعب ، ومدار نضاله ، وبالأحكام السياسية الصائبة التى أصــدرها فى هــذه القضية أو تلك ، وفى هــذا الشخص أو ذاك ، وأثبتت اليوم مدى صــدقها وصحتها .

ولأن المجال لا يتسع لذلك كله ، فأننا نكتفى بالاشارة العابرة الى حكم عبد الله باذيب فى « قضية عبد الله الأصنج » .

قــد تكون المناسبة لاختيار هــذه القضية بالذات ، هــو أن عبد الله الأصنج وقف فى يونيو ١٩٨١ فى صنعاء فى قفص الاتهــام ، حيث بسط الادعاء العام الوثائق التى تثبت عمالة وخيانة الأصنج ، وتآمره على الدولة ، وسعيه بالفساد بينها وبين الدول الأخرى ، الى

(*) نشرت فى « الشــورى » عام ١٩٨١ .

آخر ما جاء فى قائمة الادعاء من تهم ، لم يملك عبد الله الأصنج فى آخر الأمر الا الأقرار بها ، طمعا فى الحصول على الرأفة .

وبقطع النظر عن الملابسات التى دعت الى تقـديم الأصنج الى المحاكمة فى جرائم كان معروفا منذ وقت مبكر أنه ضالع فى أكثر منها ، وبقطع النظر عن الحكم الذى سيصدر فى حقه ، والذى كان من المفروض أن يصـدر منذ حين ، وأيا كانت المناورات والضغوط الخارجية التى تمارس من أجل تخفيف الحكم عليه ، فأن ما يهمنا هنا هـو حكم الشعب اليمنى عليه ، الذى رأى فيه منذ زمن بعيد مجرد دسيسة استعمارية ، وعميل دولى ، أحسنت دوائر الاستخبارات الانجليزية تدريبه وتأهيله قبل أن تلتقطه وكالة الاستخبارات الأمريكية ، وامتداداتها فى المنطقـة العربية ، وتجعل منه أداة من أدواتها العاملة والمتفانية فى خـدمتها .

ولقـد كان عبد الله باذيب أول من أماط اللثـام عن حقيقة الأصنج ، وأول من عراه أمام الرأى العام ، وأول من أجرى له عـدة محاكمات علنية عبر الصحافة ، ومن ثم أول من وضعه فى قفص الاتهام ، وأصـدر عليه باسم الحركة العمالية ، والحركة الوطنية ، والشـعب اليمنى ، الحكم القاطع بالعمالة والخيانة والتآمر على الحركة العمالية والوطنية وأهـداف الشعب اليمنى فى التحرر والتقـدم والوحـدة .

ولا نستطيع فى هـذه العجالة أن نقتبس كل أقـوال باذيب فى الأصنج ، ولا كل الحيثيات التى أوردها ، واستند اليها فى الحكم عليه بالضلوع فى العمالة للمستعمر ، والخيانة للشعب ، والتواطؤ مع كل قوى الظلام ضـد حركة التحرير الوطنى اليمنية .

لقـد لاحظ باذيب أن وجود الأصنج على رأس المؤتمر العمـالى كأمين عام له لم يكن بمحض الصدفة ، وانما بفعل عوامل خفية ، ومن

هنا تلك السياسة التى حاول فرضها عليه ، والتى استهدفت عزل الحركة النقابية والعمالية عموما عن الصراع الوطنى والاجتماعى ، وعن العمل السياسى من حيث هـو ، واحتباسها فى حـدود المطالب الاقتصادية البحتـة .

ومنذ مطلع ١٩٥٧ أصبح صوت باذيب الذى كان مهموسـا فى البداية عالى الرنين ضـد الأصنج ، وما برح يتصاعد ويشتد ، ويدوى ويجلجل طيلة الخمسينيات والستينيات ، حتى انتصرت « النقـابات الست » وتحقق الاستقلال الوطنى لجنوب البلاد ، وغـدا الأصنج مجرد واحـد من المنبوذين الذين لفظتهم الحركة الوطنية اليمنية ، وتلقفتهم الأيادى الاستعمارية والرجعية التى كانت تحركهم دائما ، وظلت تحركهم لبعض الوقت بغية اشغال الفتن بين شطرى اليمن ، قبل أن يقفوا أمام القضاء متهمين حتى بالتآمر على رؤساء الدولة فى شمال الوطن ، كما حـدث بالنسبة للأصنج ، وكما قـد يحـدث لغيره .

هكذا بدأ صوت باذيب يعلو ضـد الأصنج : « ان الحركة العمالية تواجه اليوم تهـديدا رهيبا ، تواجه مؤامرة ... ان أصحابها يريدون تجميد الحركة النقابية ، ويريدون للمؤتمر أن يصبح جهازا اداريا عديم الفعالية ، لا قـوة قائدة للعمال » . كما كتب فى صحيفة « الجنـوب العربى » عـدد ٨ـ١ـ١٩٥٧ . « ان عزل العمال عن السياسة لا يعنى الا شيئا واحـدا ، هـو الغاء الحركة الوطنية ، وشل مقاومة الشعب ، وتفتيت قـواه ، ذلك أن الطبقـة العـاملة الكادحة هى طليعة الحركة الوطنية » ـ كما كتب أيضا فى مقال فى صحيفة « الجنوب العربى » فى ١١ـ٦ـ١٩٥٧ حمل عنوان « لا وصاية على العمال » . وفى مقال بعنوان « اسمع يا أصنج » نبه باذيب الى أن الأصنج عجز عن النقاش الموضوعى ولجـأ الى شن حملة صحفية « غاشمة ظالمـة تنضح بالحقد ، وتقوم

على التهويش والأكاذيب والسباب » شأن ما يفعله اليوم المفلسون والمدسوسون على الحركة الوطنية ضـد كل صاحب قلم جاد • وأوضح أنه لن يدخل « معه فى مهاترات صحفية ، حتى يصرف الأنظار عن السياسة الغامضة التى يريد أن يقود اليها المؤتمر » وخاطب الأصنج بمثل هـذه اللهجة التقريعية : « اننا ننهض بمسئوليتنا الوطنية ، قبل أن يكون هـو شيئا يزكر » ــ حسبما جاء فى هـذا المقال الذى نشرته الصحيفة فى ٣ــ٧ــ١٩٥٧ •

ومنذ عام ١٩٥٩ تحول صوت باذيب ضـد الأصنج الى صرخـة عالية ، وادانة صريحة •

ففى مقال نشرته صحيفة « الطليعة » فى ٤ــ١٠ــ١٩٥٩ قال أنه آن أوان أن يعرف أن « الأصنج ليس فارس الوحـدة اليمنية ، وانما هـو ربيب الانفصاليين والانجليز ، وخائن الطبقة العاملة ، والطفـل المدلل لشركة خطوط عـدن الجـوية البريطانية » • أما فى المقال الذى نشرته الصحيفة فى ١١ــ١٠ــ١٩٥٩ فقـد نزع باذيب عن الأصـنج ورقة التوت التى كان يستر بها عورته : « ولنعـد الى الأصنج الذى دربه المستر جيمس يونج المستشار العمالى لوزارة المستعمرات على خيانة الحركة العمالية وتخريبها من الداخل ، وعلى السباحة مع التيار الوطنى لتضليله وحرفه عن مجراه الصحيح • ان الانجليز اذ يدعمونه ، وبكل الطرق ، انما يدعمون فى شخصيته « العنصر العـدنى » وغـلاة الانفصالية فى عـدن • أما لـماذا رست قرعة الانجليز على الأصنج ، وأخـذوا يؤثرونه على « الرابطة » فالسبب « أن الانجليز يطمئنون اليه ، ويثقون به ، ويعتمدون عليه ، ويريدونه أن يكون « طرفا قويا فى تقرير مصير الجنوب ، وقـوة المساومة فى يد الانجليز عند أية تسوية لقضية الجنوب ، وبمعنى آخر ليحفظوا التوازن عندما يضطر الانجليز

الى التفاهم مــع قادة الرابطة حــول الدولة « المستقلة » اياها » •
وبعــد أن ينفى باذيب ادعاء الأصنج الكاذب الايمان بالوحــدة اليمنية يؤكد أنه لا عمل له الا خدمة الاستعمار • « فلا يهم الأصنج الا أن تتحقق أهــداف الاستعمار فى الجنوب والشمال » وعن الدور المتواطىء الذى لعبته قيــادة المؤتمر العمالى ، وعلى رأســها الأصنج لاحباط انتفاضه أكتوبر ١٩٥٨ كتب عبـــد الله باذيب فى عــدد ٢٥ــ١٠ــ١٩٥٩ من « الطليعة » : « على أننا يجب أن نتعلم من انتفاضة أكتوبر ١٩٥٨ أكثر فأكثر أن لا أمل فى القيادات التقليدية الانتهازية الحاضرة التى أفلست افلاسا تاما ••• » وفى مقال نشره فى « الأيام » فى ١٠ــ١١ــ١٩٦١ كتب باذيب ردا على الأصنج أنه « يجب أن تكون الحركة النقابية ملكا للشعب كله ، وان يستخدم نفوذها لمصلحة الشعب كله ، وليس لصنع زعامة فردية ، أو مجــد شخصى !! » •

ويجمل بايذب الدور التخريبى الذى لعبه الأصــنج لصــالح الأوساط الاستعمارية ، يجمله فى مقال بعنوان « قيادة المؤتمر العمالى والحركة الوطنيــة » نشره فى « الأيام » عــدد ١٧ــ١١ــ١٩٦١ على النحــو الآتى :

« ولقــد كنت ولا أزال أعتقد أن الدور السلبى الذى تلعبه قيادة المؤتمر منذ زمن طويل هــو السبب الرئيسى فى تعثر الحركة النقابية ، وانتكاس الحركة الوطنية ، وتمزيق الصــف الوطنى ، وتمييع كفــاح الشعب ، ووضع جماهيرنا المناضلة تحت رحمة الأعــداء • وهـــو المسئول الأول عن نشر اليأس والحيرة وعــدم الثقـــة فى النفوس ، واخلاء الجــو للآخرين ممن لا يمثلون الشــعب تمثيلا صحيحا ، ولا يعبرون عن ارادته الحقة • وهــذا الدور لا يقتصر أثره على الجنوب ، بل يتجاوز هــذا النطاق الى الشمال ••• » •

تلك هى حيثيات الحكم الذى أصـــدره باذيب على الأصنج منذ أكثر من ربع قرن ، واعتبره مجرد دســــية وفرس رهان للمستعمر ، وخائن لقضية الشعب والوطن اليمنى ٠

وأيا كان الحكم الذى سيصدر على الأصنج من محكمة صـــنعاء ، فان حكم الحركة الوطنية عليه الذى أصـــدرته باسمها « محكمة باذيب » أقـــدم وأقـــوى وأبقى ٠

عبـد الله باذيب .. واتحـاد الأدباء والكتـاب اليمنيين

مرة أخرى أجـد نفسى مدعوا للحـديث عن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين . كانت المرة الأولى عندما انعقد المؤتمر التأسيسى — الأول للاتحاد فى فبراير ١٩٧٤ ، حيث كتبت موضوعا نشرته مجلة (الحكمة) فى عـدد فبراير — مارس ١٩٧٤ بعنوان (مؤتمر ادباء وكتاب اليمن والبحث عن العقل اليمنى) .

وكان الموضوع أشبه ما يكون برسالة تحية للاتحاد الوليد ، الذى اعتبرته كأول تجمع نقابى لكتاب وأدباء اليمن على مستوى اليمن كله ، بادرة خير وبركة ، وفاتحة قـد تقود الى ايجاد تجمعات نقابية وجماهيرية نوعية وموحـدة أخرى ، بل اننى اعتبرته — فى ظرف غاب فيه كل شكل نقابى أو جزئى ، أو جبهوى يرمز الى وحـدة اليمـن ، رمزا مبشرا بالوحـدة الثقافية والوطنية اليمنية .

وفى خط مواز مع رسالة التحية هـذه فأننى أعربت عن الأمل فى أن يرسى الاتحاد « حجر الأساس لصرح الثقافة الوطنية اليمنية ، التى تمثل مظهرا من مظاهر اليقظة الثورية ، والصحوة الوطنية » وأن يضع « خطة ثقافية موحـدة طويلة الأجل بمراحل قريبة ، ووسيطة ، وبعيدة ،

تقتحم بها آفاق المجهول ، فى زوايا اليمن ، ومكاتب الدنيا ، بحثا عن التراث اليمنى ، كخطوة حاسمة نحو تحقيقه وتقييمه فيما بعد ، وسعيا نحو العثور على « العقل اليمنى » ونحو الالتقاء بالذات اليمنية المفقودة عبر العصور ، ونحو الخروج من حالة الاغتراب التاريخى ، ونحو العودة الى التراث الوطنى المهجور ، ونحو تقمص شخصية اليمن التاريخية والحضارية العريقة التى خرج اليمنيون من اهابها منذ قرون ، ونحو الانطلاق من هـذه الاصالة المكتشفة والمتجسدة والباقية ، ونحـو تجـديد الذات ، ونحو المعاصرة ، ونحو تحقيق الشخصية الوطنيـة اليمنية الحـديثة ، بكل ملامحها الثقافية والحضارية ، وبكل أبعادها القومية والانسانية » الى آخر ما جاء فى هـذا المقال ــ التحية •

واظهارا لمدى الاحتفاء والتكريم لهـذا الاتحاد ، وابرازا لمدى أهميته ، واعرابا عن الآمال المعلقة عليه ، فأنني كتبت موضوعا آخر فى ذات الفترة حول الاتحاد نشرته مجلة « روز اليوسف » القاهرية •

وقـد عجب بعض الرفاق حينها من حماسى الشديد لاتحاد تجاهلت اللجنة التى حضرت له أسماء أدباء وكتاب لامعين ، كما تجاهلته اسمى ــ فى الوقت الذى كانت فيه مقالاتى لا تنقطع عن مجلات القاهرة المقرؤة فى اليمن وفى كل الأرض العربية ، كالطليعة ، والكاتب ، وروز اليوسف ، ودراسات اشتراكية ــ وفى الوقت الذى بعثت فيها برأيى مكتوبا حول أهمية هـذا الاتحاد الى الجهة المنظمة لمؤتمر الأدباء والكتاب اليمنيين ، والتى ذكرت هـذا الرأى ونشرته فى مجلة « الحكمة » ــ لسان حال اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ــ ولكنها نسيت أو تناست أن توجـه دعوة لصاحبه لحضور المؤتمر ، بينما وجهتها لطلبة كانوا مما يزالون يدرسون فى الجامعات والمعاهـد المصرية ، واعتبرتهم أعضاء فى الاتحاد ، حتى بدون أن يلبوا الدعوة ويحضروا المؤتمر التأسيسى للاتحاد !

ولكن هؤلاء الرفاق الغيورين الذين عجبوا لحماسي الشديد لهـذا للاتحاد واشادتي به ، وكتابتي عنه ، وتوجيه التحية له ، ولرئاسته ، وأمانته العامة ، رغم تجاهل اللجنة التي أعـدت له الأسماء معروفة في عالم الأدب والكتابة ، وتجاهلها لكل من لا يروق لهـا ، أدركوا في ذات الوقت أنني أصـدر فيما أفعل عن تجرد ونكران ذات ، وعن أمل صادق ، وأمنية طيبة ، في أن يكون الاتحاد عند الآمال التي علقتها عليه أو أن يتحرك في ذات الاتجاه الذي أمل آخرون أيضا في أن يمضي نحوه .

لقـد تذكرت ذلك كله ، عندما وجـدتني مطالبا بالرد على الأسئلة التي طرحتها على صحيفة « ١٤ أكتوبر » — كما طرحتها على آخرون من الكتاب والأدباء بمناسبة التحضير لانعقاد المؤتمر الثاني للاتحاد ، والتي كان نصها : « كيف تقيم تجربة اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين منـذ المؤتمر التأسيسي الى اليوم ؟ ما هي القضايا التي تطرحها على المؤتمر الثاني للاتحاد ، والذي يقال أنه سينعقد في صنعاء في أكتوبر القادم ؟

لم يتيسر لاجابتي أن ترى النور حينئذ . ولست مطالبا باعـادة تسجيلها . غير أنني قـد أكون مطالبا — بالدرجة الأولى — بعرض وجهات نظر من سبقوني الى ذلك .

يتحتم الوقوف أولا عند تقييمات ميدانية وحية طرحت من أوساط حزبية وثقافية بعيد انعقاد المؤتمر الأول مباشرة ، وهي تقييمات جاء سير نشاط اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين ليؤكد مدى صحتها ، ومن هنا أهمية اعادة التذكير بها ، حتى يفيد منها الجميع .

فقـد جاء في هـذه التقييمات التي عبرت عن رأي عبد الله باذيب التي نشرتها نشرة « اتحاد الشعب » الناطقة باسم « الاتحاد الشعبي الديمقراطي » في عـدد يناير — فبراير ١٩٧٤ تحت عنوان « مؤتمر بلا

هـوية ! » أن مؤتمر الأدباء والكتاب اليمنيين ، وما تمخض عنه ، وانبثق منه ، لم يكن هـو « الاطار الطبيعى الذى يوحـد المتعاملين بشرف مع القلم على أرض اليمن جنـوبها وشمالها » والأداة التى بواسطتها يمارسون دورهم الكبير فى حياة مجتمعهم فى هـذه المرحلة الهامة التى تجتازها الثورة — الانتصار فى الجنوب ، والثورة الانتكاس فى الشمال وما كان « بالمستوى الذى ينتظره الشعب اليمنى المناضل من أجـل تحرره الوطنى ، والاجتماعى ، ووحـدته الديمقراطية من مؤتمر يفترض أن يجمع أبناءه المناضلين بادمغتهم وأقلامهم ... » وحتى « البيـان والقرارات الصادرة عن المؤتمر » فأنها « آثرت الهروب وراء العبارات العامة الغائمة ، متحاشية اتخاذ قرارات واضحة من القضايا المصيرية التى تواجه الشعب اليمنى فى صراعه مع قوى الاقطاع والرجعية المحلية وركائز الاستعمار الجـديد فى المنطقة » .

وبذلك فأن المؤتمر ما كان « ليعبر عن الأديب اليمنى المرتبط بكفاح شعبه ، وكأنه كان انعكاسا حتميا لطبيعة تركيب المؤتمر ، حيث سادت « اللملمة » ووضع الصالح والطالح جنبا الى جنب ! فلقد كان مما يشد الانتباه ويثير التساؤل والاستغراب ان من بين من دعـوا كأعضـاء عاملين فى المؤتمر أسماء غريبة عن الالتزام للثورة وللتغيير الاجتماعى التقـدمى ، غريبة عن الالتزام للطبقات الكادحة ، للجماهير اليمنيـة العريضة » بينما « جرى اغفال أسماء أساسية فى عالم الكلمة الشريفة الحرة والجريئة فى اليمن ، أسماء قارعت الاستعمار والرجعية والانتهازية منذ فجر الحركة الوطنية ، وفى مراحل تطورها المختلفة » .

ونبهت النشرة الى أنه اذا كان مفهـوما أن يحـدث مثل هـذا التصرف فى ظـل نظام متخلف فأنه غير مفهوم أن يحـدث فى ظـل نظام تقـدمى : « ولقـد يكون هـذا الأمر ، أى أقصاء الملتزمين لقضية

الشعب ، وادناء الغرباء عنها ، فى مؤتمر الأدباء والكتاب ، قد يكون هذا الأمر مفهوما فى ظل نظام لا يربط قضايا السياسة والثقافة بقضية الصراع الطبقى ، ولم يحدد لنفسه انحيازا معينا فى هذا الصراع ، أما أن يحدث هذا فى اليمن الديمقراطية ، فهو مما لا يمكن فهمه أو تفسيره » !

وتوضح النشرة أنه ليس مطلوبا أن يكون اتحاد الأدباء والكتاب ذالون سياسى واحد ووحيد ، وذا صبغة تميل به جهة اليسار ، ولكنه ليس مقبولا أيضا أن يطغى عليه لون سياسى قاتم ، وان يكون ذا صبغة تميل به جهة اليمين • وما هو مطلوب ، أو ما كان ينبغى أن يحدث أن يكون الاتحاد تجمعا نقابيا ديمقراطيا ، وانعكاسا صادقا وأمينا للخارطة الأدبية والثقافية فى اليمن التى تتشابك فيها كل الخطوط والألوان الفكرية ، وأن يكون ذلك ساحة من ساحات الصراع بالكلمة من أجل انتصار الألوان الخضراء على الألوان الداكنة ، ومن أجل الانتصار لقضايا الشعب على أعداء تحرره ووحدته وتقدمه ، حيث جاء فيها بهذا الصدد : « اننا لا نقول أن الكتاب والأدباء الشرفاء هم فقط أولئك المنتمون للتنظيمات السياسية الديمقراطية ، أو الملتزمون عقائديا لمذهب نظرى واقتصادى معين ، ولا نقول أن المشاركة فى اتحاد الكتاب والأدباء ، أو مؤتمر الكتاب والأدباء ، يجب أن تقتصر على الكتاب والأدباء الحزبيين ، ولا مكان للكاتب أو الأديب المستقل ، اننا نقول هذا لسبب بسيط ، وهو أنه لو قلناه سنكون أول من يتعارض مع المفاهيم الماركسية التى نستهدى بها ، ولكننا نقول أنه من غير الطبيعى ، ومما لا نجد له جوابا مفهوما ، ان تحجب عضوية المؤتمر عن كتاب وأدباء يمنيين عرفوا بكتاباتهم ومساهماتهم فى حقول الصحافة والأدب والتأليف والترجمة ، وواكبوا ولا زالوا يواكبون الحركة الوطنية اليمنية ، ويخدمون أهدافها ، ويبشرون بآفاقها ، سواء فى ظل الاستعمار

البريطانى ، والحكم الأمامى سابقا ، أو من أجل تدعيم مسيرة الثورة الوطنية الديمقراطية فى اليمن الديمقراطى ، واستعادة وجه الثورة فى اليمن الشمالى حاليا ، فى حين حظى بعضوية المؤتمر « كتاب وأدباء » لم يحس الشعب اليمنى فى يوم من الأيام ، لا سابقا ، ولا حاليا ، بوجودهم الى جانبه فى نضاله ومعاركه مع قوى الاستعمار والرجعية ، أو مشاركتهم له فى همومه وآلامه • وهم فى أحسن الأحوال ممن يسبحون مع التيار ، فأن كانوا قاطنين فى الجنوب ، أى فى ظل نظام تقدمى ، غالبوا عواطفهم ، كلما اضطرتهم الى ذلك مناسبة ، فجاوزا هذا النظام فى الحديث — مجرد الحديث — عن الثورة ، والجماهير الفقيرة ، بل وعن الاشتراكية ، اذا لزم الأمر ، وان كانوا قاطنين فى الشمال ، أى فى ظل نظام رجعى ، لم يجدوا غضاضة فى أن يغمضوا العين عن اضطهاد الشعب ، وخنق حرياته ، وملاحقة أحراره ، وربط البلاد بعجلة التبعية للامبريالية ، وتحويلها الى جسر عبور للمؤامرات السافرة والمقنعة على اليمن الدمقراطية » •

ولاحظت النشرة أن المؤتمر — تحت تأثير العقلية الديماجوجية التى وجهت أعماله — تجاهل ما يدور فى الوطن الأم من صراع من أجل استكمال السيادة الوطنية ، وتقويم مسيرة الثورة ، وتحاشى أن يقول كلمة واحدة حيال ذلك كله ، بينما قفز الى الحديث عن عسير ونجران بدون ذكر اسمهما ، داعيا الى تحريرهما ، قبل تحرير الوطن الأم ، وقبل انتزاع ارادته وحريته من قبضة ذات العدو التاريخى ، وقبل توحيد الوطن اليمنى فى يمن ديمقراطى موحد ، معبرا بذلك عن النزعة الطفولية والهروبية التى تحكمت فى وضع قراراته وبيانه ، حيث تقول النشرة حول ذلك : « لقد تحدثت القرارات عن الأراضى المغتصبة والمحتلة من الوطن اليمنى ، ولكنها لم تتحدث عن الأرض المستقلة والمحررة من هذا الوطن ، وما يدور فيها وما يجرى من صراع بداخلها ،

والقضايا التى تواجهها ، ودور الأديب الكاتب فى ذلك كله ، وأين يجب أن يكون موقفه : هل الى جانب الجماهير الشعبية اليمنية ، وقواها الخيرة فى الشمال والجنوب ، أم فى الجانب الآخر ، أم على الحياد ؟ !! » .

ولاحظت النشرة أنه رغم أن قرارات المؤتمر تحـدثت عن ضرورة احياء التراث الا أن فقـدان المنهج العلمى فى البحث وسيادة العقلية المثالية ، — كما تجلت فى المؤتمر وما انبثق عنه — لن يساعدا على تقييم هـذا التراث تقييما صحيحا ، وعلى نبـذ الردىء منه ، والافادة من الجيد فيه ، حيت تقول : « وتحـدثت القرارات عن ضرورة الاهتمـام بالتراث ، ولكن الحـديث عن التراث يعنى فى ضـوء المفهوم العلمى التقـدمى احياء وتطوير الجيد والمشرق والمعبر عن الشعب فى هـذا التراث . وعلى ذلك فأن هـذه المهمة لا ينهض بها الا أولئك الكتـاب والأدباء والمثقفون الواعون لهـذه الحقيقة ، الملتزمون بهـذا المفهوم ، المرتبطون بالنضال الوطنى والاجتماعى للشعب اليمنى من أجل الانعتاق من ربقة التخلف والاستغلال . أما الذين يفصلون بين المهام الثـوريه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبين دور الأدب والكلمة المكتوبة ، والغرض من احياء التراث ، فهم فى نهاية التحليل ، انما يعكسون انفصالهم عن ماضى وحاضر نضال الشعب اليمنى بقواه الطليعية ، وجموعه الواسعة عن تضحياته ، عن اماله ، وطموحاته ، فى غـد أفضل ، ومستقبل مشرق ، فى بناء مجتمع جـديد ، ويمن ديمقراطى موحـد » .

وتختتم النشرة تقييمها لأعمال المؤتمر الأول لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين بقولها : « لقـد كان الجميع فى شك من جـدية مؤتمر « سلطة » كهـذا . وكان هـذا واضحا فى معظم ما كتب واذيع وقيل حول المؤتمر ، قبيل انعقاده مباشرة ، وخلال فترة انعقاده ، حيث انعكس ذلك فى كثير من المقالات والتعليقات التى نشرت فى « ١٤ أكتوبر » و « الثورى »

و « الشرارة » وغيرها من الصحف المحلية وفى بعض البرامج الاذاعية » بل انعكس ذلك أيضا فى كلمتى « عبد الفتاح اسماعيل وعبد الله باذيب فى حفلى افتتاح واختتام المؤتمر نفسه ، واضطر الجميع الى أن يشددوا بشكل خاص على أن يعيش المؤتمرون واقـــع بلادهم وشعبهم وان لا يحلقوا فى الضباب ! وقـــد تأكدت الشكوك ، وما كان يمكن الا أن تتأكد ، لأنها لم تكن بدون أساس » !

وفى تقييمها لنتائج أعمال هـــذا المؤتمر الأول للأدباء والكتـــاب اليمنيين الذى انعقد ما بين ٢١ — ٢٤ فبراير ١٩٧٤ فى عـــدن كتبت مجلة « الثقافة الجـــديدة » بلهجة نقـــدية لم يؤثر عليهـــا احتفاؤها بالمؤتمر وتوجيه التحية له بمناسبة انعقاده ، حيث جاء فى عـــدد مارس ١٩٧٤ منها : « ولم يخل المؤتمر مع الأسف من بعض السلبيات الخطيرة . ممـــا أدى الى استبعاد عـــدد من الكتاب والأدباء ، ممن عرفوا بالعطاء والانتاج الفكرى التقـــدمى ، عن المؤتمر ، بينما دخله اناس ليسوا كتابا أو أدباء . ويمكننا أن نجـــد تفسيرا لذلك فى الاتجاه الذى ســـاد التحضيرات للمؤتمر ، والذى كان يرمى الى سيطرة الأدباء والكتاب «اللامنتمين » سياسيا على المؤتمر ، والحـــد من حضور العناصر ذات الالتزام التقـــدمى . وقـــد نجح فعلا هـــذا الاتجاه فى أن يكون هو الاتجاه الغالب . اننا نعتقد أن هـــذا الاتجاه خاطىء وضار ، ولا ينسجم مع مصلحة الثورة ، ومعطيات الواقع فى بلادنا ، ولا يخـــدم قضـــية الثقافة الوطنية التقـــدمية التى ننشدها . ونحن فى ذلك لا نصـــدر عن أى تعصب سياسى ، ولا نحب أن نفرض على جميع الأدباء والكتاب أن يكونوا حزبيين ، بل اننا نعتقـــد أن الكثيرين من الأدباء والكتاب « اللامنتمين » يمكنهم أن يسهموا فى اغناء الثقافة الوطنية ، ويمكنهم أن يواكبوا بهـــذا الشكل أو ذاك ، والى هـــذا الحـــد أو ذاك ، قضيه الثورة فى اليمن ، ولكننا ننطلق من مصالح مسيرة الثورة فى بلادنا

بجميع جوانبها الاقتصـــادية والسياسية والاجتماعية ، هى مسيرة يقودها فعلا ، ولا يمكن أن يقودها ، الا الملتزمون بالفكر التقـدمى . ان السلبيات والنواقص التى تحـدثنا عنها تفرض على جميع الأدباء والكتـاب اليمنيين ذوى الالتزام السياسى التقـدمى أن يستخلصوا الدروس الضرورية من تجربة المؤتمر ، وان يوحـدوا ويكثفوا جهودهم من أجل عزل الاتجاهات الخاطئة ، وسيادة الفـكر التقـدمى » . (ص ١١٢ — ١١٣) .

لقـد تعمدنا أن تسترجع هـذه التقييمـات التى عكست رأى عبد الله باذيب أيام كان وزيرا للثقافة والسياحة ، لا لقيمتها التاريخية والوثائقية فحسب ، وانما أيضا لقيمتها الحضورية الحية والتى لم يفقدها مضى حوالى أربعة عشر سنة من انعقاد المؤتمر الأول لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين حيويتها وأهميتها ، وانما زادها حيوية وأهمية .

وغـداه انعقاد المؤتمر العام الرابع للاتحاد لا يملك أى كاتب وأديب جاد ، وحريص على بقاء الاتحاد ، وتقـويم سلبياته ، ووضعه فى المكانة التى تليق به وبكل منتم الى مصاف الأدباء والكتاب الحقيقيين ، لا يملك الا أن يتوقف أمام هـذه التقييمات الموضوعية المبكرة التى جاءت رحلة الاتحاد منذ فبراير ١٩٧٤ والى اليوم مصداقا على مدى صحتها وسلامتها ، والا أن يستأنس بها ، وهو يقـدم ملاحظاته النقـدية على أوضاع وتركيب وسيرة وأعمال الاتحاد خلال هـذه الفترة الطويلة ، ثم وهـو يضع الحلول لاخراج الاتحاد من المـأزق الضيق الذى وجـد نفسه فيه منذ لحظة الميلاد ، وقبع فيه — دون أمل أو قـدرة أو رغبة فى الخروج منه .

ليس مطلوبا منا هنا أن نقوم بعملية جرد وحساب لأعمال الاتحاد

خلال هذه الفترة فذلك ما ينبغى أن يتم من قبل كل من يهمه أن يكون للأدب والأدباء كلمة مسئولة وملتزمة ازاء قضايا الشعب المصيرية : قضايا التحرر والتقــدم والديمقراطية والوحــدة والاشتراكية • ولنا فى عبد الله باذيب عبرة •

عبـــد الله باذيب .. والوحـــدة اليمنيـــة

كانت قضـية الوحـدة اليمنية واحـدة من أبرز القضـايا التى ارتبط بها نضال عبد الله باذيب منذ اقتحم ميدان الحياة العـامة فى الخمسينيات ، وبالذات منـذ عام ١٩٥٤ ، الى يوم رحيـله فى ١٦ أغسطس ١٩٧٦ .

كانت تسمية « الجنوب » أو « الجنـوب الكبير » أو « الجنـوب العربى » هى التسمية المرادفة التى كان يستخدمها فى مبدأ الأمر قاصدا بها اليمن ، قبل أن يثبت التسمية الأخيرة فى جميع كتاباته غير عابىء بما يترتب عليها من عنت أو قهر من قبل قـوى الاستعمار والقـوى الانفصالية الضالعة معه .

بل ان باذيب كان أبرز قلم تصـدى لدعاة الانفصالية العـدنية ، والجنوبية ، ودعاة إقامة دولة تابعة للاستعمار فى جنوب اليمن باسم دولة « اتحاد الجنوب العربى » .

على أن باذيب كان يربط قضية الوحـدة اليمنية ربطا محكمـا

بقضية التحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى ، وقضية التحرر من الحكم الاستبدادى الاقطاعى فى اليمن .

كانت الوحـدة هى الضلع الثالث لمثلث هندسى تعبر عنه المعادلة التالية : التحرر الوطنى من الاستعمار ، التحرر السياسى من الاستبداد ، الوحـدة اليمنية الديمقراطية .

أما الأداة النضالية التى ارتأى باذيب أنها الكفيلة بتحقيق هـذا المثلث الهندسى الرائع فهى الجبهة الواسعة .

تلك هى عناوين كفاح باذيب خـلال الخمسينيات حتى تأسيس تنظيمه « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » فى ٢٢ أكتوبر ١٩٦١ ، والتى فصلناها فى كتابنا « الخروج من نفق الاغتراب وأحـداث ثورة ثقافية فى اليمـن » .

وجاء « الميثاق الوطنى » لهـذا التنظيم والذى توج بشـعاره « نحـو يمن حر ديمقراطى موحـد » ليضع الصيغة الأكثر تبلـورا لجمل أطروحات باذيب المتعلقـة بالتحرر الوطنى من الاستعمار ، والتحرر السياسى من الاستبداد ، والوحـدة اليمنية الديمقراطية ، حيث جاء فيه : « يناضل « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » من أجل بناء يمن جـديد حر موحـد يسير فى طريق الديمقراطية والسلم » .

وتضمنت المـادة الأولى من جملة ما تضمنته الدعوة الى « الكفاح بحزم ضـد الاستعمار وعملائه فى الجنوب اليمنى المحتل « عـدن وما يسمى بالمحميات » من أجل التحرر الوطنى التام والوحـدة اليمنية » بكل ما يعنيه ذلك من « النضال من أجل حـق شعبنا فى الجنوب فى تقرير مصيره فى جـو حر ، وبعيدا عن أى نفوذ أجنبى » ومن « ادانة

ومقاومة المشاريع الاستعمارية الهادفة الى تثبيت التجزئة ، واطالة أمد الاستعمار فى المنطقة مثل مشروع الحكم الذاتى المزعوم لعدن وما يسمى باتحاد امارات الجنوب العربية » .

كما تضمنت المادة الثانية من جملة ما تضمنته الدعوة الى « الكفاح بحزم ضد الاستعمار والاقطاع والرجعية وعملائهم وأعوانهم ، من أجل صيانة استقلال الشمال (اليمن المستقل) واقامة حكم وطنى ديمقراطى يعبر عن ارادة الشعب ويخضع لرقابته » بكل ما يعنيه ذلك من ضرورة « انهاء الحكم الفردى المطلق كتمهيد لاجراء انتخابات عامة لانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستورا ديمقراطيا يضمن حريات الشعب فى التنظيم ، وحقه فى حكومة مسئولة أمام مجلس نيابى منتخب انتخابا عاما مباشرا » .

أما المادة الثالثة فقد شددت على أهمية « النضال من أجل دعم وصيانة وحدة كفاح شعبنا اليمنى ، واقامة جبهة وطنية واسعة على أسس ديمقراطية وذلك عن طريق :

(أ) تأكيد مبدأ الوحدة اليمنية قولا وفى النشاط العملى .

(ب) شجب جميع الشعارات والدعوات المضللة وغير الموضوعية .

(جـ) فضح ومحاربة جميع التيارات الانقسامية والاتجاهات اليمينيه فى صفوف الحركة الوطنية عموما ، والحركة العمالية بوجه خاص » . (ص ١١ — ١٥) .

لم يكن سهلا قيام جبهة وطنية عريضة على النحو الذى أراده باذيب . ومما زاد الأمور تعقيدا ذلك المناخ العدائى للشيوعية الذى ساد المنطقة العربية مع نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات ، وغمر الساحة اليمنية ، مما دعا باذيب الأن يقول فى حديث مع صحيفة

« الأيام » العـدنية فى ٢٦ـ٩ـ١٩٦١ : « انهم يهاجموننا بتهمـة الشيوعية لمجرد أننـا ندعـو الى الوحـدة اليمنية وندعـو الى ربط الحركة العمالية بالحركة الوطنية ، والى وحـدة الصف الوطنى ، واتخاذ موقف ايجابى من الاستعمار وعملائه . وهـذه كلها مواقف وطنية قبل أن تكون شيوعية أو أى شىء آخر . ومن هنا يتضح أن محاربتهم لنا بتهمة الشيوعية ليس كرها للشيوعية التى لا يفهم أكثرهم حرفا وأحـدا منها بقـدر ما هـو هروب من مسئولياتهم أمام الشعب ، وتغطيـة لمواقفهم المنحرفة وغير الوطنية ، وبالتالى خـدمة للاستعمار وعملائه فى بلادنا .

هـذا هـو التفسير الحقيقى للحرب التى يشنها علينا البعض تحت ستار محاربة الشيوعية » .

على ان قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ووليدها الحى والمتفجر ثورة ١٤ أكتوبر قـد أدخل متغيرات جـوهرية على الساحة اليمنية ، وتحقق بذلك جزء هام من المطامح الثورية التى كانت تسعى نحـو تحقيقها الحركة الوطنية اليمنية عموما .

فلم تسقط قمة الاقطاع فى شمال اليمن فحسب ، وانمـا حشر الاستعمار البريطانى نفسه أيضا فى الركن الضيق .

غير أن قيام جبهة عريضة على امتداد السـاحة اليمنية بدا أمرا عويصا ، ذلك أن ثورة سبتمبر نفسها كانت وظلت بدون تنظيم سياسى وبدون برنامج عمل وطنى ، وكل المحاولات التى بذلت فى هـذا الاتجاه ظلت بدون توفيق ، فلا القيادة السبتمبرية ولا حلفاؤها المصريون كانوا متحمسين ومستوعبين لأهمية قيام مثل هـذا التنظيم الذى يتسع لكل أطراف الحركة الوطنية ، ناهيـك أن الصراع الناشب بين هـذه

الأطراف كان عائقا آخر يحول دون قيام أى شكل فعال من أشكال التحالف الجبهوى الشعبى بينها أو بين بعض منها .

كان قيام تنظيم ثورى ضـد الاستعمار البريطانى فى الجنوب هـو الامكانية الوحيدة التى فرزتها الظروف الداخلية والخارجية . ولأن حركة القوميين العرب كانت هى أقرب القوى السياسية من الخط الناصرى وحلفائه فى اليمن ، ولأنها الوحيدة التى طرحت شعار الكفاح المسلح ضـد الاستعمار البريطانى حتى قبل قيـام ثورة سبتمبر ، واعتبرت الشمال اليمنى هـو الخلفية الضرورية ونقطة الانطلاق الملائمة لوضع هـذا الشعار موضع التطبيق ، ولأن الثورة قـد وفرت هـذا الشرط التاريخى الآن ، فأنه كان طبيعيا ومنطقيا أن تبادر حركة القوميين العرب فى اليمن الى اقامة تنظيم موسع كانت لهـا القيادة فيه هـو تنظيم « الجبهة القومية لتحرير الجنوب اليمنى المحتل » ، الذى ولد فى عاصمة الثورة صنعاء فى أغسطس ١٩٦٣ ، والذى قامت عناصر مقدامة مرتبطة به كانت ضمن الحرس الوطنى الذى دافع عن ثورة سبتمبر — قامت فى ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بتفجير الثورة المسلحة فى ردفان ضـد المستعمر البريطانى .

وباستثناء تنظيم عبد الله بايذب الذى دخل فى علاقة تعاون متنامية ومتصاعدة مع الجبهة القومية فأن الأطراف الأخرى فى الحركة الوطنية ناهضت شعار الكفاح المسلح بفعل نهجها اليمينى الاصلاحى ، قبـل أن تحاول احتواءه واحتواء منحى الثورة من أساسها بتشكيلها مـع عناصر من قيادة الجبهة القومية ما أسمى بـ « جبهة تحرير الجنوب اليمن المحتل » فى ١٣ يناير ١٩٦٦ .

وقـد ظل باذيب وتنظيمه الحليف الوحيد للجبهة القومية ، ورفض معها عملية « الدمج » القسرى هـذه ، وحول جريدته « الأمل » التى

منبر سياسى واعلامى منافح عنها وعن مجرى الثورة اليمنية عموما ، حتى تحقق لثورة ١٤ أكتوبر الانتصار ، وانتزاع الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ٠

وفى هـذا الصدد يقول أمين عام الحزب الاشتراكى اليمنى الرفيق على سالم البيض : « أما بالنسبة لاتحاد الشعب الديمقراطى فقـد أثمر الحوار عن تأييد قيادة الاتحاد الشعبى ، وعلى رأسها الفقيـد عبد الله باذيب لخط الكفاح الشعبى المسلح سياسيا واعلاميا » ٠ كما أن الحوار « استمر مع الاتحاد الشعبى الديمقراطى الذى أدان مؤامرة الدمج القسرى ، وأيد خطوة الانسحاب من جبهة التحرير ٠ وكانت هناك أشكال مختلفة للتعاون مع الاتحاد الشعبى الديمقراطى قبـل الاستقلال ، وأبرزها العمل المشترك فى الحركة النقابية والاستفادة من الامكانيات القانونية والعلنية الصحيفة « الأمل » التى كان يصدرها أسبوعيا الفقيد عبد الله باذيب فى دعم الثـورة المسلحة وتنظيمها السياسى ، ونشر أخبارها ، وفضح وتعرية المخططات والمؤامرات المعادية لهـا » (صحيفة ١٤ أكتوبر ، ٢٢–٦–١٩٨٦) ٠

وسواء قبل الاستقلال أو بعـده فأنه كان قـد استقر فى ذهـن باذيب أنه لا بديل عن السعى الى توطيد العلاقات مع الجبهة القومية ، والارتفاع بها درجة بعـد درجة ، بحيث تصل الى مستوى أعلى من مستوى الجبهة الوطنية ٠ ولهـذا الغرض عمل على تجميد تنظيمه ابان فترة الكفاح المسلح ، ونسج علاقات شخصية وفكرية مـع الكوادر القيادية المتقـدمة فى الجبهة القومية التى كان عبد الفتاح اسماعيل أبرز وجـوهها ٠

ومما زاد من التقارب بينه وبين هـذه الكوادر الطليعية فى الجبهة ذلك الموقف اليمينى الذى ووجـه به الجميع من قبل القيادة الاصلاحية

الوسطية التى أمسكت بمقاليد الأمور بعــد الاستقلال ، والتى كان قحطان الشعبى مجرد الرمز الأعلى لهــا .

كان واضحا لعبد الله باذيب والجناح الديمقراطى الثــورى ذى الرؤية الاشتراكية العلمية فى الجبهة القومية أن جناح قحطان يعمل على ايقاف عجلة الثورة ، بل والانحراف بها ذات اليمين ، والتنكر من ثم حتى للأهــداف التى أعلنتها الجبهة القومية فى « الميثاق الوطنى » الذى أقر فى مؤتمرها الأول عام ١٩٦٥ .

كانت مساهمة باذيب فى مواجهة هــذا الخطر اليمينى هو اصداره ورفاقه الوثيقة الثانية للاتحاد الشعبى الديمقراطى فى يناير ١٩٦٨ التى حملت شــعار « من أجــل يمــن ديمقراطى موحــد » — وهــو ذات شعار « الميثاق الوطنى » للاتحاد — وكان عنوانها « وجهة نظر حول المرحلة الراهنة — ثورة ١٤ أكتوبر .. طبيعتها — مهماتهــا — وآفاق المستقبل » .

ما يهمنا هنا من هــذه الوثيقة الهامة هــو تأكيدها على أن ثورة ١٤ أكتوبر ذات طبيعة وطنية ديمقراطية ، وأنها لكى تترجم طبيعتها هــذه فى الواقع العملى ، بما فى ذلك لعب دورها تجاه الوضع فى شمال الوطن الذى أخــذت الثورة تجهض فيه بفعل قيام انقلاب ٥ نوفمبر ١٩٦٧ وبفعل الهجمة الرجعية الاستعمارية عليه التى كان حصار صنعاء احــدى حلقاتها — فأنه لابد من توحيد فصائل الثــورة فى الحزب فى تنظيم طليعى يمهد لتوحيد الحركة الوطنية اليمنية كلهــــا ، ومن ثم لتوحيد اليمن ثوريا .

جاء فى الوثيقة فى هــذا الصدد : « ان مهمة الطلائع الآن هى انجاز أهــداف الثورة الوطنية الديمقراطية ، ثورة ١٤ أكتوبر ، فى سبيل وضع البلاد على عتبة التحول الاشتراكى » .

« ان السير ببلادنا فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ، ونحو الاشتراكية ، يتطلب وحدة وتلاحم جميع القوى والفصائل الثورية والتقدمية ، فى البلاد داخل اطار تنظيم واحد ، يسترشد بمبادىء الاشتراكية العلمية . ومثل هذا التنظيم هو وحده القادر على قيادة الثورة الى أهدافها الساطعة ، وهو الشكل المناسب للديمقراطية فى بلادنا ، فلا توجد فى بلادنا تقاليد حزبية متأصلة ، وخلال الكفاح المشترك التحمت عمليا جميع فصائل الثورة والتقدم فى مجتمعنا ، وأسهمت جميعها فى الثورة المسلحة وانتصارها . ولقد كان التطور المنطقى والطبيعى للثورة يحتم أن تلتحم هذه الفصائل عضويا فى تنظيم واحد . واذا كان ذلك قد تعذر قبل انتصار الثورة المسلحة ، فليس هناك ما يمنع ذلك الآن . بل يجب أن لا يكون هناك ما يمنع ذلك » .

« ان مصلحة ثورتنا تتطلب التخلى عن الأفكار الحزبية الضيقة وعن عوامل الحذر والخوف من الماركسيين ، والتخلص من روح التردد والتذبذب والخوف من انطلاقة الجماهير والتخلص من كل ما هو من طبائع وصفات البرجوازية الصغيرة صاحبة الأوهام الضارة عن امكانية بناء الاشتراكية بدون الاشتراكيين ، وفى غياب حزب طليعى يسترشد بمبادىء الاشتراكية العلمية .

ولقد أثبتت تجارب شعوب آسيا وأفريقيا وأميريكا اللاتينية ، ومنها شعوبنا العربية ، مدى ضرر هذه الأوهام . وحيث لم يقم مثل هذا الحزب فان الايمان يزداد بضرورة قيامه ، وضرورة أن يمثل الاشتراكيون العلميون مكانهم الطليعى فى عملية البناء الثورى الاشتراكى .

يجب أن لا نكرر تجارب فاشلة مرت بها الشعوب الأخرى ، ومنها

بعض شعوبنا العربية . يجب أن نبدأ من حيث انتهت مصر وسوريا ، لا من حيث بدأت . ويجب أن نستخلص منها كل الدروس والعبر ، وأن نستفيد من ايجابياتها ، وننبذ سلبياتها » .

وتربط الوثيقة ربطا وثيقا بين ثورة ٢٦ سبتمبر التى أخذت تشهد الانتكاسة بانقلاب نوفمبر المشؤوم وبين ثورة ١٤ أكتوبر ، كما تربط ربطا محكما بين صيرورة الثورة ومصير الوحدة اليمنية ، وتؤكد أن القضية الأساسية والملحة هى الحفاظ على ثورة ٢٦ سبتمبر ، والحيلولة دون تحويل نظامها الجمهورى الى مجرد ديكور يخفى معالم نظام رجعى يجسد مصالح قوى التخلف والردة . وتلقى الوثيقة مسئولية خاصة فى هذا الصدد على ثورة ١٤ أكتوبر وعلى المناضلين فى الشطر الجنوبى من اليمن الذين كما آزروا ثورة ٢٦ سبتمبر فور انطلاق شرارتها الأولى ، فأنهم مطالبون الآن — وقد أخذت الثورة تتعرض للتدمير — بأن يهبوا لنجدتها ولأبقاء جذوتها مشتعلة ، لا بحكم المصير المشترك فحسب ، وانما أيضا باعتبار ذلك دفاعا عن ثورة ١٤ أكتوبر ذاتها .

حول هذا الترابط العضوى بين الثورتين تقول الوثيقة : « وان علينا أن نساند اخوتنا فى الشمال بكل الوسائل الممكنة . لقد فعلنا ذلك قبل أن نتحرر من الاستعمار ، عندما ذهب عمالنا وفلاحونا وشبابنا وأبناء قبائلنا البواسل الى الشمال غداة قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ، ثم عادوا ليشعلوا الشرارة الأولى لثورة ١٤ أكتوبر من جبال ردفان ، وكان الشمال سندا لها وقاعدة . ونستطيع الآن بعد أن تحرر الجنوب أن نفعل ذلك بصورة أقوى وفعالية أشد ، وأن نقوم بتقديم العون لثورة الشمال بكل أشكاله سياسيا وعسكريا .. ماديا وأدبيا .

-اننا بذلك لن ندافع عن صنعاء فقط وعن ثورة الشمال فقط ، ولكننا

سندافع عن عــدن وعن ثورة الجنوب أيضا • فأن أى تهـديد لثـورة الشمال انما هـو تهـديد لثورة الجنوب ، وليست صنعاء.وحـدها هى الهـدف ، بل وعـدن أيضا • وان من الأفضل أن نخوض المعركة الآن قبل أن يمتد العـدوان الى جنـوبنا وقبـل أن تزحف قوى الثـورة المضـادة الينـا •

ان الشرط الأساسى لتحقيق انتصارنا الكامل والحفاظ على مكاسب شعبنا هنا وهناك هـو التحام ثورة الجنوب بثورة الشمال فى نيران الكفاح ضـد قـوى الامبريالية والرجعية • وفى نيران هـذه المعركة سيتساقط الانتهازيون والمتسترون وراء أقنعة الوطنية الزائفة •

وبهـذا فأننا لن نعمل على حمـاية الجمهورية فى الشمال وتأمين الجمهورية فى الجنوب فحسب ، ولكننا أيضا سنساعد جماهير شعبنا فى الشمال على التخلص نهائيا من المتاجرين المحليين بالثورة والجمهورية والمنتفعين بالحرب فى الداخل ونمـد الثورة الى حـدود البلاد التى يأتى منها التسلل والعـدوان » •

أما الترابط الديالكتيكى بين الثورة والوحـدة اليمنية ، والذى يغـدو معه تحقيق الوحـدة اليمنية مرهونا بانتصار الثورة ، فتعبر عنها الصياغات التالية :

« انطلاقا من ايماننا بالوحـدة اليمنية التى تفرضها عوامل اللغة والأرض والمصلحة الاقتصادية المشتركة والتراث النفسى المشترك ، يتحتم علينا الوقوف موقفا حازما وايجابيا مع شعبنا فى الشمال ضـد العـدوان الاستعمارى الرجعى الذى يريد أن يعيد حكم الامامة المباد ، أو يجعل من النظام الجمهورى مجرد غلاف لحكم رجعى » •

« ان التقاء ثورة الجنوب بثورة الشمال فى أرض المعركة ضـد

العـدو المشترك هو المدخل الصحيح لهزم الاستعمار والرجعية وتحقيق الوحـدة اليمنية كخطوة أولى نحو الوحـدة العربية .

هـذا هـو واجبنا الملح .. أن نهب لنجدة ثورة الشمال والالتحام معها، « فلنثبت أننا لا نحلم .. واننا جـديرون بحمل المسئولية .

ولنشهد التاريخ أننا أهل لأن ينتقل مركز الثقل الثورى الى بلادنا بعـد نكسة الخامس من حزيران » .

على أن الوثيقة تنبه بوضوح كامل الى أن تلاحم الثـورتين فى النضال المشترك ضـد العـدو الخارجى والداخلى الذى أخـذ يطبق على الثورة فى الشمال ويفرغها من داخلها ، وارتهان تحقيق الوحـدة اليمنية بانتصار الثورتين معا فى معركتهما الوطنية والاجتماعية هـذه — أن ذلك كله يشترط بقاء وترسخ النظام الثورى فى جنوب الوطن وتمكينه من أن يصبح مثلا نموذجيا للحكم الوطنى الديمقراطى المنشود فى الوطن كله ، حتى يتمكن من اجتذاب جماهير الشعب اليمنى اليـه ، وانتزاع اعجابها به ، وشحذهممها للنضال من أجل تحقيق وحدة اليمن على ذات الأسس الوطنية الديمقراطية التى يقوم عليها .

تقول الوثيقة : « وينبغى القول أن تعزيز النظام الثورى فى الجنوب بانجاز مهمات ثورة ١٤ أكتوبر المجيدة سوف يشكل مثالا والهاما لشعبنا فى الشمال ويمارس تأثيرا ايجابيا على الجماهير اليمنية هناك ، فتندفع هى الأخرى لتحقيق مهمات ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة ، ممـا سيعمل بتحقيق الوحـدة اليمنية » .

وتلاحظ الوثيقة التى صاغها قلم عبد الله باذيب ، شأن غيرها من وثائق تنظيمه ، أنه من الضرورى التنسيق بين النظامين فى الشـطرين

فى كل شأن من الشئون الممكنة ، خـدمة لقضية الوحـدة اليمنية • غير أنها تشدد على القضية الأساسية ألا وهى دعم الثورة فى شمال الوطن التى يشكل انتصارها السبيل الممكن لتحقيق وحـدة الوطن •

ومما جاء فى الوثيقة فى هـذا المجال قولها : « ولن نتحـدث هنا عن واجباتنا الأخرى المتعلقة بضرورة تنسيق علاقاتنا السياسية والثقافية والاقتصادية وفقا للمصلحة المشتركة وفى اتجاه الوحـدة الكاملة ، فأنها كلها تخضع وتتبع القيام بواجبنا الأول نحـو ثوره الشمال ••• » • (عبد الله باذيب ، كتابات مختارة ، الجزء الثانى ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ٢٠٤ — ٢١٤) •

وتقيدا بمنهجه العلمى فأن باذيب لم يكن مع أى تجمع نقـابى وحـدوى شكلا ، ولكنه خالٍ من المضمون الثورى والوحـدوى فعلا • ولذلك فأن نشرة « اتحاد الشعب » الناطقة باسم تنظيمه لم ترتح الى الصيغة والروح اللتين قام على أسهاسهما المؤتمر التأسيسى لاتحـاد الأدباء والكتاب اليمنيين ، ونشرت فى عـدد يناير — فبراير ١٩٧٤ مقالة لاذعة بعنوان « مؤتمر بلا هـوية ! » •

كما نشرت مجلة « الثقافة الجـديدة » التى كان يشرف عليهـا عبد الله باذيب بصفته وزيرا للثقافة والسياحة — نشرت فى عـدد مارس ١٩٧٤ منها مقالة نقـدية حول المؤتمر •

ولأن المؤتمر كان مؤتمر « سلطة » ، مؤتمرا بلا هـوية أو اتجاه أو قضية ، فأن كلمة عبد الله باذيب — شأن كلمة الأمين العام للحزب عبد الفتاح اسماعيل فى حفلى افتتاح واختتام المؤتمر — تمنتـا على المؤتمرين أن يعيشوا واقع بلدهم ، ويرتبطوا بحركته الاجتماعيـة . ويسخروا أقلامهم لخـدمة قضاياه الحقيقية ، بما فيها قضية وحـدته الوطنية على أسس ديمقراطية ، وألا يحلقوا فى الضباب !

ومما جاء فى كلمة عبد الله باذيب : « فلنناضل من أجل ثقافة وطنية يمنية تعبر عن روح وآفاق المستقبل من منظور تقـدمى ، وتهـدف الى بناء اليمن الديمقراطى الموحـد ، يمن الشغيلة وكل الكادحين بأيديهم وأدمغتهم » • (« ١٤ أكتوبر » ٢٣–٢–١٩٧٤) •

أما كلمة عبد الفتاح فقد جاء فيها : « ان الأدب جزء لا يتجزأ من حياة الناس ، وهـو المعبر عن آلامهم وأفراحهم وآمالهم وهـو لذلك يجب أن يرتبط بحياة أوسع الجماهير فى وطننا اليمنى المقـدس » • كما جاء فيها : « ستظل وحـدة الشعب اليمنى وتقـدمه الاجتماعى هـدف أقلامكم المجاهـدة الشريفة حتى تتحقق • وستظل كلمتكم مجزأه الحرف ، ركيكة المعنى ، اذا لم تكن من أجل تقـدم شعبكم العظيم ، صـانع الحضارات والأمجاد والانتصارات » (الثورى ، ٥–٩–١٩٨٧ ، و ١٤ أكتوبر ٦–٩–١٩٨٧) •

لا نستطيع التوقف طويلا أمام هـذه الوثائق التى تعالج قضية الوحـدة اليمنية من زاوية اجتماعية تقـدمية ومن زاوية الثقـافة الوطنية التقـدمية المطـلوبة وتجسيداتها التنظيمية المنشودة ، فذلك يتطلب وقفـة خاصة •

وفى المؤتمر العام الثانى للاتحاد الشعبى الديمقراطى الذى عقـد ما بين ١٨ — ٢٠ يوليو ١٩٧٥ يعالج عبد الله باذيب من خلال « التقرير السياسى للجنة المركزية » للاتحاد قضية الثورة والوحـدة اليمنية ، ويلفت الانتباه الى أن الثورة فى شمال الوطن غـدت أثرا بعـد عين ، بينما مضت الثورة فى الجنوب قـدما الى الأمام بعـد الاطاحة بيمين الجبهة القومية ، وبعـد التحويلات الاجتماعية التى تحققت فيه بفضل حركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ التصحيحية ، وأن طريق الوحـدة اليمنية يمكن

فتحه مرة أخرى عبر انهاض الثورة فى شمال الوطن من النكسة التى منيت بها ، وعبر قيام حكم وطنى ديمقراطى فيه ، وعبر توحيد قـوى الثورة اليمنية فى معارك النضال الوطنى والاجتماعى .

ومما جاء فى التقرير : « فمنذ نوفمبر ١٩٦٧ بدأ الشطر الشمالى يشهد انتكاسة الثورة ، ووقوع البلاد تحت سيطرة الرجعية السعودية ، وعودة ممثلى الاقطاع والرجعية المحلية ، والارتباط بقوى الرأسمالية والاستعمار والرجعية » .

كما جاء فيه : « على أن التطورات التى جرت داخـل اليمـن فى السنوات المـاضية قـد أدت الى بروزتفاوت فى التطور الاقتصادى والسياسى والاجتماعى فى شطرى الوطن . كما عكست هـذه التطورات تأثيرها فى دور ومواقع الطبقات المختلفة ، وحتى داخل بعض الفئـات الاجتماعية . ونتيجة لذلك فأن المهام التى تواجه الحركة الثـورية اليمنية فى كل من الشطرين ليست هى نفسها المهـام التى تواجهها فى الشطر الآخر ، الا أنها تدور فى نفس اطار المرحلة التاريخية : مرحلة انجاز مهمات الثورة الوطنية الديمقراطية . ففى اليمن الديمقراطى ، حيث قطعت الثورة شطرا هاما فى تحقيق مهماتها الوطنية الديمقراطية ، فأن المهمة الرئيسية التى تجابه الحركة الثورية اليمنية هى النضال من أجـل انجاز الثورة الوطنية الديمقراطية بآفاقها الاشتراكية . أما فى شمال الوطن (الجمهورية العربية اليمنية) ، حيث انتكست ثورة ٢٦ سبتمبر ، فان المهمة الرئيسية التى تواجه الحركة الثورية اليمنية هى النضال من أجل قيام حكم وطنى ديمقراطى . ويرتبط نضال القـوى الثورية اليمنية من أجل هاتين المهمتين ارتباطا وثيقا بنضالها من أجـل تحقيق اليمن الديمقراطى الموحـد ... » (ص ١ — ٢ ، ٥) .

وفى « المؤتمر التوحيدى » لفصائل العمـل الوطنى الديمقراطى

الثلاث ــ الجبهة القومية ، الاتحاد الشعبى الديمقراطى ، حزب الطليعة الشعبية ــ الذى عقــد ما بين ١١ ــ ١٣ أكتوبر ١٩٧٥ ، والذى انبثق عنه التنظيم السياسى الموحــد ــ الجبهة القومية كتنظيم انتقالى لقيام الحزب الطليعى المنشود ــ فى هــذا المؤتمر أقر « التقرير السياسى » الذى عبر عن التقاء وجهات نظر الجميع ازاء مختلف القضايا الفكرية والسياسية والتنظيمية ، بما فيها قضية الوحــدة اليمنية .

ومنذ هــذا المؤتمر يصبح رأى باذيب فى قضية الوحــدة اليمنية هــو رأى التنظيم السياسى الموحــد ــ الجبهة القومية .

ان مما يستدعى الانتباه ان « التقرير السياسى » قــد خصص فصلا كاملا حمل عنوان « قضايا الثورة اليمنية ووحــدة الحركة الوطنية اليمنية » ربط فيه بشكل لا ينفصم بين وحــدة الحركة الوطنيةاليمنية والوحــدة اليمنية ، بين الثورة والوحــدة اليمنية ، بين تحقيق الأداة الحزبية الطليعية الموحــدة وقيام اليمن لديمقراطى الموحــد ، ناهيــك عن تنبيهه الى أن الفصائل التى يتألف منها التنظيم السياسى الموحــد ــ الجبهة القومية هى وحــدوية فى الأساس والجوهر ومنذ لحظــة الميلاد ، وهــو ما يتجسد الآن فى سعيها الى توحيد نفسها وتوحيــد الطلائع التقــدمية كلها فى حزب طليعى واحــد ، يمثل الأداة التاريخية المدعــوة الى تحقيق كامل أهــداف الثــورة اليمنية القريبة والبعيدة المتمثــلة فى التحرر الوطنى ، والتقــدم الاجتماعى ، والديمقراطية السياسية ، والوحــدة اليمنية الديمقراطية والاشتراكية ، والسلم .

يقول « التقرير السياسى » : « ان تنظيمنا السياسى الموحــد ــ الجبهة القومية باعتباره فصــيلا رئيسيا فى الحركة الوطنية اليمنية ، وباعتباره التنظيم القائد للثورة فى اليمن الديمقراطية يؤكد بأن مواصلة السير على طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ، يحتم العمل الدؤوب من

أجل تحقيق الهدف الكبير لشعبنا اليمنى المتمثل بقيام اليمن الديمقراطى الموحد .

ان تنظيماتنا قد أثبتت بطبيعتها بأنها وحدوية منذ قيامها ، وحدوية فى تشكيلاتها التنظيمية ، وحدوية فى كل تاريخ نضالها . ولقد أكدت تنظيماتنا منذ البداية وعبر نموها وتطورها ، وفى كل وثائقها المختلفة ، عن مواقفها المبدئية تجاه قضية الوحدة اليمنية ، باعتبارها المصير والمستقبل لشعبنا اليمنى . ولقد حاربت باستمرار ، وبدون هوادة ، كافة الأفكار الانفصالية والاقليمية والمذهبية » .

« ان الوحدة اليمنية هى التعبير الأمين والصادق للمصالح المادية والروحية الأوسع جماهير شعبنا اليمنى . انها التعبير الصادق والأمين لمبادىء وأهداف ثورتى سبتمبر وأكتوبر ، ولابد من مواصلة العمل الدؤوب لتوفير الأجواء الصحيحة لتحقيقها بواسطة الطرق السلمية ، وبمضامين وطنية ديمقراطية » .

« ان مواصلة السير فى طريق مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية ، وتحقيق الوحدة اليمنية سلميا ، وبمحتوى وطنى ديمقراطى ، ومواصلة السير لما فيه خدمة استراتيجية الثورة اليمنية ، وازدهار شعبنا ووطننا اليمنى ، ان كل ذلك يعتبر مسئولية تاريخية كبيرة ينبغى اليوم أن تتضافر كل الجهود والطاقات الوطنية الخيرة من أجل المشاركة الفعالة والايجابية فى سبيل تحقيقها .

ان تحقيق ذلك مرتبط بصورة جدلية لا تقبل الانفصام بوحدة تلك الجهود والطاقات المخلصة لجماهير شعبنا اليمنى وحركته الوطنية الديمقراطية ومنظماته الجماهيرية . وعلى هذا الأساس فالوحدة باعتبارها احدى المهام الرئيسية تتطلب عملا واعيا دؤوبا وصبورا ،

لكى تكون الوحـــدة اليمنية وحـــدة شعبية متينة وصلبة وقادرة على الاستمرار والتطور نحو تحقيق استراتيجية الثورة المستندة على قاعـــدة جماهيرية واسعة تمثل كافة الطبقات والفئـــات الاجتماعية صاحبة المصلحة فى التطور والتقـــدم » •

« ان تحقيق صيغة العمل الانتقالى فى هـــذه المرحلة ، والاعـــداد لبناء الحزب الطليعى ، سيظل يسير جنبا الى جنب مع العمل الدؤوب والصادق من أجل تحقيق وحـــدة الحركة الوطنية اليمنية بنظرة مستقبلة تتطلع الى تحقيق الحزب الطليعى اليمنى الواحـــد •

ان العمل المستمر لتحقيق هـــذه المهمة التاريخية النبيلة ســـيكون له التأثير الحاسم على انتصار ارادة شعبنا ، على طريق استراتيجية الثورة اليمنية فى ظـــل اليمن الجـــديد ، اليمن الديمقراطى الموحد » • (الجبهة القومية — التنظيم السياسى الموحـــد • المؤتمر التوحيدى . أكتوبر ١٩٧٥ ، بيروت ١٩٧٦ ص ١٢٦ — ١٣٦) •

ان قيام الحزب الاشتراكى اليمنى ، وما تضمنه برنامجـــه حول القضية الوطنية اليمنية وغيرها من القضايا الاجتماعية والأممية ، كان تتويجا لجهود كل القوى الطليعية فى الحركة الثورية اليمنية التى يعتبر عبد الله باذيب واحـــدا من بين أبرز وجوهها •

وكما قال رفيق دربه مؤسس الحزب الشهيد عبد الفتاح اسماعيل فى الذكر الأربعينيه لرحيله أن عبد الله باذيب كان « يتطلع الى قيـــام الحزب الطليعى اليمنى الواحـــد ، وتحقيق أهـــداف استراتيجية الثورة اليمنية فى ظـــل الوطن اليمنى الموحـــد » • (أربعون عاما على وفاة القائد الوطنى والعمالى الخالد عبد الله عبد الرازق باذيب ، ص ٩) •

وليس هناك ما هو أوجز وأبلغ من هذه الكلمات فى تحديد مسعى عبد الله باذيب من أجل تحقيق اليمن الديمقراطى الموحدة ، ومن أجل ايجاد الأداة الطليعية الثورية الموحدة القادرة على تعبئة وتنظيم وقيادة الحركة الوطنية والجماهيرية ، لبلوغ هذا الهدف الوطنى العظيم ، وبلوغ كامل أهداف الثورة فى التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى ، والنهوض الحضارى ، والازدهار الثقافى ، والاشتراكية ، وتحقيق السلام فى العالم كله .

ومن الحق — أخيرا — أن نقول أن عبد الله باذيب هو أحد أبرز رجالات الحركة الوطنية والتقدمية اليمنية ، الذين تنطبق عليهم تلك الكلمات البليغة التى تضمنها رسالة الرفيق الأمين العام للحزب الاشتراكى اليمنى على سالم البيض الموجهة الى المؤتمر العام الرابع لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين الذى عقد فى صنعاء ما بين ٥ — ٨ سبتمبر ١٩٨٧ ، والتى جاء فيها :

« لقد لعبت الكلمة الوطنية الملتزمة بقضايا وتطلعات السواد الأعظم من جماهير شعبنا اليمنى دورا فعالا فى مختلف مراحل نضال شعبنا اليمنى البطل .. وظل القلم الملتزم ، والحرف النابض بمعانى الاخلاص والوفاء لثورتى السادس والعشرين من سبتمبر والرابع عشر من أكتوبر المجيدتين أحد أهم الأسلحة التى استخدمتها وما زالت القوى الوطنية والتقدمية اليمنية فى النضال من أجل تحقيق الطموحات العريضة لشعبنا اليمنى فى التحرر الشامل والناجز ، والتقدم الاجتماعى والاقتصادى ، والنهضة الثقافية ، والوحدة القائمة على أسس سلمية وديمقراطية » (١٤ أكتوبر ، عدد ٦—٩—١٩٨٧) .

دور عبـد الله باذيب النضـالى فى سـبيل
خـلق الحـزب الطليعـى(*)

مدخـل عـام :

سجل عبد الله عبد الرزاق باذيب النضالى حافل بالمـآثر الثورية ، وزوايا الرؤية اليه متشعبة متعـددة •

غير أنك من أى صفحة بدأت ، أو زاوية أطللت ، تجـد نفسك أمام شخصية تاريخية واحـدة موحـدة ، متكاملة متماسكة •

كان صوتا ذا طبقات متعـددة ، ونغمات متنوعة • غير أن وحـدة هرمونية عميقة حميمة توحـدها ، وتجعل منها صوتا واحـدا هـو صوته المتفرد المتميز •

لم يكن هناك تباين ، فى رأيه ، بين الدعوة الى وحـدة الوطن ، والدعوة الى وحـدة الأمة والدعوة الى وحـدة الانسانية •

غير أن تحقيق هـذا المثلث الذهبى يستلزم التحـرر السياسى والاجتماعى ، التحرر الوطنى والقومى والانسانى من جميع أشـكال

(*) نشرت فى « قضـايا العصر » •

القهر الداخلى والخارجى ، الطبقى والقــومى ، المــادى والمعنوى ؛ وايجاد أنظمة وطنية ديمقراطية مستقلة تسير فى طريق التقدم الاجتماعى والتاريخى ، وتسعى الى تحقيق تآلفهــا أو تكاملهــا ووحــدتها مــع الأنظمة الشبيهة لهــا أو القريبة منها ، والساعية معها على ذات الدرب .

فلا وحــدة بين ظالم ومظلوم ، ومستغل ومستغل ، وسيد وعبد ، واقطاعى وفلاح ، ورأسمالى وعامل ، ومستعمر ومستعمر .

ولا وحــدة وطنية أو قومية أو أممية يمكن تحقيقها فى ظــل هــذه الثنائية الحادة ، فى وجــود هــذا التناقض التناحرى .

وحتى الجبهات الوطنية التى تتشكل لحل هــذه العقدة الثنائية أو تلك لا رسوخ ولا دوام لهــا اذا لم تتصــدرها الطبقات الشعبية الكادحة والقوى الثورية الطليعية .

ولكن هــذه الطبقات والقوى لا تستطيع أن تنهض بمهمتها هــذه كاملة غير منقوصة وعبر جميع مراحل النضــال الوطنى التحررى ، والاجتماعى التقــدمى ، ما لم ينبثق من بين صــفوفها تنظيم طليعى يمثل مصالحها الجــذرية ، القريبة والبعيدة ، المرحلية والاستراتيجية .

وهــذا التنظيم لا يمكن أن يكون كذلك ما لم يقم على أســاس نظرية الاشتراكية العلمية .

الحزب الذى حلم به باذيب فى الخمسينيات :

تلك كانت النغمة المفقودة التى أخــذ عبد الله باذيب يعزفهــا منذ عام ١٩٥٤ ، العام الذى أطــل فيه على رحاب الفكر الاشتراكى العلمى ، الى ١٦ أغسطس ١٩٧٦ ، اللحظة التى سكت فيها صــوته وانقطع منها وتره الصــداح .

ذلك كان هــو الصــوت الجــديد و « الغريب » الــذى أخــذ يجلجل فى أفق السياسة اليمنية ، ويثير من الاستنكار بقــدر ما يثير من الاعجاب .

وهــو الصوت الذى أخــذ يرتفع ويرتفع مع ارتفاع قامة الحركة الوطنية والتقــدمية اليمنية حتى بلغت أصــداؤه الآفاق الأبعــد .

تسجل لنا كتابات باذيب الأولى كيف كانت شهقة الوليد وفرحته برؤية الدنيا الجــديدة التى بسطها أمامه الفكر الاشتراكى العلمى

« لابد أن تكون لنا عقيدة سياسية نؤمن بها ونقــدسها ، سبب نعيش من أجله ، ونكافح لتحقيقه حتى الموت أو الظفر .

ان الانسان الذى لا عقيدة له انسان ضائع .

فلنبحث عن عقيدة سياسية فى شــكلها ، اجتماعية اقتصادية فى مضمونها ، عقيدة تقف بنــا على مستوى جــديد من الحياة ، وتحــدد موقفنا من القوى التى تحــد من انطلاقنا ، وتستثمر مواهبنا وجهودنا وبركات أرضنا لصالح الاحتكارات الداخلية والأجنبية .

والبحث عن العقيدة ، قراءة ومعاناة وتجربة ، تجربة مريرة عشتها أنا نفسى منذ سنة ، ولا زلت فى أعماقها البكر مشروعا انسانيا حركيــا ناميا مندفعا الى أعلى ، زاحفا الى الأمام .

كنت أكتب قبل ذلك - أكتب بحرارة واخلاص وايمان .

وفجأة أحسست أن القلم يتصلب فى يدى ، أحسست بالضياع .

من نحن ؟ وما يجب أن نكون ؟

ماذا أريد ؟ ولمن أكتب ؟ وفى سبيل أن أجــد الجواب على هــذه الأسئلة كلها أمضيت سنة لم أكتب فيها شيئا .

سنة وبعض سنة رحت أقرأ فيها الكتب الجذرية عن العقائد المسيطرة على العالم : الرأسمالية ، الاشتراكية المعتدلة ، الاشتراكية الماركسية ، النازية ، وكل عقيدة تسيطر على العالم وتشكل مصيره •

كنت أبحث عن نفسي ، حتى وجدتها ، وأريد اليوم أن أحققها •

ثم عدت الى الكتابة الدائبة الحارة المخلصة ، ولكن بعد أن تغير شكل نقاط حياتي •• نقطة الارتكاز ، ونقطة الانطلاق •

كنت أعيش لنفسي ، وأدور حولها ، وأختبيء فيها •• وأنا أعيش اليوم مع الجماهير ، وأعانق وجداناتهم ، وأتدفأ بأحاسيسهم ، وأعيش مع الجموع الكادحة العاملة من أجل الحرية والعدل والسلام •

معهم أعيش ، ولهم أكتب ، والاشتراكية عقيدتي ومعنى حياتي » — كما كتب في صحيفة « البعث » العدد الأول ١—١١—١٩٥٥ — •

ولأن الحزب الحامل لراية هذه العقيدة الاشتراكية ، والقادر في ضوء مبادئها العلمية على ترشيد حركة النضال الثوري ، الوطني والاجتماعي ، كان هو عقدة العقد وقضية القضايا ، فأن باذيب أولاه من التفكير والتقدير والتأمل والتبصر والانتباه ما لم يوله أية قضية أخرى ، وسلك من أجل الوصول اليه مداخل تكاد تكون غير مطروقة ، وسبلا متعرجة غير معروفة ولا مألوفة •

كان باذيب في سعيه هذا كمن يبحث لنفسه عن طريق قاصد في صحراء غير مكتشفة بعد ، أو كمن يريد أن يثقب جبلا تسير فيه قافلة النضال وتختصر به المسافات الطويلة •

لقد شارك باذيب في اقامة التجمعات الوطنية كالجبهة الوطنية

المتحدة ، ودخل فى الأحزاب الأقرب الى التجمعات — قبل أن يخرج منها مبكرا — كرابطة أبناء الجنوب العربى .

غير أن ذلك شىء ، والحزب الذى يتطلع اليه شىء آخر :

« السعى الى تكوين حزب سياسى فى عـدن حركة ندعـو اليها ونباركها ونرصـد من أجلها أسنة أقلامنا وقطرات عرقنا .

ولكن أى حزب سياسى نريد ؟ » .

« اننا لا نريد حزبا كذلك الحزب الذى يسعى البعض الى تكوينه فى تحمس مريب !! فهؤلا يريدون أن يوفقوا بين أهـداف متناقضـة ، ومصالح متضادة ، ان بدا اليوم آنها يمكن أن تلتقى على صعيد واحد ، فأن مصيرها حتما الانفصال والتصادم » .

« لا نريد حزبا نفعيا وصوليا يساوم على عواطف الجماهير فى سـوق الوطنية ، ويتزعمـه قـوم يعيشون فى أكتـاف الرأسماليين ، وأصحاب المصالح التجارية الكبيرة ، ويسخرون نفوذهم الذى اكتسبوه فى غفلة من هـذا الشـعب للحصـول على مكاسب جـديدة لأولئـك الرأسماليين الكبار ، ولو قاموا بدور الوسطاء بين اليد التى تملك سلطة القبض أو المنح ، واليد الجشعة التى تمتد اليها !!

ولكننا نريد حزبا ينبثق من وجـدان هـذا الشعب ، ويتمثل واقعه تمثيلا واعيا ومدركا ، ويغرس فى أرضنا بذور الدعـوة الاشتراكية ، ويؤصل مبادئها الحية المضيئة فى قلوب الجياع والكادحين وعبيد الاقطاع والرجعية والاستغلال فى أرجاء الجنوب الكبير »(١) . (كان يعنى باذيب بالجنوب الكبير اليمن الكبرى) .

(١) أربعون يوما على ٦وفاة القائد الوطنى والعمالى الخالد عبد الله عبد الرزاق باذيب ، عـدن ، ١٩٧٦ ، ص ٤٠ — ٤١ .

ما هي قسمات هـذا الحزب الثوري المتميز الذي حلم به باذيب منذ أن امتلك الوعي الاشتراكي العلمي ، والذي أعرب صراحة أنه يسعى نحـوه منذ منتصف الخمسينيات ؟

« حزب ينهي عهـدا ضاعت فيه شخصيتنا ، وسرقت حقوقنـا ، ودفنت روح الشعب تحت ركام من الخيانات والمصالح الذاتية ، وحاول الترعم علينا قـوم ان اختلفوا في وسائلهم وفي مراكزهم الاجتماعية فقـد اتفقوا على تشويه حركاتنا وتمييع مطالبنا الشعبية •• ويبـدأ عهـدا جـديدا يشرق بالعمل النضالي ، ويشق للجماهير دربا حرا في الحياة تعبره الأجيال الصـاعدة في طريقها نحـو المستقبل السعيد الموعـود » •

« اذا كان هـذا الشعور قـد تأصل في نفسي منذ زمن بعيد ، وعبرت عنه على صفحات هـذه الصحيفة فأنني — وكل وطني حر — غير مستعدين لان ندق الطبول لحزب غريب التكوين ، مجهول الأصل ، غير عربي اللسان •• !

وغير مستعدين لأن نرحب بأي حزب ، ان لم يأت على الصـورة التي رسمناها في أذهاننا ، واختلطت بأحلامنا ، صورة حزب يقف على مستوى جـديد من حياتنا •• ومن هـذا المستوى يطلق تعليمـاته وصيحاته ، ويفضح كل أولئك الذين عملوا وما زالوا يعملون على قتل روح الجماهير « وتمييع » مطالبها الوطنية ، حزب يدشن في البـلاد « حركة اشتراكية من أجل الخبز والأرض والحرية » ، حزب يعمل على « فتح عيون هـذه الجمـاهير على واقعهـا الاقطـاعي الرجعي الاسـتغلالي »(٢) •

(٢) المصـدر السـابق ، ص ٤٢ •

العمل وسط الطبقة العاملة اولا :

ورغم أنه أخـذت تتخلق وتتشكل حـول باذيب منـذ منتصف الخمسينيات بؤرة ماركسية من المثقفين الثوريين ، كان أبرزهم أحمـد سعيد باخبيره وعلى عبد الرزاق باذيب ، فأن ذلك لم يغره بالمسارعة الى تكوين تنظيم ماركسى •

ما كان مهما بالدرجة الأولى لديه هـو تنظيم الطبقة العاملة فى نقابات ، ومن ثم فى اتحاد عام يوحـد حركتها النقابية ، ويضعها فى مركز القلب للحركة الوطنية ، وييسهل له ولكل طرف وطنى الاغتراف من معينها ، واستقطاب العناصر المتقـدمة الوعى من صفوفها •

وما كان مهما هـو انغمار التيار المـاركسى فى خضم النضـال الوطنى والجماهيرى والفكرى ، واكتساب مواقع سياسية له فى أرضية النضـال المشترك •

وما كان مهما لديه هـو مراكمـة تأثيره ، ومضاعفة نفـوذه ، وتوسيع دائرة المتعاطفين معه ، وخاصة فى مدينة عـدن ، نقطة التقاء الوطنيين اليمنيين ، ومركز الحركة العمالية اليمنية ، وموقـد الوعى الثورى الجـديد •

وما كان مهما لديه هـو تسريب منهجه الفكرى والسياسى ، وبثه بين الناس عبر الصحافة ، والمحاضرات ، واللقاءات ، و « مبارز التالت » ومن خلال الاحتكاك اليومى المباشر بالعناصر الوطنية والعمالية •

ولأن الفكر المـاركسى هـو فكر الطبقـة العـاملة ، وليس فكر مجموعة من المثقفين الثوريين المنعزلين عنها ، ولان باذيب كان يعرف المقولة المـاركسية القائلة بأنه باتحاد الفكر الاشتراكى العلمى بالطبقة

العاملة يكتسب لحما ودما ، ويتحول الى قـوة مادية مغيرة ، فأنه وضع قضية النضال وسط العمال وبالعمال فى مقـدمة اهتماماته .

« .. ان جموع العمال سيصبح لهـا وزن سياسى خطير ، بل ستغدو مركز النقل فى جميع حركاتنا الوطنية الصاعدة » . ان « النقابات التى تتواثب على سطح مجتمعنا مع الأيام » هى « أكثر من كونها مجرد هيائت مهنية ترمز الى مهن أعضـائها وتنحصر أهـدافها فى تحقيق مصالحهم المباشرة كتحـديد ساعات العمل وزيادة الأجـور .. انهـا تنطوى على دلالة سياسية هامة ، من حيث أن جميع النزعات القبلية والاقليمية محكوم عليها أن تنصهر فى بوتقة الوعى النقابى ، فتتمخض عنه وحـدة فى الشعور والهـدف » ، ومن حيث أنه « وسط هـدير العمال سيضيع كل صوت انهزامى ، وتتبدى كل مؤسسة لا تمثل الشعب قبوا مظلما كمدينة الأشباح ! ومن الجماهير العـاملة ستستمد حركاتنا الوطنية الجـديدة الحرارة والحيـوية والفعـالية ، وبهـذه القواعـد الشعبية الجماهيرية ستتحرك مواكب الوطنيين غـدا لبناء المستقبل » . ولذلك فان « أولى مهمات الطليعة اليوم هى تقصى ظواهر الوعى النقابى الصاعـد ، ورصـد دلالاته السياسية » . ذلك أنه « من خلال ذلك كله تستبين الطليعة الواعيـة فى الجنوب دورها القيادى النضالى فى تطوير الحركة العمالية ، وبلورة أهـدافها ، وتوجيهها نحـو النضج والشمول »(٣) .

ولكن المساعدة الأيديولوجية والسياسية للحركة العمـالية حتى تتمكن من أن تصبح قوة التحرير والتغيير والتطوير الأساسية اصطدمت بمقاومة عبد الله الأصنج الذى كان يسيطر على قيادة المؤتمر العمالى ، والذى عمـل جاهـدا على تدجين الحركة العمـالية ، وكسر شـأفتها ،

---

(٣) نفســـه ، ص ٤٣ ، ٤٤ .

وتحويلها الى حركة اصلاحية مطلبية تابعة « لاتحاد النقابات الدولى الحر » فى بروكسل الذى كانت تسيره وكالة المخابرات الأمريكية .

لقد كرس باذيب جزءا من طاقته لمحاربة هذه القيادة الانتهازية الخطرة ، وكتب فى هذا الصدد العديد من المقالات اللاهبة التى عرى بها حقيقتها ، وفضحها أمام العمال وأمام الحركة الوطنية بمجملها .

الاتحاد الشعبى الديمقراطى ليس حزبا شيوعيا :

كان التيار الماركسى قد غدا فى مطلع الستينيات أقوى نفوذا وسط الحركة العمالية ، ولا سيما مع تراجع موجة العداء للشيوعية التى كانت قد عمت الوطن العربى مع نهاية الخمسينيات ، مما شجعه على تاطير نفسه فى « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » الذى أعلن تأسيسه فى ٢٢ أكتوبر ١٩٦١ ، والذى أصبح عبد الله باذيب أمينا عاما له .

على أن ما ينبغى لفت الانتباه اليه هو أنه رغم أن هذا التنظيم كان نظريا وعمليا خاصا بالماركسيين اليمنيين فى عموم الساحة اليمنية ، ورغم أنه أعلن فى ميثاقه الوطنى استرشاده بمبادىء الاشتراكية العلمية كدليل للعمل ، الا أنه حرص على الا يعتبر نفسه حزبا شيوعيا « لا خيفة ردود الفعل المسعورة المحتملة من قبل كل القوى الاستعمارية والمتخلفة والرجعية والمحافظة ، وانما بالدرجة الأولى مراعاة لظروف الواقع الموضوعى والسياسى ، الاجتماعى والطبقى ، الذى لم يكن قد نضج بعد لقيام واعلان مثل هذا الحزب ، وتعبيرا أيضا عن مدى اهتمام هؤلاء الماركسيين بعدم اثارة حساسية الأطراف الوطنية الأخرى ، التى كانوا يعملون على نسج علاقات التعاون والتحالف معها ، ويجهدون فى توفير المناخات الملائمة من أجل ذلك ، بل ويسعون الى اجتذاب

العناصر المتقدمة الوعى فيها الى صف تنظيمهم التقدمى هذا »(٤) •

ولقـد صاغ « الميثاق الوطنى » ذلك بعبارات واضحة : « وايمانا بذلك كله ، وحرصا منها على القيام بدورها الوطنى بشكل فعال ، رأت بعض العناصر الوطنية الديمقراطية المستقلة تشكيل « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » • وهـذا الاتحاد ليس حزبا ، وانما هـو تجمع وطنى يقبل ويرحب بأى عنصر وطنى مستقل يؤمن بمبادىء الاتحاد ويتبنى الميثاق الوطنى التالى كبرنامج للعمل »(٥) •

لا حاجة للاشارة هنا الى أن هـذا الميثاق كان من صياغة عبد الله باذيب ، شأن الكثير من الوثائق التى أصـدرها تنظيمة • ان ذلك ما يؤكده رفيق دربه والرجل الثانى فى تنظيمه أحمد سعيد باخبيره : « وقد صاغ عبد الله باذيب « الميثاق الوطنى » للتنظيم الجـديد ، ووضـع شعاره الرئيسى : « نحو يمن حر ديمقراطى موحـد » •

كان باذيب ورفاقه يدركون جيدا أنه رغم اعتلاء الطبقة العـاملة اليمنية مسرح الأحـداث ، الا أن ضعفها الكمى والنوعى ، وعـدم تصفية التيار الانتهازى الأصنجى نهائيا من صفوفها ، ومن قيادتهـا خاصة ، وتوزعها بين مختلف الأطراف الوطنية والحزبية ، ناهيك عن تخلف البنية الاجتماعية — الاقتصادية — أن ذلك كله لا يسمح باعلان التنظيم المـاركسى الوليد حزبا شيوعا •

---

(٤) الخروج من نفق الاغتراب واحـداث ثورة ثقافية فى اليمن ، د• محمد على الشهارى ، بيروت ، ١٩٨٣ ، ص ٦٦٢ — ٦٦٣ •

(٥) عبد الله باذيب كتابات مختارة ، الجزء الثانى ، بيروت ، ١٩٧٨ ، ص ١٨٧ •

لماذا جمد باذيب الاتحاد الشعبي الديمقراطي :

ظل السعي نحو توحيد أطراف الحركة الوطنية ، والعمل من خلالها ، هو هم عبد الله باذيب الأساسي •

وعندما قامت ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ في شمال الوطن اليمني ، بقيادة الضباط الأحرار ، وتلتها ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٧٣ بقيادة الجبهة القومية ، بدأ لباذيب ورفاقه — أكثر من أي فصيل آخر — أن مرحلة تاريخية جديدة في النضال الوطني والديمقراطي قد أطلت ، وان امكانيات جديدة قد توافرت ليس فقط من أجل توحيد أطراف الحركة الوطنية في هذا الشكل أو ذاك من أشكال التوحيد الممكنة ، وانما أيضا من أجل التقارب السياسي والفكري بين أكثرها ديمقراطية وثورية •

وكما كتب أحمد سعيد باخبيره : « عندما قامت ثورة ١٤ أكتوبر المسلحة ، ظل الكثيرون لفترة غير قصيرة بعد انطلاقها من قمم ردفان يعتقدون أنها مجرد واحدة من الانتفاضات القبلية التي شهدتها المنطقة قبل ذلك ولم تلبث أن قمعتها بريطانيا بالحديد والنار • هذا فضلا عن القوى السياسية التقليدية التي ناصبت الثورة العداء ، ليس عند بدء قيامها فحسب ، ولكن في مختلف مراحلها ، وسواء بالمكشوف أو من خلال الأساليب الملتوية التي استهدفت احتواءها أو حرفها عن مسارها الصحيح •

ولكن عبد الله باذيب كان في طليعة القوى الشريفة التي أيدت الثورة المسلحة بقيادة الجبهة القومية فور تباشيرها الأولى • لقد اكتشف فيها منذ البدء طريق الخلاص الحقيقي للشعب من نير الاستعمار البريطاني وحلفائه السلاطين والعملاء المحليين • واستطاع بوعيه ونظرته البعيدة الثاقبة وتحليله الصائب لطبيعتها وللظروف التي تهيأت

لهـا والعوامل المؤثرة فيها محليا وعربيا وعالميا أن يصل مبكرا الى قناعة كافية بأنها ثورة تملك شروط البقاء والتطور والانتصار »(٦) •

لم تكن هناك فرص لقيام جبهة وطنية عريضة لا على نطاق الساحة اليمنية كلها ولا فى حـدود كل شطر • فالصراع بين أجنحـة حركة التحرر الوطنى العربية : الناصرية ، البعث ، حركة القوميين العرب ، الشيوعيين ، كان قـد انتقل الى اليمن حتى من قبل قيام ثورتيها • وظروف اليمن الخاصة الموضوعية والذاتية أضافت تعقيدا جـديدا الى هـذا المناخ المحموم •

ومع ذلك أمكن نسج خيوط خفية بين عبد الله باذيب وبين عناصر من الصف المتقـدم فى الجبهة القومية كان عبد الفتاح اسماعيل على رأسها ، هـذا الصف الذى كان قـد شرع فى الاطلاع — سرا — على التراث المـاركسى •

وزيادة فى الاقتراب والتقارب مـع الجبهة القـومية ، ولتخفيف حساسية العناصر التى كانت قـد عرفت بمواقفها المناهضة للماركسية والمـاركسيين فيها ، وايمانا بأن وحـدة العمل الكفاحية كفيـلة بخلق علاقات جـديدة بين قوى الثورة ، وبفتح الطريق — فى آخر الأمر — لوحـدتها السياسية ، فأن باذيب جمد تنظيمه السياسى ، فى سـعى منه ورفاقه للعمل من خلال الجبهة القومية •

تلك كانت خطوة لم يقم بها من قبل أى تنظيم مماثل ، ذلك أن الظروف التى حتمتها فى اليمن لم يكن هناك ما يشابهها خارج اليمن •

تلك كانت واحـدة من مبادرات باذيب المبتكرة التى كان يدفعـه

---

(٦) نفســه ، ص ٢٤ •

اليها ليس فقط الحرص على توحيد قوى الثورة فى مرحلة التحرر الوطنى ، وانما أيضا الحرص على أن يساعد ذلك على توحيدها فى شكل تنظيمى أعلى فى مرحلة التحويل الثورى الديمقراطى ، بلوغا الى صبها ودمجها فى كل ثورى واحد ، فى حزب طليعى واحد ، هو وحده القادر على تحويل الثورة الديمقراطية الى ثورة اشتراكية ، وعلى اعادة اللحمة الوطنية ، وتحقيق اليمن الديمقراطى المتحرر الموحد .

كتب باخبيرة فى هذا الصدد : « ونظرا للظروف الداخلية العربية التى حالت دون قيام العلاقات المباشرة بين تنظيم الثورة وتنظيم عبد الله باذيب ورفاقه فور انطلاق الثورة ، فقد قرر عبد الله باذيب ورفاقه تجميد العمل بأسم تنظيمهم « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » سعيا منهم الى التغلب على تلك الظروف ، وازالة موانع الالتقاء ، وتسهيل امكانية التلاحم مع التنظيم القائد للثورة . وكان هذا الموقف منسجما تماما مع المواقف المبدئية والعملية التى اتسمت بها قيادة عبد الله باذيب للاتحاد الشعبى الديقراطى والتى لم تكن تعرف التعصب الحزبى الضيق ، بل تعطى المصلحة الوطنية العليا الاعتبار الأول .

وقد كان هذا الموقف استشرافا عميقا وبعيد المدى لآفاق المستقبل ، وأثمر بالفعل وبسرعة الكثير من أشكال التلاحم والعمل المشترك على الصعيد السياسى والجماهيرى ، وخاصة فى الحركة العمالية . وقامت بين عبد الله باذيب والقيادات التقدمية فى الجبهة القومية ، وخاصة الرفيق عبد الفتاح اسماعيل ... لقاءات وصلات وطيدة .

وعندما أصدر عبد الله باذيب صحيفة « الأمل » الأسبوعية فى يونيو ١٩٦٥ م ، استخدم هذه الامكانية العلنية بذكاء وفعالية لمصلحة الثورة . فقد رفعت الصحيفة مشعل الثورة ، وخاضت معاركها بثبات

على الصعيد السياسي والأيديولوجي سواء في جبهة الصراع مع المستعمر البريطاني وعملائه ومخططاته السياسية المشبوهة ، أو في جبهة الصراع مع القوى السياسية التقليدية التي كانت لا تزال ذات مواقـع هامة وقوية في الحركة السياسية العمالية • وكان انتزاع الثورة لتلك المواقع من القيادات اليمنية والاصلاحية والانتهازية يشكل ضرورة حيـوية للثورة وعنصرا هاما من عناصر انتصارها على المستعمر •

لقـد لعبت « الأمل » دورا بارزا في فضح ومقاومة السياسات الاستعمارية والمعـادية للثورة ، وفي الدفاع عن نضالات العمـال والفلاحين ، واعطائها المضمون الطبقي الجـديد والمبرر الأيديولوجي ، ممـا ساعد العـديد من المناضلين على الانتقـال الى مواقـع الفكر الاشتراكي العلمي »(٧) •

أما « التقرير السياسي للجنة المركزية للاتحاد الشعبي الديمقراطي المقـدم الى المؤتمر العام الثاني ١٨ — ٢٠ يوليو ١٩٧٥ » فانه يصوغ هـذه العلاقة الخاصة التي أخـذت تنشأ بين باذيب ورفاقـه وبين الجبهة القومية على النحو التالي : « ومع ذلك ورغم أن القيادة المسيطرة على تنظيم الثورة في ذلك الوقت قـد نجحت في ابقاء المـاركسيين خارج الجبهة القومية تنظيميا ، فأننا لابد أن ننوه ، للانصاف والأمانة التاريخية ، بأن موقف تلك القيادة لم ينطبق على القيادات الثـورية الشابة الجـديدة التي فرزها تطور الثورة والتي كانت تقـود النضال الفعلي في الداخل ، والتي كانت قـد أخـذت تتحول نحو الانتقال الى مواقع الفكر الاشتراكي العلمي ، فقـد قامت بين قيادة هؤلاء وبين قيادة الفصيل المـاركسي ، في وقت لا حـق من قيام الثورة ، وخاصة بعـد صـدور صحيفة « الأمل » لقاءات ومشاورات تتعلق بقضـايا

---

(٧) نفســه ، ص ٢٥ .

الثورة ، بل وقامت حوارات تبحث امكانية الالتقاء التنظيمي ضمن الجبهة القومية • ولكن هـذه الحوارات لم يكتب لهـا أن تستمر وتثمـر بسبب الأزمات والمشاكل التي واجهت الجبهة القـومية ، وشغلتها عما عـداها ، والتي امتدت منذ « الدمج » المشئوم في مطلع عام ١٩٦٦ حتى حركة ٢٢ يونيو التصحيحية في منتصف عام ١٩٦٩ » • (ص ١٥) •

وحـدة عمل بين باذيب ورفاقه وبين الجبهة القومية :

على أن موقف باذيب ورفاقه من عملية الدمج التعسفي في اطـار « جبهة تحرير الجنوب اليمني المحتل » التي جاءت لصالح القوى الانتهازية التي عبر عنها عبد القوى مكاوى وعبد الله الأصنج ، هـذه العمليـة التي تمت في ١٣ يناير ١٩٦٦ بضغط من أجهزة الاستخبارات المصرية في اليمن التي أفزعها النهج الجـذري الذي أخـذت تتبعه الجبهة القومية ، هـذا الموقف التضامني مع الجبهة القومية وحقهـا في الانفصال عن جبهة التحرير ، والاستمرار في قيادة الثورة قـد عمق الصلة الخاصة التي أخـذت تنشأ بين رفاق باذيب وبين الجبهة القومية •

وكما كتب باخبيره : « وبعـد عملية « الدمج » في ١٣ يناير ١٩٦٦ وقفت « الأمل » بشجاعة الى صف القوى الحقيقية للثورة ، ودافعت عن استمرار وتعميق الخط الصحيح للثورة • وظلت تفتح صفحاتها لنشر البيانات القيادية والقاعـدية للجبهة القومية ضـد أوضاع الدمج • وتبنت التحركات والمظاهرات التي كانت تقودها منظمات الجبهة القومية في الداخل من أجل الانسلاخ عن جبهة التحرير ، والعودة الى العمـل المستقل باسم الجبهة القومية •

وقـد دفع هـذا قوى الثورة المضادة الى احراق المطبعة التي كانت تطبع صحيفة « الأمل » في الشيخ عثمان ، وتهـديد جميع المطابع

الأخرى بنفس المصير اذا قبلت طباعة « الأمل » لديها ، كما ألقيت بعد ذلك قنبلة على منزل عبد الله باذيب فى « كريتر » .

وفى وقت لاحق استدعى عبد الله باذيب الى القاهرة بواسطة بعض الشخصيات اليسارية البارزة لاستطلاع رأيه فى حقيقة الموقف . وقد قابل الرئيس الراحل عبد الناصر الذى استوضحه عن القوة الحقيقية ذات « الثقل » الشعبى فى الداخل ، فشرح له عبد الله باذيب أن القوة التى تتمتع « بالثقل » الحقيقى على الصعيد النضالى والجماهيرى هى « الجبهة القومية » .

كما كتب عبد الله باذيب فى « روز اليوسف » موضحا المفهوم الصحيح للوحدة الوطنية المطلوبة ، وان تكون ذات محتوى وطنى واجتماعى ثورى تطور وتعمق الخط الذى سلكته ثورة ١٤ أكتوبر .. لا وحدة ترتد بها الى الوراء .

وعمل عبد الله باذيب فى تلك الفترة العصيبة من حياة الثورة على الاتصال بالقوى التقدمية فى الوطن العربى وخارجه لاعطائها الصورة الصحيحة عما يدور على ساحة الصراع السياسى فى الجنوب اليمنى المحتل »(٨) .

لقد أشاد عبد الفتاح اسماعيل الذى كان يمسك بالطرف الآخر من الخيط ، بغية تكتيل قوى الثورة وتوحيد موقفها النضالى ، كخطوة أولى على طريق توحيدها فى تنظيم سياسى واحد ، رؤى فى البداية أن يكون هو الجبهة القومية ذاتها — أشاد بدور عبد الله باذيب هذا وبدور صحيفته « الأمل » التى تحولت الى منبر سياسى ودعائى للثورة

(٨) نفسه ، ص ٢٦ .

وتنظيمها القائد : « ولقـد كانت صحيفة « الأمل » التى رأس تحريرها رفيقنا الراحل ذلك الصوت المعبر عن الثورة الشعبية المسلحة ونضالات الجماهير فى المدن والأرياف الذى كشف سياسة المستعمرين ومخططاتهم التآمرية ، وكل من وقف معهم من العملاء والانتهازيين »(٩) ٠

تلاحم نضالى من خلال النقابات الست :

كان النضال المشترك بين باذيب ورفاقه وبين الجبهة القومية يتخـذ أشكالا مختلفة ٠ وكان تلاحمهما على صعيد الحركة العمالية وتوجيهها الضربات ضـد القيادة الاصلاحية الانتهازية ، ومن خلال النقابات الست التى هيمنت عليها الجبهة القومية ، كان ذلك شكلا من أشكال وحدة العمل التى أخـذت تقرب أكثر فأكثر بين رفاق الدرب الواحـد ٠

ولقـد شرع عبد الله باذيب قلمه الصارم ضـد هـذه القيـادة وضـد الصحف المتشيعة لهـا كصحيفة « العمال » : وفى مقال بعنوان « النقابات الست هى المؤتمر العمالى » كتب : « لقـد ضايقهم فيما يبدو اننا تحـدثنا فى أسبوع مضى عن اتجاهين فى الحركة النقابية ، اتجـاه ثورى طليعى تقـدمى ، واتجاه انتهازى يمينى اصلاحى » ٠

وقالوا : « ان هنـاك حمـلة شرسـة لتمزيق الوحـدة التنظيمية للطبقة العاملة » ٠ وهم يقصدون بذلك موقف النقـابات الست من « قيـادة » المؤتمر ٠

وهـذا ببساطة كذب وتشويه للحقيقة ٠

ان المؤتمر العمالى ليس ملكا للقيادة الحاليـة ٠ وليست هـذه القيادة هى المؤتمر ٠ واذا كانت القيـادة تسير فى خط منـاف لمصالح

---

(٩) نفسـه ، ص ٨ ٠

العمال ، فأن من حــق العمال أن يغيروها ، وان ينتخبوا القيادة التى يثقــون بهــا .

وليست النقابات الست ، بل هى قيادة المؤتمر التى تريد تخريب وحــدة الطبقة العاملة ، والتى تخــلق عــدم الانسجام والتنافر فى الحركة النقابية ، والتى اضطرت جماهير العمال الى خلق طار تنظيمى جــديد لهــا يتمثل فى النقابات الست ، وذلك بفرض نفسها على المجلس التنفيذى للمؤتمر العمالى وعلى بعض النقابات بطرق غير شرعية وبواسطة انتخابات مزيفة أو بمنع اجراء الانتخابات فيها ، بحجة أن الســلطات تمانع فى ذلك .

وينبغى القول أن المهم ليس هــو الاطار التنظيمى فى ذاته ، بل الروح والمضمون ، الذى يحتويه هــذا الاطــار ، كما أن الاطــارات التنظيمية ليست أشياء ثابتة وجامدة ، بل هى تصنع وتكتسب خــلال العمل والنضال . ولقــد تكونت النقابات الست ونمت فى المعركة ضد الاستعمار والاحتكارات ، وداخل اطار المؤتمر العمالى نفسه وكتجــديد وتطوير له ، وبمعنى آخر فأن اطار النقابات الست ســـيكبر ويتسع ويعكس نفسه على اطار المؤتمر العمالى .

وهل هناك من لديه أدنى شك اليوم فى أنه لو أجريت انتخابات حرة فى المجلس التنفيذى للمؤتمر وفى بعض النقابات التى تسيطر عليها عناصر « قيادة » المؤتمر الحالية لاختفت قيادة المؤتمر ولمــا أصبح لدينا شىء اسمه النقابات الست ، بل أصبح لدينا نقابات منسجمة متجانسة ،

ولسوف يحــدث هــذا سواء أرادت قيادة المؤتمر أم لم ترد . وسواء بقى يساريو جريدة « العمــال » على يمين الحركة العمالية أو

انتقلوا حقا الى مواقع اليسار »(١٠) .

ويلخص « التقرير السياسى للجنة المركزية للاتحـــاد الشعبى الديمقراطى المقـــدم الى المؤتمر العام الثانى ١٨ — ٢٠ أولأو ١٩٧٥ » هـــذا التلاحم النضالى على الصعيد العمالى بين الفريقين بقوله :

« وفى الحركة الجماهيرية بوجه عام ، والعمالية بوجه خاص ، لعبت العناصر المـــاركسية دورا بارزا ومشرفا ، وتحققت بينها وبين عناصر الجبهة القومية وحـــدة عمل مشترك قـــوية وفعالة . وقـــد استشهد الرفيق عبد الله عبد المجيد السلفى ، أحـــد العناصر القيادية والوجوه البارزة فى الاتحاد الشعبى الديمقراطى ، والذى أسهم بدور فعال فى تأسيس وقيادة التيار العمـــالى الثـــورى الجـــديد (حركة النقابات الست) ، استشهد برصاص القـــوى اليمينية الانتهازية الحاقـــدة فى ٢٨ أبريل ١٩٦٦ دفاعا عن الثورة ، ومن أجل انتصار خطها التقدمى ، وبسبب نشاطه الديناميكى فى التصـــدى للقوى السياسية الانتهازية التى كانت تسيطر على الحركة النقابية ، وتعمل باستماتة لعزل الطبقـــة العاملة عن ثورة ١٤ أكتوبر » . (ص ١٥ — ١٦) .

فى خندق واحـــد ضـــد اليمين الانتهازى :

وبعـــد الاستقلال الوطنى فى ٣٠ نوفمبر ١٩٦٧ ، وهيمنة يمين الجبهة القومية على مقاليـــد السلطة ، ومحاولته افراغ الثـــورة من محتواها ، وضرب القوى التقـــدمية داخل وخارج الجبهة القـــومية ، فأن الجبهة القومية والاتحاد الشعبى الديمقراطى ، بل وفصيل البعث

---

(١٠) عبد الله باذيب ، كتابات مختارة ، الجزء الثانى ، ص ١٥٧ — ١٥٨ .

هـذه المرة ، وجـدوا أنفسهم فى خندق يضالى واحـد فى مواجهـة اليمين ، مما أرسى أساسا جـديدا لوحـدة هـذه الفصائل الثلاث فى تنظيم موحـد شرع الحوار حوله فور الاطاحة باليمين بحركة ٢٢ يونيو ١٩٦٩ المجيدة •

يوجـز « التقـرير السياسى » الآنف الذكر هـذه الوحـدة النضالية بين الجبهة القومية والاتحاد الشعبى الديمقراطى كما يلى :

« وقـد شارك الاتحاد الشعبى الديمقراطى فى النضـال على مختلف الجبهات السياسية والجماهيرية وبين صفوف العمال والشباب والطلاب ، ومن خلال امكانات النشر العلنية المحـدودة لديه ، شارك بشكل دؤوب فى فضح جمود وتردد سلطة ما بعـد الاستقلال وخنقها للحريات ، وركز دائمـا على المهـام والتدابير الجـذرية التى يتطلع الشعب الى انجازها كيما تسير الثورة فى الطريق الصحيح • وقـد أدان حركة ٢٠ مارس علنا وفى حينها • كما كان أول من أنتقـد قانون الاصلاح الزراعى الهزيل الذى صـدر بعـد أيام قليلة من حركة ٢٠ مارس ، وعرى فى نفس الوقت الهـدف السياسى وراء اصـدار ذلك القـانون وهـو محـاولة امتصاص النقمة الجماهيرية الواسعة التى خلقتها حركة ٢٠ مارس سيئة الذكر •

لقـد ساهم الاتحاد الشعبى الديمقراطى فى تشديد عزلة الحكم ، ولم تكن اللقاءات والمشاورات لتنقطع بين قيادييه وبين الرفاق التقدميين فى الجبهة القومية طوال تلك الفترة من حكم سلطة ما قبل ٢٢ يونيـو ١٩٦٩ • وقـد واجه الاتحاد الشعبى الديمقراطى خلال ذلك الكثير من التضييق والملاحقة واعتقل عـدد من عناصره البارزه عند قيام حركة ٢٠ مارس » • (ص ٢٤ — ٢٥) أمثال عبد الله باذيب ، تماما كما حدث لعبد الفتاح اسماعيل وعناصر أخرى من رفاقه ومن منظمة البعث •

يقول عبد الفتاح اسماعيل فى هـذا الصـدد : « وبعـد احراز الاستقلال الوطنى ، وفى فترة عصيبة تعرضت فيها الثـورة لسيطرة اليمين الانتهازى ، وقف الرفيق عبد الله باذيب الى جانب التيار التقدمى فى التنظيم السياسى — الجبهة القومية ، حتى فجر حركة ٢٢ يونيـو ، تلك الحركة التصحيحية المجيدة التى قادها التيار القـدمى ، واعاد لثورة ١٤ أكتوبر وجهها الحقيقى التقـدمى المشرق ، ورسم ملامـح مستقبلها السياسى والطبقى والأيديولوجى ، والتى شكلت بانتصارها البداية الوطيدة لتأسيس وحـدة ثابتة لفصائل العمل الوطنى الديمقراطى فى بلادنا »(١١) .

دعـوة باذيب لاقامة تنظيم طليعى واحـد :

كان « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » قـد وقف وقفة خاصـة أمام ضرورة توحيد الفصائل الثورية الثلاث بعـد الاستقلال مباشرة ، حيث نادى فى برنامجه السياسى الجـديد الذى أصـدره فى ٣١ يناير ١٩٦٨ ، والذى حمل عنوان « وجهة نظر حول المرحلة الراهنة : ثورة ١٤ أكتوبر ، طبيعتها ، مهماتها ، وآفاق المستقبل » بوحـدة هـذه الفصائل فى اطار تنظيمى واحـد .

لا محيص هنا من ايراد الفقرات الخاصة بذلك :

« ان السير ببلادنا فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ونحـو الاشتراكية يتطلب وحـدة وتلاحم جميع القوى والفصائل الثـورية والتقـدمية فى البلاد داخل اطار تنظيمى واحـد يسترشد بمبادىء الاشتراكية العلمية . ومثل هـذا التنظيم هو وحـده القادر على قيادة

---

(١١) اربعون يوما على وفاة القائد والوطنى والعمالى الخالد عبد الله عبد الرزاق باذيب ، ص ٨ .

الثورة الى أهـدافها الساطعة ، وهـو الشكل المناسب للديمقراطية فى بلادنا ، فلا توجـد فى بلادنا تقاليد حزبية متأصلة ، وخلال الكفـاح المشترك التحمت عمليا جميع فصائل الثورة والتقـدم فى مجتمعنا ، وأسهمت جميعها فى الثورة المسلحة وانتصارها . ولقـد كان التطـور المنطقى والطبيعى للثورة يحتم أن تلتحم هـذه الفصـائل عضويا فى تنظيم واحـد . واذا كان ذلك قـد تعـذر قبل انتصار الثورة المسلحة فليس هناك ما يمنع ذلك الآن .. بل يجب أن لا يكون هناك ما يمنع ذلك » .

وتنبه الوثيقة التى تولى عبد الله باذيب صياغتها الى أن ضـيق الأفق البرجوازى الصغير هـو وحـده الذى يمكن أن يحول دون ذلك ، وهى اشارة موجهة الى يمين الجبهة القومية الحاكم : « أن مصلحة ثورتنا تتطلب التخلى عن الأفكار الحزبية الضيقة وعن عوامل الحـذر والخوف من المـاركسيين ، والتخلص من روح التردد والتذبذب والخـوف من انطلاقه الجماهير ، والتخلص من كل ما هـو من طبائع وصـفات البرجوازية الصغيرة صاحبة الأوهام الضارة عن امكانية بناء الاشتراكية بدون الاشتراكيين وفى غياب حزب طليعى يسترشد بمبادىء الاشتراكية العلميـة » .

وتلفت الوثيقة الانتباه الى التجارب الثورية التى أحبطت أو تعثرت فى العالم النامى ، بما فى ذلك بعض البلدان العربية ، بسبب عـدم رص قـوى التقـدم فى حزب طليعى كهـذا :

« ولقـد أثبتت تجارب شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية ، ومنها شعوبنا العربية ، مدى ضرر هـذه الأوهام . وحيث لم يقم بعـد مثل هـذا الحزب ، فأن الايمان يزداد بضرورة قيامه وضرورة أن يحتل

الاشتراكيون العلميــــون مكانهم الطليعى فى عملية البناء الثــــورى الاشتراكى •

يجب أن لا نكرر تجارب فاشلة مرت بها الشعوب الأخرى ، ومنها بعض شعوبنا العربية • يجب أن نبــــدأ من حيث انتهت تجربة مصر وسوريا ، لا من حيث بدأت • ويجب أن نستخلص منها كل الدروس والعبر ، وان نستفيد من ايجابياتها وننبذ سلبيأتها » •

وتؤكد الوثيقة أن من الشروط الأساسية والحاسمة للسير « نحو الاشتراكية بانجــاز مهمات الثــورة الوطنية الديمقراطية « ثورة ١٤ أكتوبر » « وحــدة وتلاحم جميع القوى والعناصر الثورية والتقــدمية داخل الجبهة القــومية وخارجها فى تيظيم واحــد يسترشد بمبادىء الاشتراكية العلمية »[١٢] •

دور باذيب فى قيام التنظيم السياسى الموحــد ـ الجبهة القومية :

من ناقلة القول الاشارة الى أن العلاقات الطيبة التى نشأت منذ فترة الكفاح المسلح بين عبد الله باذيب وبين عبد الفتاح اسماعيل الذى أصبح أمينا عاما للجبهة القومية بعــد نجاح حركة ٢٢ يونيو التصحيحية ١٩٦٩ ، وتأثير ذلك على حزب البعث الذى تحول الى حزب الطليعــة الشعبية بعــد انسلاخه عن البعث الأم وتبنيه للفكر الاشتراكى العلمى ـ ن ذلك قــد ساعد على اقتراب الفصائل الثلاث من بعضها بعضا ، وتوحيد المنظمات الشبابية والطلابية التابعة لهــا ، تمهيدا لوحــدتها التنظيمية التى أقرت بتوقيعها على اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ ، الذى قام على أساسه فى أكتوبر من ذات العام التنظيم السياسى الموحــد ـ الجبهة القومية الذى غــدا عبد الفتاح اسماعيل أمينا عاما له •

---

(١٢) عبد الله باذيب ، كتابات مختارة ، الجزء الثانى ، ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ •

كتب باخبيره حـول ذلك : « وفى منتصف ١٩٧٠ بدأ الحـوار الفعلى بين الفصائل الثلاث حول الشكل الملائم لوحـدتها التنظيمية .

وقـد لعب عبد الله باذيب دورا مخلصا وفعالا فى مناقشة وبلورة الصيغة التوحيدية المنبثقة من معطيات وخصائص الواقع فى بلادنا — واتسم موقفه بالاصرار والتصميم على تذليل الصعوبات وبلوغ الهدف العظيم للحـوار .

وكقائد محنك يعى الأهمية القصوى لوحـدة القـوى الثـورية والآثار الايجابية القريبة والبعيدة التى ستترتب عليها بالنسبة لوطنه وجماهير شعبه ، فقـد كان يتصرف بحكمة ومرونة ومسئولية . وساعد كثيرا على تقريب وجهات النظر ، وتغليب وتعميق نقاط الالتقـاء ، كما أعار اهتماما خاصا لتحقيق وتوطيد وحـدة عمل الفصائل الثلاث على صعيد المنظمات الجماهيرية ، كسبيل يمهـد الطريق ، ويهىء المنـاخ الأكثر ملاءمة أمام تحقيق الوحـدة التنظيمية لهـذه الفصائل .

وكان عبد الله باذيب من أسعد الناس يوم كان يضع توقيعه على اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ م الذى توج عملية الحوار بالموافقة النهائية على أسس وحـدة الفصائل الثلاث فى اطار التنظيم السياسى الموحـد —

ومنذ ذلك الحين وحتى لحظة وفاته فى ١٦ أغسطس ١٩٧٦ سعى بكل جهـده وطاقته وما يملك من امكانيات سياسية وفكرية من أجـل انجاح التجربة الجـديدة وصيانتها وتوطيد دعائمها ، وتهيئة الظروف والأسس اللازمة لبناء الحزب الطليعى » .

« وبعـد قيام التنظيم السياسى الموحـد — الجبهة القومية —

اختير عبد الله باذيب عضوا فى لجنتـــه المركزية وفى المكتب السياسى وسكرتيرا لدائرة الثقافة والاعلام فى سكرتارية اللجنة المركزية ، وخلال الفترة القصيرة التى تولى فيها عبد الله باذيب هــذا المنصب كان دائب التفكير والنشاط من أجل ارساء أساس متين للعمل الأيديولوجى فى الحياة الداخلية للتنظيم . وكان يرى أن نقطة الانطلاق ينبغى أن تكون فى تعزيز شبكة التثقيف الأيديولوجى والسياسى والمدارس الحزبية القائمة ووضع البرامج والخطط الكفيلة بالنهوض بهــذه الأجهزة الحزبية على نحو يؤدى الى الارتفاع بالمستوى الأيديولوجى والسياسى لأعضـــاء التنظيم ، ويهيىء المناخ الملائم للانتقال الى الحزب الطليعى .

وفى هــذا الاتجاه أشرف عبد الله باذيب بشكل فعال على اعــداد عــدد من الوثائق الهامة فى مجال التثقيف السياسى والأيديولوجى كان الفقيد يعتقد أنها ستشكل نقلة فى الحيـــاة الفكرية للتنظيم السياسى الموحـــد ــ الجبهة القومية ــ .

على أن من أهم ما كان يميز نشاط عبد الله باذيب أثناء توليـــه لهــذا المنصب هــو الاهتمام الكبير الذى كان يوليه لصحيفة « الثورى » اللسان المركزى للتنظيم السياسى الموحـــد ــ الجبهة القومية ... وكان هــذا الاهتمام نابعا من ايمانه بأن هــذه المسألة تشكل حجر الزاوية فى النشاط الأيديولوجى والسياسى للتنظيم » .

« وفى الأيام الأخيرة لحياة القائد الراحل كان شــديد الحرص على الانتهاء من التقرير المكلف بتقــديمه الى الدورة الرابعــة للجنة المركزية للتنظيم السياسى الموحــد حول العمل الأيديولوجى وواجبات أعضـــاء التنظيم بهــذا الصدد .. وقبل ساعات فقط من وفاته أكمل عبد الله باذيب وضع اللمسات الأخيرة على التقرير وسلمه كاملا الى سكرتارية اللجنة المركزية . ولم يكن فقيدنا الراحل يدرى حينئذ أنه بتقــديمه

هـذا التقرير كان يقـدم آخر عطاءاته لشعبه الذى أحبه وتنظيمه الذى أسه مبدور بارز فى بنائه وللأفكار العظيمة التى كرس كل حياته من أجل انتصارها وانتشارها فى ربوع يمننا الحبيب »(١٣) •

أما شهداة عبد الفتاح اسماعيل فكانت كما يلى : « وبعـد انتصار هـذه الخطوة (خوطة ٢٢ ينويو التصحيحية — الكاتب) كان للرفيق باذيب دور بارز فى الحـوار الديمقراطى وانجاحه من أجـل الوحـدة الأيديولوجية والسياسية والتنظيمية لفصائل العمل الوطنى الثلاث وقيام التنظيم السياسى الموحـد الجبهة القومية الذى أصبح الرفيق باذيب واحـدا من أبرز قادته •

كما لعب الرفيق باذيب من خلال نضاله الدؤوب والمخلص دورا مهما لتثبيت وتعزيز قضايا الثورة والسلطة الوطنية الديمقراطية ونصرة قضايا الكادحين والدفاع عن مكاسبهم التقـدمية » •

« كما شهد التحول الثورى لمسار ثورة ١٤ أكتوبر بعـد انتصار خطوة ٢٢ يونيو التصحيحية ، وتتويج هـذا التحول بوحـدة فصائل العمل الوطنى الثلاث ، وقيـام التنظيم السياسى الموحـد الجبهـة القومية • وكان يتطلع الى قيام الحزب الطليعى اليمنى الواحـد ، وتحقيق أهـداف استراتيجية الثورة اليمنية فى ظـل الوطـن اليمنى الموحـد ، ولكن الموت أخـذه قبل أن يتحقق هـذان الهـدفان النبيلان ، الا أن كل رفاق باذيب فى تنظيمنا السياسى الموحـد الجبهة القـومية سيواصلون النضال من أجل بناء الحزب الطليعى اليمنى ، صمام الأمان للثـورة وقائدها فى تحقيق كامل أهـداف استراتيجية الثـورة اليمنيـة »(١٤) •

---

(١٣) المصـدر الأسبق ، ص ٢٨ — ٢٩ ، ٣٠ ، ٣١ •
(١٤) نفسـه ، ص ٨ ، ٩ •

لم تكن تلك محض أحلام أو نبؤات ثورية . فقد تحقق أحد هذين الهدفين النبيلين بالفعل ، حيث قام الحزب الطليعي الذى ناضل من أجله هذان الزعيمان الثوريان ، وغدا عبد الفتاح نفسه أمينا عاما له .

وبقيام هذا الحزب القائد للمسيرة النضالية توفراهم شرط ذاتى وسياسى لتحقيق كامل أهداف استراتيجية الثورة اليمنية فى التحرر الوطنى ، والتقدم الاجتماعى الشامل ، والديمقراطية السياسية الواسعة ، والوحدة اليمنية التامة ، والاشتراكية والسلام .

تقييم امين عام الحزب الاشتراكى اليمنى لدور باذيب فى خلق الأداة الطليعية الواحدة :

على أن هذا العرض العام والمركز والسريع لدور عبد الله باذيب النضالى من أجل قيام الحزب الطليعى ، تمكينا لثورة ١٤ أكتوبر ، والثورة اليمنية عموما ، من ايجاز كامل مهامها القريبة والبعيدة ، لا يكتمل دون التوقف أمام ذلك التقييم الهام الذى قدمه الأمين العام للجنة المركزية للحزب الاشتراكى اليمنى الرفيق على سالم البيض لهذا الدور .

ففى الحديث الذى أجرته معه صحيفة « الثورى » فى ٢١-٦-١٩٨٦ بمناسبة الذكرى السابعة عشرة لقيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية يقول الرفيق الأمين العام جوابا على سؤال « الثورى » « من المهم أن نصحح بعض أفكار السؤال فى بداية الأمر .. وهو أن الحوار الديمقراطى بين الفصائل الثلاث لم يبدأ بعد خطوة ٢٢ يونيو .. بل أنه بدأ فى واقع الأمر قبل قيام الثورة ، وأثناء الكفاح المسلح ، حيث جرت محاولات دؤوبة من قبل عدد من الرفاق القياديين فى حركة القوميين العرب قبل تشكيل الجبهة القومية ، وفى قيادة الجبهة القومية

بعـد تشكيلها ، وفى مقـدمتهم الشهيد عبد الفتاح اسماعيل مع قادة هـذين الفصيلين بهـدف اقناعهما فى الانخراط فى الكفـاح الشعبى المسلح ضـد الاستعمار والسلاطين ٠

والحال أن الحوارات مع حزب البعث سابقا اصطدمت بعقبـة كأداء تمثلت فى رفض قيادة حزب البعث لنهج الكفاح المسلح وتشكيكها بالثورة عند قيامها ، وتحالفها مع عبد الله الأصنج وغيره من القيادات والاتجاهات اليمينية والاصلاحية التى تصـدت للثورة المسلحة منذ بدايتها وتآمرت عليها ٠

أما بالنسبة لاتحاد الشعب الديمقراطى فقـد أثمر الحوار عن تأييد قيادة الاتحاد الشعبى ، وعلى رأسها الفقيد عبد الله باذيب ، لخط الكفاح الشعبى المسلح سياسيا واعلاميا ٠

ومن هـذا المنطلق يمكن القول بأن خطوة ٢٢ يونيو فتحت طريقا جـديدا لمواصلة الحوار ، وليس للبدء به ، كما جاء فى السؤال ٠ وقد أسهم هـذا الحوار الذى تم فى سياق التحولات الطبقية والأيديولوجية التقـدمية التى نفـذتها خطوة ٢٢ يونيو على صعيدى التنظيم والمجتمع ، أسهم فى تقريب مواقف الجبهة القومية والاتحاد الشعبى الديمقراطى ، والتأثير على قيادة حزب البعث التى أعلنت فى عام ١٩٧٤ ، أى بعـد خمس سنوات من الحوار معها ، تبنيها للاشتراكية العلمية وانسلاخها عن حزب البعث ، والعمل باسم حزب الطليعة الشعبية ، واستعدادها لبناء حزب طليعى موحـد ، وتخليها عن نهجها السابق الذى كان يدعو لبناء جبهة وطنية متحـدة يحتفظ كل طرف فيها باستقلاله التنظيمى والأيديولوجى » ٠

ويستعرض الرفيق البيض أشكال ومراحل العمل المشترك ، ودور

عبد الله باذيب فيها ، منذ فترة الكفاح المسلح وحتى قيام التنظيم السياسى الموحـد ــ الجبهة القومية الذى تحول الى الحزب الاشتراكى اليمنى :

« فى الحقيقة لم تكن هناك أشكال موحـدة للتعاون مع هـذين الفصيلين ، بسبب اختلاف مواقفهما من ثورة ١٤ أكتوبر وتنظيمهـا السياسى الجبهة القومية ، فقـد توقف الحوار مع حزب البعث بعـد انسحاب الجبهة القـومية من جبهة التحرير فى أكتوبر ١٩٦٦ ، فيما استمر مع الاتحـاد الشعبى الديمقراطى الذى أدان مؤامرة الدمج القسرى ، وأيد خطوة الانسحاب من جبهة التحرير . وكانت هناك أشكال مختلفة للتعاون مع الاتحاد الشعبى الديمقراطى قبـل الاستقلال ، وأبرزها العمل المشترك فى الحركة النقابية ، والاستفادة من الامكانيات القانونية والعلنية لصحيفة « الأمل » التى كان يصدرها أسبوعيا الفقيد عبد الله باذيب فى دعم الثـورة المسلحة وتنظيمها السياسى ، ونشر أخبارها ، وفضح وتعرية المخططات والمؤامرات المعادية لهـا . كما وجـدت بعـد الاستقلال وقبل قيام خطوة ٢٢ يونيو أشكال متنوعة للتعاون مع قيادة الاتحاد الشعبى الديمقراطى على الرغم من الظروف القاسية التى كان يمر بها اليسار التقـدمى داخل وخارج الجبهـة القومية ، بسبب الهجمة اليمينية الشرسة التى كانت تستهدف حرف الثورة عن مسيرتها التقـدمية ، وملاحقة ومطاردة العناصر التقـدمية فى البـلاد .

وقـد فتحت خطوة ٢٢ يونيو آفاقا رحبة أمام تطوير التعاون مع الاتحاد الشعبى الديمقراطى ، واستئناف الحوار مع حزب البعث ، حيث تم وضع أسس راسخة للتحالف الوطنى الديمقراطى بين الفصائل الثلاث من خلال المشاركة فى السلطة التنفيذية والتشريعية والعمل المشترك فى المنظمات الجماهيرية .

وأخـذ هـذا التحالف يتعمق يوما بعـد يوم على قاعـدة الالتزام بأيديولوجية الاشتراكية العلمية والنضال من أجل بناء الحزب الطليعى .. وجاءت اتفاقية ٥ فبراير ١٩٧٥ كامتداد للنتائج المثمرة والعظيمة التى تحققت فى مجرى التحالف والعمل المشترك بين الفصائل الثلاث .. وتتوجت هـذه الاتفاقية بانعقاد المؤتمر التوحيدى للتنظيم السياسى الموحـد الجبهة القومية فى أكتوبر من نفس العام ، والذى شكل خطوة انتقالية مهـدت الطريق لقيام الحزب الاشتراكى اليمني فى أكتوبر عام ١٩٧٨ » .

لم يكن — اذن — عبد الله باذيب وعبد الفتاح اسماعيل حالمين ، وانما كانا من ذوى الرسالات التاريخية العظيمة التى لا تنتهى بنهايتهما .

فالصرح الذى أسهم باذيب فى وضع أسسه ولبنـاته ، وكان لعبد الفتاح فضل رعاية ومتابعة بنائه طبقة بعـد طبقة حتى اكتمـل قيامه ، قـد بقى شامخا كالطود رغم كل الرياح الهـوج التى عصفت من حـوله .

وكما استحق عبد الفتاح لقب مؤسس الحزب الاشتراكى اليمنى ، فأن باذيب قـد استحق اعترافه حزبه بدوره النضالى البارز فى سبيل خلقـه وبنـائه .

وأهـداف الثورة اليمنية الاستراتيجية التى قضيا قبل أن يحققاها قـد وجـدت فى حزبهما الطليعى الرافعة التاريخية الكفيلة بتحقيقها عبر التحالف مع كل القوى الوطنية والديمقراطية والاشتراكية فى البلاد .

بمناسبة يوم الصحافة اليمنية

عبد الله باذيب

صاحب خطاب أيديولوجي وثقافي معا(*)

في الندوة العلمية التي عقدت في عدن ما بين ٢٨ ــ ٣٠ مارس ١٩٨٨ تحت عنوان « السياسة الثقافية وخبرة العمل مع المثقفين » والتي شارك فيها عدد من المثقفين اليمنيين والعرب ومن البلدان الاشتراكية جاء في مداخلة الرفيق د. عبد الله الخامري عضو المكتب السياسي للحزب الإشتراكي اليمني انه عند الحديث عن المثقفين اليمنيين فأنه تظل أمامنا صورة كل من عبد الله باذيب وعبد الفتاح اسماعيل كرمزين كبيرين ولامعين للمثقف الحق ، ولذلك ينبغي جمع تراثهما الثقافي ووضعه في مكانه اللائق به من الثقافة اليمنية المعاصرة .

وفي مداخلته أكد الكاتب اللبناني المعروف محمد كشلي دعوة الدكتور الخامري هذه ، غير أنه سبق الى اصدار حكم على تراث كل منهما رأى فيه أن تراث عبد الله باذيب ينطوي على خطاب أيديولوجي ، بينما يتميز تراث عبد الفتاح اسماعيل بسمة الخطاب الثقافي .

(*) نشرت في « الشورى » في ١٩٨٨/٩/١٠ .

وفى شىء من العفوية التى أملتها المفاجأة طرحت عليه سـؤالا : كيـــف ؟

غير أن الزميل كشلى لم يجب عليه ، ومضى فى شرح الفارق ما بين كل من الخطـابين ، حيث يميل الخطـاب الأيديولوجى الى الاكتفاء بمسلماته وتكرار نفسه ، بينما يفحص الخطاب الثقافى أو المعرفى المتغيرات الدائبة على الواقع ، ويتابع كل جـديد يطرأ على الحياة ، ومن ثم يتخذ صاحبه موقفا سياسيا واقعيا فى ضـوء المعطيات المستخلصة من الواقع والحيـــاة •

وفى الاستراحة كررت سؤالى اليه ، مستوضحا عن الأساس الذى بنى عليه مثل هـذا الحكم الذى فرق به ما بين خطاب الرجلين •

غير أن الرفيق كشلى آثر عـدم الخوض فى الموضوع •

لكن ما طرحه فى النـدوة يبقى قضـية تستحق المناقشة ، وهى مناقشة مطلوبة من كل المهتمين بتراث كل من الفقيـد عبد الله باذيب والشهيد عبد الفتاح اسماعيل ، ولربما أفادت مثل هـذه المناقشة اللجنتين المكلفتين بجمع تراثهما وتشجيع كل مسعى علمى نحو تقييمه •

وما أنا بصـدده هنا — فى مناسـبة يوم الصـحافة اليمنية ، (٩/١٣) — ليس استباق جهد اللجنتين ، ولا السعى نحـو تقييم تراثهما ، أو تقييم تراث عبد الله باذيب — وان كانت لى كتب وكتابات حول ذلك متروك أمر الحكم عليها للباحثين — وانما أريد أن أتلمس مدى صحة القول بأن خطاب عبد الله باذيب كان أيديولوجيا بحتا ، أو حتى تطغى عليه الأيديولوجيا على حساب المعرفة العلمية بالواقع اليمنى الذى عاشه وناضل فيه •

بادىء ذى بدء لابد من التحفظ الضرورى على هـذه الثنـائية الحادة التى تجعل الأيديولوجيا فى جانب ، والثقافة فى جانب آخر ، والتى على أساسها اعتبر عبد الله باذيب حامل راية الأيديولوجية ، بينما اعتبر عبد الفتاح اسماعيل حامل راية الثقافة •

حقا أن هناك تمايزا دلاليا بين الأيديولوجيا والثقافة ، وان مفهوم الأخيرة أوسع من مفهوم الأولى ، وان الثقافة تهتم بمعرفة وتملك وانتاج الواقع الموضوعى ، الاجتماعى والطبيعى ، بينما تقتصر الأيديولوجيا على عكس هـذا الواقع من زاوية واحـدة : زوية مصلحة هـذه الطبقة أو تلك ، ومن ثم تكون رؤيتها له مشوهة محـدودة قاصرة ملونة بلون هـذه المصلحة الطبقية •

ولكن لأن جميع بنى البشر مصنفون ضمن هـذه الطبقة أو تلك ، أو حتى هـذه الفئة أو الجماعة أو تلك ، فأنهم ــ شاءوا أم لم يشاءوا وعـوا أم لم يعـوا ــ يحملون مثل هـذه الرؤية الأيديولوجية أو تلك ، ولا يفلت من ذلك أحـد فيلسوفا كان أو اميا •

ومثل هـذه الرؤية تلابس كل الثقافة ، وتدخل فى كل علم ، بل انها تتدخل فى تفسير حتى النتائج العلمية والتكتيكية ، وتحاول توجيهها لمصلحة هـذه الطبقة أو تلك ، هـذا النظام أو ذاك •

وماركس وانجلز فى كتـابهما (الأيديولوجية الألمـانية) الذى استشهد به الأستاذ كشلى للتدليل على ان ماركس ورفيقه بدآ نشاطهما العلمى بفتح النـار على الأيديولوجية ، انمـا كانا يهاجمـان أساسا الأيديولوجية البرجوازية التى كانت تشوه حقائق العلم والتاريخ ، ولم يكونا ينكران انهما يؤسسان أيديولوجيا أخرى تعتمد حقائق العـلم والتاريخ ولا تتناقض مع السير الموضوعى لتطورهما ، بل تعطيهما حافزا

طبقيا اجتماعيا للمضى قـدما الى الأمام فى عملية تقـدمهما ومن هنـا وصفهما أيديولوجتهما بأنها أول أيديولوجية علمية فى التاريخ البشرى ، وهـو ذات التعريف الذى شـدد عليه لينين •

فالماركسية — اللينينية ليست علما تاريخيا — اجتماعيا فلسفيا فقط ، وانما هى أيضا أيديولوجية طبقة اجتماعية هى آخر انتاجات المجتمع البشرى فى تقـدمه التاريخى ، الطبقة التى لا تملك مصالح طبقية أنانية ضيقة تحول بينها وبين فهم العالم فهما علميا صحيحا ، بل ان هذا الفهم العلمى الصحيح له هـو الذى يمكنها من تغييره ، ومن ثم من تحقيق مصلحتها الطبقيـة — الاجتماعية فى السيطرة على قـوانين حركته الاجتماعية والطبيعية ، هذه المصلحة التى تحقق فى خاتمة المطاف مصالح جميع الناس المتحررين من القيود الطبقية والأيديولوجية السابقة •

حقا أنه قـد يحـدث خلال التطبيق تباعد بين الأيديولوجيا والعلم ويتغلب الوهم أو التكييف الأيديولوجى الواهم على معطيات الواقـع ومقتضيات العلم ، وقد تكبح الأيديولوجية حركة الثقافة والعلم والابداع عموما ، وقـد تسىء تفسير أحـداث التاريخ والمجتمع — وذلك ما حدث خلال الفترة الستالينية وفترة الجمود عموما — غير أن هـذا التباعـد لا يبقى مطلقا ، فهو يظل محكوما بظروفه التاريخية الموضوعية والذاتية ، ومقاومته لا تتوقف ، ولا يلبث أن يحل التكامل بين الأيديولوجيا والثقافة مكان التباعد — وذلك ما يشهد عليه اليوم ما هـو جار فى الاتحـاد السوفيتى من اعادة تصحيح وتقويم وبناء لكل شىء ، بما فى ذلك اعادة بناء الأيديولوجيا والثقافة ، وتأكيد التلازم والتناغم بينهما — وهـو ذات المشهد الذى يمكن رؤيته بأشكال متفاوته ، فى البلدان الاشتراكية الأخرى ، وهـو ما أخـذ يعكس نفسه شيئا فشيئا على حياة الأحزاب الشيوعية فى كل مكان ، وهـو ما لابد أن يلقى صـداه لدى كل الأحزاب

الديمقراطية الثورية التى أخــذت تنتقل الى مواقع الفكر الاشتراكى العــلمى •

فى ضوء هــذه المقــدمة من الصعب أن نتصور وجــود ماركسى لينينى لا يكون حاملا لأيديولوجية الطبقة العاملة ولا يكون لديه حظ من الثقــافة ـــ قــل أو كثر ـــ ناهيك عن قائد ماركسى مفترض توافر قـــدر معقول من الاستيعاب الأيديولوجى والنظرى لهــذا الفكر لديه •

وكان كل من عبد الله باذيب وعبد الفتاح اسماعيل نموذجين لمثــل هــذا القائد المــاركسى الذى يجمع فى ذاته ما بين الايمان العميــق بأيديولوجية الاشتراكية العلمية والثقافية النظرية والاجتماعية والسياسية والأدبية المتنوعة المحكومة بمنهجها الجــدلى •

واذن فلا مجال للفصل بين البعــد الأيديولوجى والبعــد الثقافى فى شخصية أى كان ، ولا سيما اذا كان مناضلا ، أن السمة النضاليــة لا تتجلى الا اذا كان حاملها صاحب رسالة اجتماعية ، وهــذه غير ممكنة بدون الايمان بعقيدة سياسية ، وهــذه العقيدة السياسية ليست شيئا آخر غير الأيديولوجية ، ذلك أن الثقافة وحــدها لا تصنع من صاحبها مناضلا حقيقيا ما لم يكن متشبعا بأيديولوجية محــددة ، ومتحمسا لها الى حــد التفانى فى سبيلها ، والموت من أجلهــا ، وكم من مثقفين موسوعيين وجــدوا ويوجــدون فى عالمنا ، غير أنهم ظــلوا ويظــلون بدون رســـالة تاريخيـــة يؤدونهـــا ، أى بدون أيديولوجية ثورية تتوتر بها حياتهم ، ويستخدمون من أجلها ثقافتهم • بل ان ثقافتهم هــذه تخــدم بالفعل أيديولوجية أخرى ، أيديولوجية قــوى اجتماعية انحــدرت أو هى آخــذة فى الانحــدار ، وهم بذلك ينتمون الى المثقفين التقليديين ، بينما يجسد المثقفون ذوو الأيديولوجية الممثلة للقـــوى الاجتماعية الصاعدة المثقفين العضويين ـــ حسب تعريف جرامشى ـــ •

وعبد الله باذيب كان — شأن عبد الفتاح اسماعيل — رمزاً لهذا المثقف العضوى صاحب الرسالة التاريخية والقضية الاجتماعية ، والأيديولوجية الثورية .

والمتتبع لسيرة حياة باذيب — ولا سيما منذ خرج من معتزله الفكرى عام ١٩٥٤ معلناً تبنيه لنظرية الاشتراكية العلمية فى هدوء ودون زعيق أو ضجيج — يلاحظ أنه استخدم هذه النظرية كنبراس ينير له طريق النضال الوطنى والاجتماعى ، ويهتدى به فى خوض معاركه السياسية والصحفية ضد المستعمر وضد عملائه وضد الأحزاب الانفصالية ، والاتجاهات الاصلاحية فى الحركة النقابية والوطنية .

وعبر جميع هذه المعارك كان أبعد ما يكون عن العقيدية الجامدة ، وعن النظرة الأيديولوجية المترمتة ، وعن الانعزالية اليسارية . لقد كان أشد ما يكون رغبة فى التحالف مع أية قوة وطنية تقبل بذلك ، وحتى على الحدود الدنيا الممكنة ، ومن هنا قبوله ونفر قليل من مريديه الدخول فى رابطة أبناء الجنوب العربى ، قبل أن يخرج منها بعد أن تبين له أنها غير مستعدة للالتزام بالحد الأدنى للعمل الوطنى .

وطيلة الخمسينيات وحتى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ و ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ كان داعية جبهة وطنية ديمقراطية عريضة تتسع للقوى المناهضة للاستعمار والاستبداد ، سواء كانت يمينية أو وسطية أو يسارية ، وطنية أو قومية أو ماركسية .

وكتابنا « الخروج من نفق الاغتراب واحداث ثورة ثقافية فى اليمن » ينطوى على فصول اضافية ، ونصوص من كتاباته واضحة ، تبين مسعاه النظرى والعملى هذا .

وكان باذيب بطبيعته رجلا واقعيا ، واقعيا ثوريا ، وجاء الفكر الاشتراكى العلمى الذى كان أول من تفتح عليه وتبناه ودعا اليه فى رفق وأناة — جاء ليمنح واقعيته هذه وعيا اجتماعيا وسياسيا جديدا ، وبعدا نظريا وأيديولوجيا اضافيا .

وفى جميع معاركه القلمية لم يكن هو البادىء أبدا ، كان دائما فى موقع المدافع عن قناعاته ، والموضح لرؤيته . وكانت هذه المعارك تدور حول فهمه الجديد والمتقدم للقضية الوطنية .

ذلك ما تشهد عليه سجالاته مع التيارات الانتهازية والاصلاحية ، ومع الشيخ البيجانى ، ومع الطلبة اليمنيين فى القاهرة ، ومع البعث ، ومع الأحرار اليمنيين ... الخ .

وكما لم يكن أيديولوجيا متزمتا ، فانه كان أميل الى رجل السياسة المحنك الحصيف . والذين جلسوا اليه وناقشوه — أيا كان اتجاههم السياسى — كانوا يلمسون منذ اللحظة الأولى عدا مزاياه السياسية ذلك المدى الغنى من سجاياه الشخصية الأسرة ومناقبه الخلقية الرفيعة ، التى تصد حتى من غريزته الثورية — فى الظاهر — مما دفع بعض رفاقه فى بعض الأحيان الى تصور أنهم أمام « مصلح اجتماعى » أكثر منه « زعيما ثوريا » ! غير أن سير الأحداث كان يثبت لهم دائما أن ذلك القدر العالى من الحكمة الثورية والبصر السياسى هو السر الدفين وراء ظهوره فى هذا المظهر لاجتماعى اللين المحبب الذى كانت تفرضه — الى جانب نعومة ملمسه ودماثة شخصيته — ظروف العداء المستحكم ضد كل متهم بالشيوعية ، وهى تهمة كانت السلطات الاستعمارية قد وجهتها اليه بطريقة غير مباشرة عندما حوكم عام ١٩٥٥ بحجة « اثارة الكراهية والعداء ضد الحكومة وبين طوائف وطبقات السكان » ، كما كانت أطراف الحركة الوطنية والقومية اليمنية والعربية فى هذا الوقت تشعر بحساسية مفوطة ازاء من « يدمغ » بها !

ان مجمل كتابات عبد الله باذيب ومجمل سلوكه خلال هـذه الفترة وحتى قيام الثورة كانت تدور حول قضايا نضالية ، لا حـول مسائل نظرية وأيديولوجية .

كانت الدعوة للوحـدة الوطنية لمختلف أطراف الحركة الوطنية وللتحرر الوطنى من الاستعمار وركائزه وعملائه ، وللوحـدة اليمنية ، هى لب نضاله فى هـذا الوقت .

لم تكن المعركة السياسية المفتوحة والساخنة تسمح لباذيب بترف التفرغ لكتابات أيديولوجية نظرية عامة ، رغم أنه كان يمتلك كل مؤهلات المفكر ، ناهيك عن امتلاكه موهبة الكاتب المتمكن ، وهـو ما تشهد عليه مقالاته السياسية فى الصحافة ، والتى جعلت منه بحق رائد الصحافة التقـدمية فى اليمن ، ومبدع فن المقالة السياسية ، اضافة الى ريادته للفكر الاشتراكى العلمى .

وهـذه المعركة المحتدمة مع المستعمر ومن أجل حرية الوطـن والشعب والتى استأثرت بكل طاقات عبد الله باذيب الذهنية والعملية قـد جعلته يبدو « فى منطق الصحافة التابعة .. لا بل منطق سادتها وآلهتها ! » متطرفا . وهى تهمة تقبلها وبرر ذلك كما يلى :

« فاذا كان التطرف هـو العمل على تحرير الشعب وفضـح أعـدائه وتطهير صفوفه من الانتهازيين والسماسرة .. فنحن متطرفون .

واذا كان التطرف هـو السعى الدائب لتبصير الجماهير بدورها المحتوم فى تغيير واقعها الرجعى المظلم ، والنضال من أجل غـد مشرق ومصير سعيد .. فنحن متطرفـون ، واذا كان التطرف هـو عـدم التنازل عن أدنى جزء من حقوقنا ومحاولة تثبيتها وتفتيح وعى الشعب

بها .. فنحن متطرفون ، وصـدورنا مليئة بالحقـد والنقمة على من يستغل الشعب ويخـدره ويشغله عن قضيته الحقيقية بالأباطيل .

وليس فى قلوبنا ذرة واحـدة من التسامح والمحبة لمن يخـدعنا ، ويعتصر دم حياتنا ، ويسوقنا الى أهـداف رخيصة .

نحن متطرفون وغلاة فى تطرفنا .

لا بل نحن نعتبر الاعتدال خيانة ، والموقف الوسـط جريمـة ، واصطناع الحكمة الزائفة والتعقل الكاذب فى معالجة قضايا الشـعب جبنا وتغطية لأغراض حقيرة دنيئة .

فأما أن تكون مع الشعب .. أو ضـده .

ولا مكان لمن يريد أن يقف فى الوسط يمتص دماء الشـعب من جانب ، ويلحس أيدى أعـدائه من جانب آخر .. !

فى الوسط هـوة فارغة يتردى فيها ويصلب عليها كل من يكفر بارادة التقدم والحياة ، ويختار الوقوف الى جانب أعـداء الشعب » . .. (عبد الله باذيب ، كتابات مختارة ، الجزء الأول ، ص ٨٥ — ٨٦) .

عبد الله باذيب كان متطرفا فى القضية الوطنية ، فالاستعمار كان من وجهة نظره هو العـدو الرئيسى ، واليه يجب أن توجه كل النيران ، ولكن القـوى التى تلتحق به أو تدور فى فلكه تستحق أن يصيبها شىء من شرر هـذه النيران .

غير أن باذيب كان معتدلا جـدا فيما يتعلق بقضية وحـدة القوى الوطنية ضـد هـذا المستعمر ، بل انه طمح فى جر النظام الملكى — الامامى فى شمال الوطن الذى كان ما يزال متمسكا بشعار وحـدة اليمن

تحت تاجه — رغم الاتفاقيات التى وقعها مع المستعمر — والذى كانت ما تزال تقوم بينه وبينه تناقضات ثانوية كانت تتخذ أحيانا أشكالا ملموسة — طمح فى جره الى مواقع أكثر فعالية باسم تحرير الجنوب اليمنى المحتل وباسم الوحدة اليمنية .

ولذلك فأنه ولى وجهه شطر شمال الوطن فى ٢٨—١٢—١٩٥٨ عندما تأكد له أن السلطات البريطانية تريد نفيه الى مسقط رأسه « الشحر » بعد أن ضاقت بنشاطه الوطنى ذرعا .

ان ممـا أغرى باذيب بذلك أن مملكة اليمن كانت قد دخلت فى ٨—٣—١٩٥٨ فى اتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة ، رأى فيه فرصة لاقتراب قاعدة الثورة والقومية العربية من اليمن ، بكل ما قد ينجم عن ذلك من تحريك سكون اليمن ، وادخال بعض الاصلاحات على مملكتها الأثرية ، وما قد يترتب عليه من تحريك حدود دولة الوحدة القومية الى منطقة النفوذ البريطانى فى جنوب اليمن ، ومن احداث حالة نهوض وطنى ضد المستعمر البريطانى .

ولذلك فانه أنشأ فى « تعز » مكتبا « لتحرير الجنوب اليمنى المحتل » ، وأصدر صحيفة « الطليعة » ، وبث برامج اذاعية ضد الاستعمار وضد مجمل مخططاته .

ولم يعتبر هذا التحرك الوطنى الجديد شأنا خاصا به ، وانما أنا وطنيا عاما يهم كل الأطراف الوطنية . ولذلك فان المكتب « يضع نفسه فى خدمة جميع أبناء الجنوب اليمنى المحتل ، ويطلب ويرحب بتعاون الجميع من أجل انجاز أهدافنا الوطنية المشتركة فى التحرر الوطنى والوحدة اليمنية » . (أربعون يوما على وفاة القائد الوطنى والعمالى الخالد عبد الله عبد الرزاق باذيب ، ص ١٦) .

كان هـذا التحرك السياسى نحو الشمال ومنه واحـدا من الأدلة العملية على أنه لا تتحكم فى باذيب عقـدة التزمت الأيديولوجى أو الجمود العقيدى ، وانما كانت تقـود نشاطه دائما ـ اضافة الى المبادىء الوطنية والديمقراطية ـ عقلية المناضل السياسى الذى يحاول النفـاذ حتى من ثقب الأبرة ، والبحث عن كل ثغرة ، والاستفادة من أى تناقض ، بما فى ذلك التناقض الثانوى الذى قـد ينشأ بين الرجعية والاستعمار ، بغية الحصول على موطىء قـدم يواصل منه نضـاله ضـد العـدو الرئيسى الممثل فى الاستعمار وركائزه •

وعندما تجاوز نشاط باذيب الوطنى احتمال النظام الامامى واحتمال قـوى الاستعمار الجـديد التى كانت قـد شرعت فى احتوائه عبر العـديد من الأساليب والأشكال الاقتصادية والسياسية كان عليه أن يعـود الى عـدن ويدخل تعـديلا على خطته السياسية ، حيث لم بعد يكتفى بمهاجمة الاستعمار البريطانى ، وانما اضاف الى ذلك كشف طبيعة الاوضاع فى مملكة الاقطـاع والاسـتبداد ، وكشف مخططات الاستعمار الجـديد فيها ، وخاصة الاستعمار الأمريكى •

هـذا التعـديل فى الخطة السياسية يمثل دليلا آخر على أننا أمام سياسى ، كما يمتلك رؤية استراتيجية وطنية ديمقراطية تقـدمية ـ فأنه يستوحى الظروف الملموسة فى وضع تكتيكاته المرحلية لتحقيقها ، ولذلك فهو يعـدل ويبدل فى تكتيكاته هـذه ، وهـو سلوك يختلف عن سلوك رجل العقيدة المتزمت والأيديولوجى الجامد •

ورغم ايمانه بأهمية قيام تنظيم يجسد رؤيته الاستراتيجية هـذه الا أنه كان يراعى دائما الظروف الموضوعية والذاتية المحيطة به ، ولذلك فأنه قنع خلال فترة الخمسينيات بالتبشير الهادىء والصبور والكتوم بها ، غير أنه لم يكن يقدمها فى ثوب أيديولوجى فاقع • فقط عبر القضية

الوطنية ، وعبر القضية الاجتماعية ، وهما قضيتان يعيشهما الشـــعب بالفعل ، كان يسرب مفاهيم الاشتراكية العلمية تجاه هاتين القضيتين أولا وقبل كل شيء ، وعـدا الاتصالات السرية كان يستخدم « مبرز باذيب » و « براقات » العمال ساحات لبث أفكاره التقــدمية ونظرته العلمية ازاء قضايا اليمن والوطن العربى والعالم •

وعندما آنس أنه قــد أفلح فى خلق مجمــوعة تؤمن بأفكاره وان المناخ اليمنى والعربى قــد تعافى بعض الشيء من حمى العــداء المسعور للشيوعية والشيوعيين فانه أعلن فى ٢٢ـ١٠ـ١٩٦١ قيام « الاتحــاد الشعبى الديمقراطى » •

غير أن ممــا يلفت الانتباه ــ وذلك مرة أخرى أحــد الأدلة على ابتعاد باذيب عن التطبيق الميكانيكى الحرفى للأيديولوجية ــ أنه لم يسم تنظيمه هــذا حزبا شيوعيا أو ماركسيا ، وان أعلن التزامه بالاشتراكية العلمية ــ وانما أسماه تجمعا وطنيا خاصا بالعناصر الوطنية الديمقراطية المؤمنة بــ « الميثاق الوطنى » الذى تضمن مبادئه وأهــدافه ، سواء تلك التى تشكل منها أو التى ستنتضم اليه • وأكد الميثاق أنه فقط باقامة جبهة وطنية ديمقراطية على نطاق الساحة اليمنية يمكن تحقيق أهــداف المرحلة المتمثلة فى التحرر الوطنى من الاستعمار البريطانى فى الجنوب ، واقامة حكم ديمقراطى فى الشمال ، وتحقيق الوحــــدة اليمنية • وحسب تعبير « الميثاق الوطنى » فأنه « يناضــل (الاتحــاد الشعبى الديمقراطى) من أجل انجاز مهمات حركة الشعب اليمنى الهادفة الى التحرر الوطنى والوحــدة اليمنية والديمقراطية ، ومن أجل الاسهام بقسطنا فى بناء الوحــدة العربية الشاملة على أسس صحيحة متحررة •

ويستند « الاتحاد » فى تحــديد مهمات هــذه الحركة الى واقــع بلادنا وخصائص ظروفها وطبيعة المرحلة التاريخية التى نمر بهــــا ،

ويسترشد بمبادىء الاشتراكية العلمية كدليل للعمل ، فهى حركة وطنية شعبية ديمقراطية معادية للاستعمار والاقطاع والرجعية المحلية ، وهى بالضرورة ضــد التجزئة المفروضة على شعبنا فرضا » .

« ان انجاز مهماتنا الأساسية فى الجنوب والشمال وتحقيق أهداف شعبنا اليمنى العظيم مرهون بالفهم العميق المتكامل لقضية بلادنا وبناء الجبهة الوطنية على أسس ديمقراطية » .

« ومن المؤكد أن الوحــدة الوطنية ليست ضرورية فحسب ، ولكنها ممكنة أيضا . ان ثمة نقاطا مشتركة يلتقى حولها جميع الوطنيين وتتلخص فى معاداة الاستعمار والاستبداد . وعلى أساس نقاط اللقاء هـــذه ، واستبعاد نقاط الخــلاف الثــانوية والجانبية ، ومعالجتها بالأســاليب الديمقراطية وروح النقــد الاخــوى البناء والحيلولة دون تضخيمها ودفعها الى المقــدمة ، يجب أن تلتحم جميع القوى الوطنية على اختلاف عقائدها وميولها السياسية فى جبهة وطنية صلبة لتنظيم وقيادة كفاح الشــــعبى » .

« وايمانا بذلك كله وحرصا منها على القيام بدورها الوطنى بشكل فعال رأت بعض العناصر الوطنية الديمقراطية المستقلة تشكيل « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » ، وهــذا الاتحاد ليس حزبا ، وانما هــو تجمع وطنى ويرحب بأى عنصر وطنى مستقل يؤمن بمبادىء الاتحاد ، ويتبنى الميثاق الوطنى التالى كبرنامج للعمل » .

لا حاجة الى الاشارة الى أن الميثاق يربط بين النضال الثورى على النطاق اليمنى وبين النضال القومى من أجل « بناء الوحــدة العربية الشاملة على أسس صحيحة متحررة » وبينه وبين « العمل على دعم التضامن الكفاحى بين شعوبنا العربية خاصة ، وشعوب آسيا أفريقيا

وأمريكا اللاتينية وجميع قوى التحرر والسلم فى العالم عموما ، وتأييد جميع الجهود الرامية الى صيانة السلام العالمى » .

على أن ما يستحق التقـدير والاعجاب معا تلك الصيغة الموفقـة العميقة المتقنة لشعار الاتحاد « نحو يمن حر ديمقراطى موحـد » ، والذى وجـدت فيه الحركة الوطنية الديمقراطية اليمنية عموما وحتى اليوم أفضل شعار يوجز أهـداف المرحلة التاريخية التى تمر بهـا ، مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

نحن هنا أمام برنامج عمل مكتنز مركز عميق ، واذا كان يصـدر عن رؤية أيديولوجية اشتراكية علمية واضحة ، فانها لا تعرب عن نفسها بشكل مباشر ، ولا تظهر فى شكل « خطاب أيديولوجى » منبرى ، زاعق ، مسطح ، وانما هى تتخلل بنيته النظرية والسياسية والعملية كجزء ذائب فيه لا يكاد يلمس أو يحس تماما كما يتخلل الهواء الفضاء دون أن يملك أحـد قـدرة الامساك به .

وذلك كان وظل نهج عبد الله باذيب فى مجمل كتاباته المعروفة حتى الآن والتى أملت طبيعتها عليه المعركة السياسية ــ النضالية المتصلة .

فهو لم يكتب فى الأيديولوجيا والنظرية مباشرة ، ولكن الأيديولوجيا والنظرية تسريان فى كل ما كتب سريان المـادة فى عروق الشجر ، وسريان الدم فى جسم الأحياء .

وكتاباته هـذه لا تقـدم فى أسلوب مدرسى ــ تعليمى ــ تربوى ــ تقليدى ، وانما تقـدم بلغة عربية بليغة ، وقـدرة على السبك الفنى مدهشة ، ومن ثم تصاغ فى « خطاب ثقافى » رفيع قادر على تملك العقل والوجـدان معا ، وعلى الوصول الى أذهان وضمائر كل فئات المجتمع ــ أيا كان حظها من الثقافة ــ .

ومن أول مقال كتبه باذيب متأثرا فيه بأيديولوجية الاشتراكية العلمية الى آخر تقرير أيديولوجى صاغه باسم التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية يلاحظ القارىء العادى والمؤرخ أنه لا يقرأ « خطابا أيديولوجيا » مباشرا ، وانما يقرأ « خطابا ثقافيا » رصينا لا تكاد تدرك فيه الأيديولوجية الا من الاثناء ، الا من بين السطور ، الا بشكل غير مباشر تماما •

وذلك هو أحد الفوارق الجوهرية بين صاحب « الخطاب الأيديولوجى » المفتقر الى الثقافة النظرية والسياسية والخبرة العملية التى تغنيه وتجلوه وتقدمه فى صيغة علمية وأيديولوجية متماسكة رصينة تتوارى فيها الأيديولوجيا خلف المشهد الثقافى الساطع الرائع وبين « الخطاب الثقافى » المزود بمعارف نظرية وعملية واسعة تصبح معها الأيديولوجيا مجرد خيوط داخلية تستبطن النسيج الثقافى المبهر الجميل •

وكمثقف سياسى من الطراز الأول ظل عبد الله باذيب يسعى — ودون كلل — من أجل اقامة أفضل العلاقات النضالية مع الأطراف الأخرى ، حتى عندما قرر بعضها اقامة « تنظيم قومى موحد » يستبعد منه الشيوعيون ، وذلك ما كان يتبناه حتى فرع حركة القوميين العرب فى اليمن — انعكاسا لموقف الحركة الأم فى الخارج — وذلك ما كان يجاهر به بقوة يمين الحركة فى اليمن ، وما عبر عنه بجلاء أبرز أقطابه ، وهو قحطان محمد الشعبى فى كتابه « الاستعمار البريطانى ومعركتنا العربية فى جنوب اليمن » •

وتعابير الادانة التى تضمنها ما اسمى بمشروع الميثاق القومى للتجمع القومى الذى بذلت الجهود لاعلانه عام ١٩٦٠ ونشرة « الثورى » التى أصدرتها حركة القوميين العرب فى اليمن فى عدد ١—١—١٩٦٢ • ناهيك عن موقف قحطان الشعبى والقيادات الأولى المرتبطة بنهجه —

كل ذلك وغيره يبين مدى الكراهية للشيوعية والشيوعيين وحتى لوجـود « الوكالات والمفوضيات الصـينية والروسية » • فى شمال اليمن (ص ٢٣٢ فما بعـد) •

وعندما طرح فرع الحركة فى اليمن صيغة « الجبهة القومية » فى مقابل صيغة « الجبهة الوطنية » التى كان يدعـو لهـا عبد الله باذيب منذ الخمسينيات ، فانه كان يستبعد المـاركسيين من اطارها ، بينمـا جرى الحوار مع منظمة حزب البعث وحزب الشعب الاشتراكى • كانت النظرة سلبية ازاء تنظيم باذيب بسبب ما اسماه عبد الفتاح اسماعيل موجة العـداء الذى كانت تكنه الأحزاب القومية بمجموع فصـائلها للحركة الشيوعية العربية » • (عبد الفتاح اسماعيل لمحة عن تجربة الثورة الشعبية فى اليمن الديمقراطية ص ١٤) •

غير أنه بتفجر ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ ، وبصورة خاصة تفجر ثورة ١٤ أكتوبر ١٩٦٣ بقيادة الجبهة القومية أخـذ ينشأ مناخ سياسى جديد أكثر صحية مكن من أن تتقارب القوى الجـذرية فى مجرى الثورة من بعضها بعضاً ، وخاصة ذلك التقارب بين تنظيم الجبهة القومية والاتحاد الشعبى الديمقراطى ناهيك عن العلاقات الشخصية والرفاقية التى أخذت تتكون بين الصف الثانى فى الجبهة القومية الذى أخـذ يطل على آفاق الفكر الاشتراكى العلمى ، والذى كان يرمز اليه عبد الفتاح اسماعيل وبين عبد الله باذيب ، رغم العنت الذى واجهه عبد الفتاح اسماعيل ورفاقه من قوى اليمين بسبب ذلك •

وكما كتب عبد الفتاط اسماعيل فى محاضرته « جوانب من تاريخ الثورة التى نشرتها مجلة « قضايا العصر » فى عـدد ٩ من عام ١٩٨٧ ص ١٤ « بل أنا أذكر فى عام ١٩٦٣ كانوا يحاربون أى واحـد يقرأ أى كتاب ذى طابع اشتراكي ، وفى ١٩٦٣ م عملوا محكمة حاكمونا فيها ،

على اعتبار أننى أقرأ كتب ماركسية ، كتب لينينية ، وان هـــذا خارج عن برنامج تثقيف الجبهة القومية ، وان هـــذا يعنى أن هناك عناصر واتجاهات ماركسية تقــدمية فى صفوف الثورة • هـــذا كان سنة ١٩٦٣ قبل أن تنتقل القيادة من عـــدن الى تعز •• فكيف فى ١٩٦٥ م ونحن نضغط فى اتجاه تحديد الفكر الاشتراكى العلمى ، لكى يكون فكر الثورة » •

أما أحمد سعيد باخبيره ، الرجـــل الثانى فى الاتحـــاد الشعبى الديمقراطى ، فيصور المناخ الجـــديد الذى دشنته ثورة ١٤ أكتوبر ، وتفرد تنظيمه باتخاذ موقف ايجابى تجاهها ، وتجاه التنظيم الذى قادها ، ودور عبد الله باذيب فى ذلك على النحو التالى :

« عندما قامت ثورة ١٤ أكتوبر المسلحة ظل الكثيرون لفترة غير قصيرة بعـــد انطلاقها من قمم ردفان يعتقدون أنها مجرد واحـــدة من الانتفاضات القبلية التى شهدتها المنطقة قبل ذلك ، ولم تلبث أن قمعتها بريطانيا بالحـــديد والنار ، هـــذا فضلا عن القوى السياسية التقليدية التى ناصبت الثورة العـــداء ليس عند بدء قيامها فحسب ، ولكن فى مختلف مراحلها ، وسواء بالمكشوف أو من خلال الأساليب الملتوية التى استهدفت احتواءها أو حرفها عن مسارها الصحيح •

ولكن عبد الله باذيب كان فى طليعة القـــوى الشريفة التى أيدت الثورة المسلحة بقيادة الجبهة القومية فور تباشيرها الأولى • لقـــد اكتشف فيها منذ البـــدء طريق الخـــلاص الحقيقى للشعب من نير الاستعمار البريطانى وحلفـــائه السلاطين والعمـــلاء المحليين واستطاع بوعيه ونظرته البعيدة الثاقبة وتحليله الصائب لطبيعتها وللظروف التى تهيأت لهـــا والعوامل المؤثرة فيها محليا وعربيا وعالميا أن يصل مبكرا الى قناعة كافية بأنها ثورة تملك شروط البقاء والتطور والانتصار » •

« وهكذا اتخذ عبد الله ورفاقه موقفا مبدئيا واضحا وثابتا الى صف الثورة ومن أجل دعمها ونصرة مواقفها وتعميق خطها الوطنى والطبقى » . (أربعون عاما على وفاة القائد ص ٢٤ ، ٢٥) .

كان تأييد الكفاط المسلح من قبل تنظيم اعتمد منذ البداية النضال السياسى والجماهيرى وكان يتكون من ثلة صغيرة من المثقفين والموظفين والعمال والطلاب وكان وجوده الأساسى فى مستعمرة التاج حيث ظل السلطة الثقيل — كان ذلك واحدا من المبادرات الثورية والشجاعة التى تدلل أيضا على أن عبد الله باذيب كان يطور مواقفه وتكتيكه وفق الظروف المستجدة وأنه لا يتراجع عن الاقدام على خطوة تتطلبها غايات التحرر الوطنى من المستعمر بقطع النظر عن عواقب عمل هذه الخطوة .

وموقف كهذا لا يقدم عليه أصحاب المسلمات الفكرية والسياسية المطلقة ، وأولو القناعات الأيديولوجية الثابتة التى تبلغ حد الجمود ، والذين يحولون « المذهب الثورى » الى نوع من « العقيدة » التى لا تقبل التطور والتجديد والتحذير .

على أن مرونة وحرية فكر باذيب الذى يبلغ حد الخروج النسبى على بعض المبادىء التنظيمية التى تتقيد بها عادة الأحزاب المثيلة تتجلى فى مبادرة أخرى قام بها أكثر اثارة وادعى الى التأمل ، تلك هى مبادرته بتجميد تنظيمه سعيا منه نحو فتح جسور الاتصال مع الجبهة القومية قائدة الثورة المسلحة وتقليصا لحساسية الفريق اليمينى فيها ، ورغبة فى خلق صلات عمل نضالية مشتركة قد تمهد — فى المستقبل — لخلق لحمة سياسية وتنظيمية وفكرية تتعزز وتتجذر بها مسيرة الثورة ، وتتوطد بها العلاقات النضالية بين القوى الأكثر استنارة ونضجا فيها ، وبين القوى التقدمية الأخرى .

عن هــذه المبادرة التى تبين مدى تحرر باذيب من القــوالب الأيديولوجية والتنظيمية والسياسية الصارمة ، ومدى قــدرته على توسيعها وتطويعها بما يتفق مع مصلحة الثورة ذاتها ومصلحة تقــدمها وتجذرها أكثر فأكثر — عن ذلك كتب أيضا أحمد سعيد باخبيره : « ونظرا للظروف الداخلية والعربية التى حالت دون قيام العلاقات المباشرة بين تنظيم الثورة وتنظيم عبد الله باذيب ورفاقه فــور انطلاقه الثورة ، فقد قرر عبد الله باذيب تجميد العمل باسم تنظيمهم « الاتحــاد الشعبى الديمقراطى » ، سعياً منهم الى التغلب على تلك الظروف ، وازالة موانع الالتقاء وتسهيل امكانية التلاحم مع التنظيم القائد للثورة وكان هــذا الموقف منسجما تماما مع المواقف المبدئية والعملية التى اتسمت بهــا قيادة عبد الله باذيب للاتحاد الشعبى الديمقراطى ، والتى لم تكن تعرف التعصب الحزبى الضيق ، بل تعطى المصلحة الوطنية العليا الاعتبار الأول •

وقــد كان هــذا الموقف استشرافا عميقا وبعيد المدى لآفــاق المستقبل ، وأثمر بالفعل وبسرعة الكثير من أشكال التلاحم والعمــل المشترك على الصعيد السياسى والجماهيرى ، وخاصــــة فى الحركة العمالية ، وقامت بين عبد الله باذيب والقيادات التقــدمية فى الجبهــة القــومية ، وخاصــة الرفيق عبد الفتاح اسماعيل •• لقاءات وصــلات وطيدة » • (المصدر السابق ، ص ٢٥) •

هـــذه الخيوط من التعـــاون والتقـــارب والتلاحم على المستوى السياسى والشخصى ما لبثت أن اتخـــذت شكلا أكثر تقـــدما وفاعليـــة وعلنية عندما سخر عبد الله جريدته الأسبوعية « الأمل » التى أصدرها فى يونيو ١٩٦٥ لا للدفاع فقط عن الثورة اليمنية بشقيها ، ثورة ٢٦ سبتمبر وثورة ١٤ أكتوبر ، وانما أيضا عن خط الجبهة القومية النضالى ، السياسى والعسكرى الى حـــد نشر « بيانات الثورة والجبهة القومية وتنظيماتها النقـــابية والشبابية والطـــلابية ومعتقليها السياسيين » (نفسه ص ٣٥) .

وطيلة فترة الكفاح الوطنى ضـــد المستعمر البريطانى وضـــد التيارات الانتهازية فى الحركة العمالية والقوى السياسية اليمنية التى حاولت ركوب موجة الثورة وتوجيهها وجهة أخرى غير الوجهـــة التى رسمها « الميثاق الوطنى » للجبهة القومية الذى وضع فى تعز فى يونيو ١٩٦٥ م نشأ عمليـــا تحالف ثورى حقيقى بين تنظيم عبد الله باذيب والتنظيم القائد للثورة عبر عن نفسه من خلال « النقابات الست » ومن

خلال الوقوف الى جانب الجبهة القومية فى جميع معاركها ضـد القوى الآنفة الذكر وغيرها . وعندما ادمجت الجبهة القومية قسرا فى ١٣ يناير ١٩٦٦ م فيما اسمى « جبهة التحرير للجنوب اليمنى المحتل » ورفضت الجبهة القومية ذلك ، فان تنظيم باذيب وقف بحزم الى جانبها ، انطلاقا من الفهم الراسخ لديه بأن استمرار قيادتها للثورة يساوى استمرار الثورة وانفتاح الآفاق أمام امكانية تطوير وتجـذير خطها النضالى . وعندما كان صوت الجبهة القومية غير مسموع فى الأجهزة الاعلامية التى كانت تساندها فى شمال الوطن ومصر ، فان صحيفة « الأمل » ظلت المنبر العلنى لـه ، الى حـد الانحياز الكامل الى موقف الجبهة القومية ضـد جبهة التحرير ، ممـا عرض عبد الله باذيب شخصيا للمخاطر ، وقاد الى اسكات « الأمل » ذاتها باحراق المطبعة التى كانت تطبع فيها ، وانذار المطابع الأخرى بالامتناع عن طبعها لديها ، والا واجهت ذات المـآل .

وحسب تعبير أحمد سعيد باخبيره فانه بعـد « عملية » الدمج » فى ١٣ يناير ١٩٦٦ م وقفت « الأمل » بشجاعة الى صف القوى الحقيقية للثورة ودافعت عن استمرار وتعميق الخط الصحيح للثورة ، وظلت تفتح صفحاتها لنشر البيانات القيادية والقاعـدية للجبهة القومية ضد أوضاع الدمج . وتبنت التحركات والمظاهرات الشـعبية التى كانت تقودها منظمات الجبهة القومية فى الداخل من أجل الانسلاخ عن جبهة التحرير والعودة الى العمل المستقل باسم الجبهة القومية .

وقـد دفع هـذا قوى الثورة المضادة الى احراق المطبعة التى كانت تطبع صحيفة « الأمل » فى الشيخ عثمان ، وتهـديد جميع المطابع الأخرى بنفس المصير اذا قبلت طباعة « الأمل » لديها ، كما القيت

بعـد ذلك قنبلة على منزل عبد الله باذيب فى « كريتر » . (نفسـه ص ٢٥ — ٢٦) .

ومع ذلك استمر عبد الله باذيب على موقفه المؤازر للجبهة القومية ولم يكتف بالمجاهرة بذلك على النطـاق الداخلى ، وانما على النطـاق العربى أيضا . ولم تجـد العناصر اليسارية فى مصر ، وعلى رأسـها خالد محيى الدين ، من تستعين به لرسم الموقف الشعبى الحقيقى فى جنوب اليمن لجمال عبد الناصر ، بعـد أن تمكنت أجهزة الاستخبارات المصرية فى شمال الوطن من تقـديم صورة مغلوطة عنه بتصـوير أنه لصالح جبهة التحرير — لم تجـد من تستعين به غير عبد الله باذيب الذى كان قـد لمع اسمه على النطاق العربى ، بل والعالمى .

وكان رأى عبد الله باذيب الذى أعرب عنه حتى فى الصـحافة المصرية خلال زيارته للقاهرة ان الوحـدة الوطنية المنشودة هى تلك التى تكفل استمرار ثورة ١٤ أكتوبر وتعمق نهجها النضالى الوطنى الديمقراطى ، لا تلك التى تؤثر على مجرى الثورة تأثيرا سلبيا ، وتعيد عقارب الساعة الى الوراء .

وكما كتب ثانى مؤسسى « الاتحاد الشعبى الديمقراطى » فأنه فى « وقت لاحق استدعى عبد الله باذيب الى القاهرة بواسـطة بعض الشخصيات اليسارية البارزة لاستطلاع رأيه فى حقيقة الموقف . وقـد قابل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر الذى استوضحه عن القـوة الحقيقية ذات « الثقل » الشعبى فى الداخل ، فشرح له عبد الله باذيب أن القوة التى تتمتع « بالثقل » الحقيقى على الصعيد النضالى والجماهيرى هى « الجبهة القومية » .

كما كتب عبد الله باذيب فى « روز اليوسف » موضحا المفهـوم الصحيح للوحـدة الوطنية المطلوبة . وأن تكون ذات محتوى وطنى

واجتماعى ثورى تطور وتعمق الخط الذى سلكته ثورة ١٤ أكتوبر ..
لا وحـدة ترتد بها الى الوراء » . (نفسه ، ص ٢٦) .

وقـد أكد مجرى الاحـداث صحة وجهة نظر باذيب البعيـدة والعميقة هـذه ، حيث حسم الصراع قبيل الاستقلال مباشرة لصالح الجبهة القومية ، ممـا أكد أنها كانت تتمتع بالفعل « بالثقل » الشعبى فى جنوب اليمن ، بقطع النظر عن مساندة قيادة الجيش لهـا التى لم تنظر هـذا الموقف الا لعلمها أن الموقف جماهيريا فى صالحها لا فى صالح جبهة التحرير ، والتى ستلفظها الثورة عبر نضالها بعـد الاستقلال من أجل اقامة نظام وطنى ديمقراطى .

علام يدل موقف باذيب هـذا وتنظيمه ؟ أعلى رؤية أيديولوجيـة، منغلقة جامدة لا تحسن قراءة الخارطة الاجتماعية والتمييز بين القوى الحية والفاعلة فيها والقوى المعوقة والمعطلة لحركة التطور .. أم على رؤية أيديولوجية وسياسية مشبعة بالثقافة النظرية ، وقادرة من ثم على تحليل الواقع ، وسبر جميع جوانبه ، وتحـديد اتجاهاته المتباينة ، والتأشير على الاتجاه المعبر عن حركة التطور التاريخى فيه ؟

الاجابة واضحة . فبوصلته كانت دائما موجهة نحو المستقبل ، ونحـو القوى المعبرة عنه .

وظل قرار باذيب بتجميد تنظيمه قائما . وعندما كان يصـدر بيـانات أو وثائق لتحـديد الموقف من هـذه القضية أو تلك فانه كان يصـــدرها باسم « رفاق الشهيد السلفى » أو باسم « منظمة السلفى للشبيبة اليمنية الديمقراطية » . والنشرة الداخلية التى أصـدرتها المنظمة حملت تسمية « الشبيبة » ، ذلك أن هـدف باذيب ظل نصب عينيه ، الا وهـو الاقتراب أكثر فأكثر من الجبهة القومية ، والتفاعل

الفكرى الدائب والمستمر معها ، والتعاون الثابت والراسخ على مختلف المستويات ، بغية الوصول آخر الأمر الى اقامة تنظيم سياسى واحد للثورة ، يتبنى الفكر الاشتراكى العلمى .

والصلات الخاصة التى كانت قد نشأت بينه وبين الصف التقدمى فى الجبهة القومية ، وخاصة مع عبد الفتاح اسماعيل ، تطورت بعد الاستقلال أكثر ، ولا سيما بعد أن تعرض الجميع لاضطهاد الجناح اليمينى فيها الذى أمسك بمقاليد السلطة .

وكانت الوثيقة التى أصدرها فى يناير ١٩٦٨ م باسم « رفاق الشهيد السلفى » والتى حملت عنوان « وجهة نظر حول المرحلة الزاهنة — ثورة ١٤ أكتوبر .. طبيعتها .. مهماتها .. وآفاق المستقبل » هى ثانى وثيقة أيديولوجية — نظرية بعد « الميثاق الوطنى » الذى أصدره فى أكتوبر عام ١٩٦١ م .

ان تبيان الأهمية التاريخية لهذه الوثيقة يتطلب وقفة خاصة ليس مجالها هنا .

يكفى القول أنه اذا كانت الوثيقة الأولى قد دعت الى تشكيل جبهة وطنية ، فان هذه الوثيقة قد دعت — ولأول مرة — الى اقامة تنظيم سياسى واحد على أسس الاشتراكية العلمية كضمان لدفع ثورة ١٤ أكتوبر فى الاتجاه الوطنى الديمقراطى ، بما يكفل آخر الأمر وضعها على عتبة التحول الاشتراكى ، وكسبيل لالتقائها بثورة ٢٦ سبتمبر فى نيران المعركة ضد العدو المشترك ، الاستعمارى الرجعى ، وبما يتيح — فى خاتمة المطاف — تحقيق الوحدة اليمنية على أسس ديمقراطيــة .

ولهذا الغرض عزز باذيب صلاته مع منظمة البعث ، ممــا

ساعد على انتقالها من المواقع القومية السابقة وتقدمها نحو تبنى الفكر الاشتراكى العلمى ومن ثم تبديل تسميتها بتسمية « حزب الطليعة الشعبية » عام ١٩٧٤ م ٠

كانت الدعوة التى طرحتها الوثيقة الثانية والقاضية بضرورة قيام تنظيم اشتراكى واحد تفسيرا لاصرار باذيب المبكر على الا يسمى تنظيمه الذى اقامه فى مطلع الستينيات حزبا اشتراكيا ، وان يعتبره مجرد « تجمع وطنى » يضم المؤمنين بالفكر الاشتراكى العلمى ٠

كان هناك احساس راسخ لديه بأن الظروف الموضوعية والذاتية التى ستسمح بذلك قادمة لا محالة ٠ وقد رأى فى النواة الاشتراكية العلمية التى أخذت تتخلق وتتشكل فى أحشاء الجبهة القومية منذ مطلع الستينيات أهم خميرة للتنظيم المنشود ٠

ولا محيص من ايراد فقرة واحدة فقط من هذه الوثيقة الرصينة التى جمعت ما بين التحليل التاريخى والاجتماعى لمسار الحركة الوطنية والثورة اليمنية ، مع وقفة مركزة عند ثورة ١٤ أكتوبر ، وما بين الاستشراف لآفاق المستقبل ٠

« ان السير ببلادنا فى طريق الثورة الوطنية الديمقراطية ونحو الاشتراكية يتطلب وحدة وتلاحم جميع القوى والفصائل الثورية والتقدمية فى البلاد داخل اطار تنظيمى واحد يسترشد بمبادىء الاشتراكية العلمية ٠ ومثل هذا التنظيم هو وحده القادر على قيادة الثورة الى أهدافها الساطعة ، وهو الشكل المناسب للديمقراطية فى بلادنا ، فلا توجد فى بلادنا تقاليد حزبية متأصلة ٠ خلال الكفاح المشترك التحمت عمليا جميع فصائل الثورة والتقدم فى مجتمعنا ، وأسهمت جميعا فى الثورة المسلحة ، وانتصارها ٠ ولقد كان التطور

المنطقى والطبيعى للثورة يحتم أن تلتحم هـذه الفصائل عضويا فى تنظيم واحـد • واذا كان قـد تعـذر ذلك قبل انتصار الثورة المسلحة ، فليس هناك ما يمنع ذلك الآن •• بل يجب أن لا يكون هناك ما يمنع ذلك » • (نفسه ، ص ٢٧) •

هـذه الرؤية الحالمة بحزب اشتراكى واحـد ، والتى اعتبر تنظيمه مجرد خميرة من خمائرها ، وجهده بغية تسهيل سبل التلاقى والتحالف مع الجبهة القومية قبل الاستقلال وبعـده ، هـذه الرؤية التى صاغها بهـذا الوضـوح فى الوثيقة ، ألا تبين وحـدها أن عبد الله باذيب كان يمتلك تصورًا نظريا مبكرا ظل يطوره ويبلوره ، ويساعد على انضـاج الشروط الذاتية لتحقيقه ، بالالتصاق أكثر فأكثر بمنابع القـوى الحية فى المجتمع ، بالتمسك الثابت بالقوى الخيرة والمبشرة فيه ، بالتحـاور الدائم مع طلائع وخمائر الغـد المرتجى ؟

هـذه الرؤية التاريخية الشفافة الثاقبـة لا تدل فقط على أن صاحبها حامل رسالة اجتماعية ، وعقيدة أيديولوجية ، وانما أيضا مالك بصيرة سياسية نفاذة ، وثقافة نظرية عميقة ، فوق تملكه لوجـدان مرهف ، وحلم عظيم •

ومن يمتلك كل هـذه المواهب والمؤهلات لا يمكن أن يكون صاحب « خطاب أيديولوجى » جامد ، تماما كما لا يمكن وصف عبد الفتاح بذات الشىء ، وهـو يتبنى ذات الحلم العظيم ، الذى أفصح عنه بجلاء التيار التقـدمى فى الجبهة القومية أثناء مؤتمرها الرابع الذى عقـد فى زنجبار ما بين ٢-٣-١٩٦٨ م و ٨-٣-١٩٦٨ ، وانتزع قرارا به من المؤتمر جاء فيه « يقر المؤتمر أنه لبناء التنظيم الثورى الطليعى ضرورة الالتزام فى تثقيف التنظيم ضمن الخط الاشتراكى العلمى ، بما يمكن بالفعل من القفز بمستويات التنظيم فكريا ، ويحقق وحـدته التنظيمية ، ويوجهه

صوب التحول الى حزب اشتراكى طليعى » (نايف جواتمه ، أزمة الثورة فى الجنوب اليمنى المحتل ، بيروت ، ١٩٦٨ م ، ص ٢٥٠) .

وبعد قيام حركة ٢٢ يونيو التصحيحية عام ١٩٦٩ انتقل الحوار حول اقامة مثل هذا التنظيم الى العلانية ، وبالذات فى منتصف ١٩٧٠ م وضم الفصائل الثلاث : الجبهة القومية ، الاتحاد الشعبى الديمقراطى — بعد أن أشهر اسمه من جديد — ومنظمة البعث التى تحولت فيها بعد الى « حزب الطليعة الشعبية » ، هذا الحوار الذى توج بالتوقيع على اتفاقية ٥ فبراير ١٩٧٥ م التى قضت بموافقة الأطراف الثلاثة على وحدتها فى اطار « التنظيم السياسى الموحد — الجبهة القومية » كخطوة انتقالية نحو قيام الحزب الطليعى ، هذا التنظيم الذى قام بالفعل فى أكتوبر من ذات العام ، واختير عبد الله باذيب ليشغل فيه منصب عضوية اللجنة المركزية والمكتب السياسى وسكرتارية دائرة الثقافة والاعلام فى سكرتارية لجنته المركزية .

وكان قد شغل عام ١٩٦٩ م منصب وزير التربية والتعليم ، وفى عام ١٩٧٢ م منصب وزير الثقافة والسياحة ، وكان ذلك — اضافة الى التعاون على مستوى المنظمات الجماهيرية — شكلا من أشكال التقارب والتلاحم بين تنظيمه وتنظيم الجبهة القومية » تمهيدا لبلوغ ما تم تحقيقه بقيام تنظيم سياسى موحد على طريق اقامة الحزب الطليعى .

واذا كان عبد الفتاح اسماعيل قد مثل بتحقيق مثل هذا الانجاز واسطة العقد فان دور عبد الله باذيب فيه كان كبيرا .

ولا بأس من القاء بعض الضوء على دوره هذا خصوصا ، وعلى دوره بشكل عام فى دعم الثورة وتنظيمها القائد ، بالاستعانة بشهادات بعض رفاق هذه السيرة . فلعل الذين صوروه بأنه صاحب « خطاب

أيديولوجى » ليس الا ، بكل ما ينطوى عليه مثل هـذا الوصف من معانى الجمود والتزمت والتخلف عن مواكبة ركب الثورة ، ومن ثم العجـز عن اكتشاف واستشراف سبل وآفاق تطورها — لعلهم يعيدون النظر فى تصورهم هـذا الذى يجافى الحقيقة الموضوعية ، ويغمط باذيب حقه كرائد للفكر الاشتراكى العلمى فى اليمن ، ومنظر متمكن لمسيرة الحركة الوطنية اليمنية ، وواضع أول ميثاق وطنى من وجهـة نظر الاشتراكية العلمية ، وواضع أول وثيقة فكرية بعيد الاستقلال مباشرة عن ماضى وحاضر ومستقبل الثورة ، وداعية للجبهة الوطنية العريضة ، ثم داعية التنظيم السياسى الواحـد القـائم على أسس الاشتراكية العلميـة •

وسنكتفى بثلاث شهادات فقط : شهادة الرجل الثانى فى تنظيمه ـ أحمد سعيد باخبيره ، وشهادة الرجل الأول فى التنظيم السياسى الموحد ـ الجبهة القومية ومؤسس الحزب الاشتراكى اليمنى لاحقا ، عبد الفتاح اسماعيل ، ثم شهادة الكونفريس الحزبى العـام للحزب الاشتراكى اليمنى •

يقول باخبيره : « وقـد لعب عبد الله باذيب دورا مخلصا وفعالا فى مناقشة وبلورة الصيغة التوحيدية المنبثقة من معطيات وخصـائص الواقـع فى بلادنا — واتسم موقفه بالاصرار والتصميم على تذليـل الصعوبات وبلوغ الهـدف العظيم للحوار •

وكقائد محنـك يعى الأهمية القصوى لوحـدة القـوى الثـورية والاثار الايجابية القريبة والبعيدة التى ستترتب عليها بالنسبة لوطنـه وجماهير شعبه ، فقـد كان يتصرف بحكمة ومرونة ومسئولية ، وساعد كثيرا على تقريب وجهات النظر ، وتغليب وتعميق نقاط الالتقاء ، كمـا أعار اهتماما خاصا لتحقيق وتوطيد وحـدة عمل الفصائل الثلاث على

صعيد المنظمات الجماهيرية ، كسبيل يمهد الطريق ، ويهيىء المنـاخ الأكثر ملاءمة أمام تحقيق الوحـدة التنظيمية لهـذه الفصائل .

وكان عبد الله باذيب من أسعد الناس يوم كان يضع توقيعه على اتفاق ٥ فبراير ١٩٧٥ م الذى توج عملية الحوار بالموافقة النهـائية على أسس وحـدة الفصائل الثلاث فى اطار التنظيم السياسى الموحد — الجبهـة القـومية .

ومنذ ذلك الحين وحتى لحظة وفاته فى ١٦ أغسطس ١٩٧٦ م سعى بكل جهده وطاقته وما يملك من امكانيات سياسية وفكرية من أجل انجاح التجربة الجـديدة وصـيانتها وتوطيـد دعائمها . وتهيئة الظروف والأسس اللازمة لبناء الحزب الطليعى » (المصـدر الأسـبق ، ص ٢٨ — ٣٩) .

أما شهادة عبد الفتاح اسماعيل التى لا نستطيع هنا سوى ايراد أجزاء منها ففيها وحـدها الرد على من يعتبرونه صاحب « خطـاب أيديولوجى » ليس الا ، ومن ينكرون دوره الريادى فى بث الفـكر الاشتراكى العلمى فى اليمن ، وغيره من الأفكار الوطنية والديمقراطية ، بمـا فى ذلك فكرة الوحـدة اليمنية ، ومعالجـة ذلك كله من منظـور ديكالكتيكى ، ومن لا يقـدرون دوره حـق قـدره تجاه الثـورة . وخاصة ثورة ١٤ أكتوبر ، عبر جميع مراحلها ، وتجاه التنظيم السياسى الواحـد الذى يكفل قيادتها عبر المرحلة الوطنية الديمقراطية ، والمرحلة الاشـتراكية .

يقول الذى يعترف المنصفون اليوم بفضله ودوره الكبير والمتميز تجاه ذلك كله ، والذى يعطى كل ذى حـق حقه ، وينزل أصحاب الأدوار التاريخية منازلهم ، لان ذلك أيضا يعلى من قـدره ولا ينتقص منـه شـيئا ، — يقـول :

« ان الثوريين اليمنيين لا يمكن أن ينسوا الدور الجسور الـذى اضطلع به الرفيق عبد الله باذيب خلال المرحلة التى كان فيها شعبنا اليمنى يرزخ تحت نير الاستعمار البريطانى والاستبداد الامامى .

ففى الوقت الذى كان فيه القيادة التقليديون يكتفـون بالمواقف الوطنيـة المتذبذبة والضـيقة ، كان رفيقنـا الراحل سباقا فى الربط الديكاكتيكى بين المواقف النضالية الوطنية والتضامن مع كفاح الشعوب ، وفى الوقت الذى كان فيه القادة التقليديون يرفعون الأفكار الليبرالية والانفصالية كان هـو سباقا ورائدا فى نشر وطرح الأفكار الثورية الوطنية الوحـدوية وأفكار الاشتراكية العلمية بين طلائع الشـغيلة اليمنيين .

لقـد أدرك بوعى كامل أن الايمان بأفكار الاشتراكية العلميـة هـو فى التحليل الأخير طريق الجماهير لا من أجل حل انتصار نضالها الوطنى فحسب ، بل ومواصلة هـذا النضال واكسابه محتوى ديمقراطيا اجتماعيا فى ظل بناء السلطة الوطنية الديمقراطية الجـديدة » .

« لقـد كان دوما يتحلى بالشجاعة والجـرأة فى كشف المواقف الرجعية والانتهازية ، وكانت شجاعته وجرأته تستمد قـوتها من ارادة شعبنا ، ومن وعيه النظرى لأفكار الاشتراكية العلمية ، واخلاصـه الشديد للمصالح الوطنية والطبقية للعمال اليمنيين وحلفائهم الكادحين ، وكان يربط ربطا واعيا ومدركا بين تنامى أفكار الاشتراكية العلميـة وتعاظم نفوذها وبين انتصار قضية التحرر الوطنى من سيطرة ووصاية المستعمرين وعملائهم .. ويؤمن ايمانا لاينلين أن الاشتراكية العلمية ستمكن المناضلين من التحـديد الصـائب للموقف الشـورى التكتيكى والاستراتيجى للثورة ، وان الاسترشاد بمبادئها وأفكارها هو وحـده طريق خلاص البؤساء والكادحين اليمنيين من كل أشكال القهر والاستغلال

الاستعمارى والاقطاعى ، وهو وحـده الذى سيمكنهم من ترسـيخ نضالهم نحو مستقبلهم الجـديد ، مستقبل انتصار تحررهم الوطنى وتقـدمهم الاجتماعى .

لقـد تجلت الروح الثورية لدى فقيدنا الكبير فى أروع صورها حين هبت رياح ثورة ١٤ أكتوبر المسلحة ضـد الاستعمار البريطانى بقيادة الجبهة القومية .

ففى الوقت الذى وقف فيه البعض مشككا بالثـورة فقـد وقف الرفيق عبد الله باذيب الى جانب هـذه الثورة ، وكان الرفيق باذيب يرى فى هـذه الثورة اللغة الوحيدة التى يفهمها المستعمرون ويدركون من خلالها أن شعبنا مصمم على طردهم الى الأبد .

ولقـد كانت صحيفة « الأمل » التى رأس تحريرها رفيقنا الراحل ذلك الصوت المعبر عن الثورة الشعبية المسلحة ونضالات الجماهير فى المدن والأرياف الذى كشف سياسة المستعمرين ومخططاتهم التآمرية وكل من وقف معهم من العملاء والإنتهازيين .

وبعـد احراز الأستقلال الوطنى ، وفى فترة عصيبة تعرضت فيها الثورة لسيطرة اليمين الانتهازى ، وقف الرفيق عبد الله باذيب الى جانب التيار التقـدمى فى التنظيم السياسى الجبهة القومية حتى فجر حركة ٢٢ يونيو ، تلك الحركة التصحيحية المجيدة التى قادها التيـار التقـدمى واعاد لثورة ١٤ أكتوبر وجهها الحقيقى التقـدمى المشرق ، ورسم ملامح مستقبلها السياسى والطبقى والأيديولوجى ، والتى شكلت بانتصارها البداية الوطيدة لتأسيس وحـدة ثابتة لفصائل العمل الوطنى الديمقراطى فى بلادنا .

وبعـــد انتصار هـــذه الخطوة كان للرفيـــق باذيب دور بارز فى الحوار الديمقراطى وانجاحه من أجل الوحـــدة الأيديولوجية والسياسية والتنظيمية لفصائل العمل الوطنى الثلاث وقيـــام التنظيم السياسى الموحـــد ـــ الجبهة القومية الذى أصبح الرفيق باذيب واحـــدا من أبرز قـــادته .

كما لعب الرفيق باذيب من خلال نضاله الدؤوب والمخلص دورا مهما لتثبيت وتعزيز قضايا الثورة والسلطة الوطنية الديمقراطية ونصرة قضايا الكادحين للدفاع عن مكاسبهم التقـــدمية »

« وكان يتطلع الى قيام الحزب الطليعى اليمنى الواحـــد وتحقيق أهـــداف استراتيجية الثورة اليمنية فى ظل الوطن اليمنى الموحـــد ، ولكن الموت أخـــذه قبـــل ان يتحقق هـــذان الهـــدفان النبيلان .. » (نفسه ، ص ـــ ٨ ، ٩) .

تلك شهادة أقرب وأبرز رفاق بايب من خارج تنظيمه قبل التوحيد ، والصقهم وأعرفهم به بعـــد التوحيد ، وفيهـــا الرد الـــكافى والمقنـــع على من تصوروا باذيب ـــ عن بعـــد ودون معرفة حقيقية به ـــ على غير حقيقته ، وتخيلوه قـــد كبله الجمود العقيدى عن رؤية دبيب حركة الواقع من حـــوله ، وعن الغوص فى ثناياه واستشفاف الجـــديد النامى فيـــــه .

وهـــذا المسلسل الذهبى من المواقف التاريخيـــة لباذيب التى سجلها عبد الفتاح اسماعيل له ـــ دون أن نذكر كل المواقف التى سجلها له ـــ تشهد بذاتها على أن باذيب كان صاحب ذهن مفتوح على الواقع باستمرار ، ومن هنا كانت قـــدرته على مواكبة حركته ، بل والتنبـــؤ باتجاهها سلفا ، والامساك بقيادها على مستوى المعالجة النظرية والموقف

السياسي ؛ وأنه — على عكس الكثيرين — لم يتخلف عن معركة أو موقف ، وان الأيديولوجية كانت بالنسبة له قوة دفع ثورية لا كابحا مذهبيا .

وما لم يكن متاحا أن يشير اليه عبد الفتاح اسماعيل في شهادته هذه — حيث أن الوقت لم يكن ملائما لذلك — ان باذيب كان في طليعة من قارعوا الطفولة اليسارية لربيع رئيس الدولة آنذاك ، وأنه كان النصير والظهير للتيار الاشتراكي العلمي داخل الجبهة القومية الذي كان يرمز اليه عبد الفتاح اسماعيل ابان فترة صدامه مع هذا التيار اليساري الانتهازي .

والوثائق المتاحة تشهد على ذلك والتي لا يتسع المجال للاستشهاد بها هنا . يكفي التذكير بشكوى ربيع على من باذيب ورفاقه لملاحظاتهم الانتقادية على العديد من تصرفات تياره في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والجماهيرية والسياسية ، ويكفي التذكر بتمسكهم الحازم بضرورة أن يكون الحوار ديمقراطيا حقا ، بغية الوصول الى شكل ملائم للتنظيم السياسي الموحد ، واصرارهم — الى جانب التيار الاشتراكي في الجبهة القومية بزعامة عبد الفتاح اسماعيل — على ضرورة قيام حزب طليعي اشتراكي علمي .

وأخيرا يكفي الاستشهاد بتقييم حزبه الذي غادر الحياة وهو يعمل بكل نفس فيه من أجل تحقيقه ، هذا التقييم الذي احتفظت له ولتنظيمه به كحقيقة تاريخية « الوثيقة النقدية التحليلية لتجربة الثورة في اليمن الديمقراطية (١٩٧٨ — ١٩٨٦) » التي قرها الكونفرنس الحزبي العام الذي عقد ما بين ٢٠ — ٢١ يونيو ١٩٨٦ ، حيث جاء فيهـا :

« أما اتحاد الشعب الديمقراطي فقد تشكل في عام ١٩٦١ من عدد محدود من المثقفين الماركسيين الذين تأثروا آنذاك بالفكر

الاشتراكى العلمى ، وبدأ نشاطهم الفـــكرى والسياسى منذ أواخر الخمسينيات بقيادة الفقيد عبد الله باذيب ــ الذى لعب دورا متميزا فى تأسيس الاتحاد وقيادة نشاطه .

نشط الاتحاد فى بلورة ونشر الأفكار التحررية ، وأفكار الاشتراكية العلمية ، وفضح الاتجاهات الانفصالية والانتهازية فى الحركة الوطنية والعمالية ، وتأييد الثورة المسلحة ، ونشر أخبار الكفاح المسلح فى صحيفة الأمل ، كما ساهم بعـــد الاستقلال بالتنسيق مع يسار الجبهة القومية فى فضح الحكم اليمينى والدعوة للسير فى طريق التطور اللارأسمالى .

وبعـــد خطـــوة التصحيح شارك الاتحاد بالحوارات الديمقراطية بين فصائل العمل الوطنى الديمقراطى الهادفة الى تحقيق وحـــدتها على طريق بناء الحزب الطليعى .. وعلى الصعيد الخارجى فقـــد امتلك الاتحاد علاقات وثيقة مع بعض المنظمات الديمقراطية الدولية . ومن الناحية الفكرية تبنى الاتحاد الاشتراكية العلمية .. وقـــد مثل الميثاق الوطنى للاتحـــاد ١٩٦١ م خطوة هامة فى الوضوح الفكرى وتحـــديد مهام التحرر الوطنى ضـــد الاستعمار » (ص ١٦ ــ ١٧) .

ولا حاجة لاعادة تسجيل شهادة أمين عـــام الحزب الاشتراكى اليمنى الرفيق على سالم البيض فى هـــذا الصدد ، فقـــد ثبتناها فى مقال لنـــا نشرته مجلة « قضايا العصر » فى عـــدد سبتمبر ١٩٨٦ م بعنوان « دور عبد الله باذيب النضالى فى سبيل خلق الحزب الطليعى » .

بقى أن نشير الى أن آخر وثيقة أيديولوجية كتبها عبد الله باذيب هى ذلك التقرير الذى وضعه عن مستوى العمل الأيديولوجى فى التنظيم السياسى الموحـــد ــ الجبهة القومية وعما هو مطلوب لتعميقه ، ولتمكين الأعضاء من النهوض بمهماتهم ازاءه .

وحسب تعبير أحمد سعيد باخبيره فأنه فى « الأيام الأخيرة لحياة القائد الراحل كان شديد الحرص على الانتهاء من التقرير المكلف بتقديمه الى الدورة الرابعة للجنة المركزية للتنظيم السياسى الموحد حول العمل الأيديولوجى وواجبات أعضاء التنظيم بهذا الصدد .

وقبل ساعات فقط من وفاته أكمل عبد الله باذيب وضع اللمسات الأخيرة على التقرير وسلمه كاملا الى سكرتارية اللجنة المركزية ، ولم يكن فقيدنا الراحل يدرى حينئذ أنه بتقديمه هذا التقرير كان يقدم آخر عطاءاته لشعبه الذى أحبه ، وتنظيمه الذى اسهم بدور بارز فى بنائه ، وللأفكار العظيمة التى كرس كل حياته من أجل انتصارها وانتشارها فى ربوع يمننا الحبيب » (المصدر الأسبق ، ص ٣١) .

مما تجدر الاشارة اليه أن عبد الفتاح اسماعيل قد نوه ضمنيا بأهمية ما انطوى عليه هذا التقرير عند حديثه فى المحاضرة التى ألقاها فى المدرسة الحزبية فى ٩ أكتوبر ١٩٧٦ م والتى نشرتها مجلة « الحارس » — لأول مرة — فى عدد مايو — يوليو ١٩٨٨ م عن القضايا التى تطرقت اليها الدورة الرابعة للجنة المركزية ، وأبرزها ما يتعلق « بالجانب التنظيمى والحزبى » وما يتعلق « بالجانب الأيديولوجى والثقافى » ، فنحن « فى هذه الدورة الرابعة وقفنا بمسئولية كبيرة تجاه تطوير تنظيمنا المستمر .. تطوير الجانب الطبقى والأيديولوجى لتنظيمنا بقصد السير ، أو مواصلة السير لبناء الحزب الطليعى » .

ويضيف — شارحا أهمية العمل الأيديولوجى فى عملية بناء الحزب المنشود — : « طبعا هذه القضية بحاجة الى جهود كبيرة جدا .. قضية الحزب الطليعى ، والمسألة ليس أن تقول والله نبنى حزب ماركسى لينينى ، أو حزب شيوعى يمنى ، أو حزب نسميه أى اسم ،

المهم المضمون ، الموقف الأيديولوجى والطبقى ، وأنه لا يكفى فقط أن نعلن عن هـذا الحزب وانتهى الأمر عند هـذا الموضـوع •• ونعتبر أن عضوية الحزب تصبح لنا مجرد نياشين وأوسمة نعلقها على الصدر ، وانتهينا ، ووصلنا الى ما نريد الوصول اليه » •

ولعمرى ذلك كان ما يطمح اليه ويريده عبد الله باذيب منذ تفتح وعيه على الفكر الاشتراكى العلمى حتى كتابة آخر كلمة قبيل رحيله عن عالمنا •• وذلك ما لا يزال هـو مطلب كل عضو فى الحزب الاشتراكى اليمنى •

وبعـد : فان مجمل الحقائق التاريخية التى أوردناها آنفـا تبين بمـا لا يدع مجالا لأدنى شك بأن عبد الله باذيب كان صاحب رسـالة تاريخية اعطاها عقله ووجـدانه ، وعيه وايمانه ، ثقافته وعقيدته . وأنه كان صاحب خطاب أيديولوجى وثقافى معا •

محتويات الكتاب

القسم الأول

حـــول الوحـــدة اليمنيـــة

القسم الثانى

جـــدال مـــع « الحكمة » حـــول مفهومها لقضية الوحـــدة اليمنية

القسم الثالث

حــول دور المثقف العضوى وعبد الله باذيب كنموذج لــه

رقم الايداع بدار الكتب القومية

١٩٩٠/٢٠٦٧

الترقيم الدولى

٩٧٧ — ١٣٣ — ١٦١ — ٢

طبع هذا الكتاب بمطابع
شركة دار الاشعاع للطباعة
١٤ شارع عبد الحميد ــ جنينة قاميش
السيدة زينب ــ القاهرة
ت : ٣٦٣٠٤٦٩